دار الكتاب الصوفى

تقدم

نعيم القبر
وجمالات الآخرة

لخاتم الوراث المحمديين

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

تليفون المكتبة

002 022 3901030

عنى بطبعه

الخليفة الثالث

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، نحمده ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ، لا إله غيره ، ولامعبود سواه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصراط المستقيم بين الحق والخلق ، والحصن الحصين لكل موجود ، والرحمة العظمى لجميع العالم ، وعلى آلـه الطيبين الطاهرين ، وصحابته الهادين المهديين .

و سلام الله تعالى على الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ، وعلى خليفتـه الأول مولانا السيد أحمد ماضى أبى العزائم ، ونضر الله وجه خليفته الثانى مولانا السـيد عـز الدين ماضى أبى العزائم عليه السلام .... آمين .

أما بعد ......

لقد كثرت فى الآونة الأخيرة الكتب التى تتناول عذاب القبر ووحشته ، وتركـزت موضوعاهّا على جانب الترهيب والتخويف ، بطريقة قد تصل بالبعض إلى اليأس من رحمة ربه.

و لمعالجة ذلك الأمر ، فقد دأب الإمام السيد عز الدين ماضى أبو العـزائم عليه السلام ، على استخراج لآلى ذلك الكتاب الذى بين يديك ، وقد كان حريصا على إصداره قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى – بعد أن قام عليه السلام بجمع موضوعاته من تراث الإمام المجدد السـيد محمـد ماضى أبى العزائم عليه السلام ، سواء كان نثرا ، أو نظما ، أو مما أورده فى موسـوعته الجامعـة (أسرار القرآن) ، مع الاستعانة بالعديد من الأحاديث النبوية الشريفة من مصـادرها – حـتى يقدم لنا تلك الباقة الرائعة من ريحان الترغيب فى الله تعالى ، وحب لقائه جل شأنه ، مما يهون على المسلم مصاعب الحياة الدنيا وتعقيداهّا ، وينشط الأبدان لطاعة الله ، ويحيى القلوب بحبـه وشكره وذكره وحسن عبادته .

و لقد أوصانا نبينا ﴿ﷺ وآله﴾ أن نحسن الظن بالله تعالى فى قولـــه صـــلوات الله وسلامه عليه : ((لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنـــة)) وقال عبد الله بن مسعود ﷺ : ((والله الذى لا إله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده)) كل ذلك مصداقا لقول المولى جل وعلا فى الحديث القدسى الذى ذكره لنا سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : ((إن الله يقول : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى)) .

و هذا الكتاب (نعيم القبر وجمالات الآخرة) يتناول رحلة الإنسان ، بدايـــة مـــن النشأة الروحانية ، إلى النشأة الكونية ، إلى البرزخ ، ثم البعث والحشر ، ويقـــود المســـلم إلى مسرات الحياة الآخرة ونعيمها وجمالاتها .

و فى ذكرى مولد الإمام السيد عز الدين ماضى أبى العزائم عليه السلام ، نهدى إليه هـــذا الكتاب ، الذى هو ثمرة من ثمرات جهاده ووعيه ، ونتيجة من نتائج عمله الدءوب لإخـــراج الثروة العلمية لجده الإمام المجدد عليه السلام ، لينتفع بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها .

جزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ، وأعاننا فيما أقامنا فيه ، ووفقنا إلى عمل الخير وخير العمل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وأعطنا الخير ، وادفع عنا الشر ، ونجنا واشفنا يـــا رب العالمين .

الخميس

١٢ محرم ١٤١٧ هـــ

٣٠ مايو ١٩٩٦م

الخليفة الثالث

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم

الباب الأول

النشأة الروحانية

الفصل الأول

الحقيقة المحمدية

الحقيقة المحمدية ... وجمال العود للبدء :

معلوم أن أول الإرادة آخر العمل،و أول مراد الله تعالى هو حبيبه ومصــطفاه ﴿ﷺ وآله﴾ .

و سبق فى علمه أنه حبيبه ومصطفاه ، وأنه الإنسان الكلى الممد لجميــع العــوالم ، وخلق جميع الخلائق له ﴿ﷺ وآله﴾ كما ورد فى الحديث بسند الإمام محمد بن ســهل ﷺ فى تفسيره للقرآن ، يقول الله تعالى : (إنى خلقت محمدا لذاتى ، وخلقت آدم لمحمد ، وخلقــت كل شيء لبنى آدم) إلى آخر الحديث .

أبرز الله الكون متطوراً أطوارا ليعده لإشراق شمس حبيبه ومصطفاه ، فكــان ﴿ﷺ وآله﴾ فاتحا خاتما ، كما قال على عليه السلام : ((اللهم صلى على محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق وآله)) .

أشرقت شمسه ﴿ﷺ وآله﴾ بالنور العام الدائم الذى لا يغيب ، لأن شمسه لا تأفــل كما قال عبد القادر الجيلانى رحمه الله :

أفلــت شموس الأولين وشمسنــا ... أبدا علـــى فلك العلا لا تغــرب

فجعله الله تعالى فاتحة الإيجاد ، وخاتمة للرسل فلا نبى بعده أرسله الله رحمة للعالمين ، وسراجا منيرا أسرج سرج الرسل والأنبياء من قبله ، والصديقين والشهداء من بعده ، سماه الله سراجا منيرا [1] ، ولم يسمه شمسا ، لأن السراج يسرج غيره ، ولكن الشمس لا تجعل شمسا غيرها ، وهو ﴿ ﷺ وآله﴾ أول الإرادة وآخر العمل .

و هنا أبسط لك بساط المؤانسة لتلحظ بعيون روحك وميضا من سر منازلاته﴿ ﷺ وآله﴾ ، وتقتبس بسرك قبسا من مشكاته المحمدية ، تكون به متجملا باليقين الحق فى مقام العبودية المطلقة .

إن مقتضى كمال الأسماء والصفات إبراز المرائى التى تظهر فيها تلك المعانى ، ولما كان العالم أجمع إنما خلقه الله تعالى ليظهر سبحانه ببدائع إبداع صنعه ، وغرائب حكمته وعجائب قدرته ، وظهوره إما لنفسه فاعلا مختارا ، أو لخلقه ربا معبودا قهارا اقتضت إرادته الأزلية تعيين حقيقة كاملة قابلة لكمال تجليه ، وظهور معانيه ، فكانت تلك الحقيقة المختارة لحضرته : هى حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ .

اقتضت تلك الحقيقة فى حضرة العلم مقتضياتها التى بها تكون سدرة منتهى علوم الخلائق المغشية بكمال ظهور المعانى – معانى الأسماء الربانية – مظهراً أكمل لكمال المعانى المناسبة لحضرة الألوهة من العبودة والعبودية والعبادة ، روحا وعقلا وجسما وحسا ، ومقتضيات تلك الحقيقة ظهور :

(أ) عالم يطيع فلا يعصى ، وهو ثلاثة أنواع :

١ – أعلى عليين ، وهم الآلهون المهيمون بجلال الله فوق عمار سماواته .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً } سورة الأحزاب : آية ٤٥ – ٤٦.

٢ – وعالون ، وهم الحافون بعرش الرحمن ، ومنهم الكربيون .

٣ – وعمار السموات ، وملكوت الأرض ، وهم الملائكة المقربون .

(ب) ونوع يعصى ولا يطيع ، وهم المردة وشياطين الجن .

(ج) واقتضى الكمال الربانى أن تكوم حقيقة أخرى قابلة للطاعة والمعصية ، ليتم ظهور معانى الصفات ، فخلق سبحانه آدم ، ورفعه على الملائكة ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٣١} قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ (١) وآدم علم الملائكة بعض الأسماء فكان آدم محيطا بكل الأسماء والملائكة فى حاجة إلى تعلم بعضها منه ﴿ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ (٢) .

ظهر مقتضى إرادة الله فى تلك الحقيقة ، فأطاع آدم وعصى قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٣) إبرازاً لسر الإرادة ، وإظهاراً لتجلى الاسم التواب ، الغفور العفو ، وتنبيها لأولاده من بعده أن يسرعوا بالتوبة إذا أخطأوا ، فانبلجت حقيقة إرادة الله تعالى فى إظهار آدم.

افتتح سبحانه وتعالى إبراز تلك الحقائق بآدام ليكاشف من اجتباهم بحقيقة نشأقم الأولى أنها من أركان الوجود : التراب ، والماء ، الهواء ، والنار فيعلم الإنسان نشأته الأولى فيقف موقف العبد خشوعا لربه ؛ ولذلك فالله تعالى كرر تلك الحقيقة فى القرآن أكثر مما كرر غيرها ، وهى الدواء الأخير لمرض الشرك المترل مترلة الكى فى المرض العضال ، فكما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (٤) فأثبت أن نشأة الإنسان الأولى من طين ، أو ماء مهين ، ليستحضر عند إسباغ آلاء الله عليه رتبته الأولى ،

---

(١) سورة البقرة آية ٣١ ـ ٣٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٣ .
(٣) سورة طه آية ١٢١ .
(٤) سورة المؤمنون آية ١٢ ـ ١٣ .

شاكرا الله على جزيل نعماه ، وإنى أبين لك فى هذه العجالة ما يمكن أن يحيط به عبد ووجه بأنوار تلك المكانة المحمدية على قدره لا على قدر مكانتها من الله ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (١) .

الحياة .... بدءا

هى الحياة حياة مشاهد القدس | بها الصفا فى مقام القرب والأنس
حياة روحى إذا شهدت ضيا أزل | متزلا نوره من طلعة الشمس
من التترل فى حال الصفاء أرى | نور الجميل بلا عرش ولا كرسى
يستر الكون وجه الحق يشرق لى | يحيط بى فترى أسراره نفسى
كأننى فى صفا حالى له مثل | مواجه وجهه لا روض فردوس

الحياة .... قبل أطوار الحقيقة الإنسانية

حياتى بدء نور مجلى | ضيا أسماء من لى قد تجلى
و قبل تطورى قد كنت نورا | مبينا ظاهرا فى القدس يجلى
و مقتضيات أسماء تعالت | ألاحتنى مثالا لست مثلا
و لم تك (كُن) لديها حيث قدرى | بكتر الغيب فى قدر معلى
أنا رمز لقدر عز قدرا | أشير لقادر عز وجلا
و صورة مقتضى الأسماء تنبى | بقدر لا بقدر غاب أعلى
خفيت ولم أزل فى رمز ظلى | أرى للحس محجوبا ومقلى
و لم أظهر وحكمة بدء بدئى | ظهور الحق من بى ثم أولى
ظهرت ليظهر الغيب اتضاحا | بآى قبلها الهبأ المحلى
و من قبل الهبأ عمى وغيب | عن الأرواح عز فليس يجلى

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .

فاتحة الإيجاد وخاتمة الإمداد (ﷺ وآله)

يــــا أول البــــدء تعيينــــا وإيجــــادا
يــا آخــر الخــتم تشــريفا وإمــدادا

يا قبضة النور مــن غيــب البطــون ويــا
كــتز الظهــور بحــال العهــد إرشــادا

يــا شمــس قــدس أضــاءت فى منازلــة
فى يــوم واثــق أمنــاء وأفــرادا

أشرقت يــا سيدى نــورا بــه ظهــرت
كــل العــوالم أنواعــا وأعــدادا

من نورك الغيــب يــا مــولاى فى مــلأ
أعلــى ومنــه التجلــى دام آبــادا

من قبــل كــن أنــت نــور فى مواجهــة
من بعــدها أنــت شمــس الحق إيــرادا

الله واثــق بــدءا مــن صــفوا علنــا
بــالفرد نــالوا بهــذا العهــد إسـعادا

مــــولاى بايعتنــــا والله أنبأنــــا
فى (فَــوْقَ أَيْـدِيهِمْ) (١) فضــلا وإمــدادا

أنت الوسـيلة لى أنــت الشــفيع أغـث
صــبا يخــاف عــن المحبــوب إبعــادا

لا صــبر لى ســيدى حــتى أنعــم فى
قــرب بطيبــة إحســاناً وإمــدادا

نعــم عيــونى أنلــنى الوصــل متحــدا
فى طيبة أنــت حــى خــير مــن جــادا

أســعد بوصــلك مشــتاقا لــه أمــل
قد صــار يــا ســيدى بــالخير معتــادا

عودتــه فى ربيــع كــل مكرمــة
و هــا ربيــع أتــى والخــير لى عــادا

رمز بدئه وختمه (ﷺ وآله)

فى البدء كنــت جمــال الــذات تفريــدا
فى الختم صــرت ضــياء الحــق توحيــدا

من نورك العــالم الأعلــى صــفا وضــيا
بل منــه عــالون منــه الكــون تجديــدا

أفــردت للــذات مــن بــدء إلى خــتم
منك الظهــور فصــار الغيــب مشــهودا

يــا أول البــدء يــا روح العــوالم يــا
من صار لا شىء مــن معنــاك موجــودا

أبــرزت نــورا هــدى للعــالمين وفى
شــهر الربيــع لنــا أظهــرت تأييــدا

بعثــت فيــه رءوفــا رحمــة عمــت
كــل العــوالم كنــت الفــرد مقصــودا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) سورة الفتح آية ١٠ .

يا شمـــس نـــور أضـــاءت فى العـــوالم فى	كـــل القلـــوب فأنـــت البحـــر مـــوروردا
أنت الوســـيلة يـــا مختـــار خـــذ بيـــدى	حـــــتى أشــــاهد توابـــا ومعبـــــودا
بـــالآل والصـــحب والأنصـــار ســـل ربى	نيـــل العطايـــا فـــإنى العبـــد مجهـــودا
سقمى وشيبى اضطرارى يـــا أبـــا الزهـــرا	فاشـــفع إلى الله يمـــنح وســـعة جـــودا
يـــا رب واســـع إحســـان تمـــن بـــه	حـــتى أنـــال الرضـــا والفضـــل توحيـــدا
يا قابل التوب هب لى التـــوب واغفـــر لى	بـــــالروح أيـــــدنى يـــــا رب تأييـــــدا
أســـــعد بــــنى و إخـــــواني بعاطفـــــة	بالمصـــــطفى مـــــن أتـــــى بـــــالنور تجديـــدا

الفصل الثانى

الحقيقة الإنسانية

الحقيقة الإنسانية مخلوقة قبل أن يخلق الكون :

قال الله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ﴾ (١) وقد بدأ الإنسان نورا ، لأنه خلق الحقيقة الإنسانية قبل أن يخلق الكون ، والإنسان أول مراد الله ، وأول المراد آخر العمل ، فخلق الله الكون على أكمل إبداع وأحكم صنع ، لأن الحقيقة الإنسانية اقتضته ، قال الله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ (٢) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٣)

أطوار الإنسان السبعة قبل إبرازه فى الكون المحسوس :

للإنسان أطوار سبعة يتطور فيها طوراً بعد طور بدءا وختما ، فكان فى حضرة العلم ، ثم خصصته الإرادة ، ثم كان حقيقة إنسانية أمام الله تعالى بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾ (٤) والله إنما يخاطب الموجود لا المعدوم ، ثم تعلقت به كن إيجادا للحقيقة الإنسانية أولا التى هى هو الإنسان قبل بروزه فى الأعيان الكونية ، ثم واثق الأنبياء لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ثم كان يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (٥) ثم كان الخلاف بين الملائكة وبين الله تعالى ، وكل هذه الأطوار قبل إبرازه فى الكون المحسوس .

أطوار الإنسان السبعة فى الكون المحسوس :

أما الأطوار السبعة الأخرى فكان الإنسان طينا ، ثم كان نطفة ، ثم كان علقة ، فمضغة ، فعظاما ، فكسيت العظام لحما ، ثم أنشأه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٤ .
(٢) سورة الجاثية آية ١٣ .
(٣) سورة لقمان آية ٢٠ .
(٤) سورة الأعراف آية ١١ .
(٥) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

ثم جعل فوقنا سبع طرائق لا يصل الواصل إلى الله سبحانه إلا بمجاوزتها ، وهى الحظوظ الشهوانية ، ثم حب الدنيا ، الآخرة ، ثم الرؤية ، ثم الشهود ، ثم الفناء عن كل ذلك بتركه ، ثم الفناء عن الترك بترك الترك ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١) .

أطوار الحقيقة الإنسانية

تطورت فى أدوار أول نشأتى — و كنت ضياء مشرقا فى الحظيرة
و فى سر أطوارى بيان لآله — تحلى بمعنى غيب سدرة صورتى
أدور وفى سر التجلى تنقلى — و حولى نور الوجه من غير حيطة
على لقد صلى وفى الغيب محتدى — صلاة بها أخرجت من قاف رتبتى
و لم أك فى حال التجلى بظاهر — لغيرى وفى الأخفى تراءت حقيقتى
خفيت وفى الأسما ظهورى بظاهر — ظهرت وفى سر البطون معيتى
و ما أنا فى غيبى سوى نور مقتضى — معانى التجلى فى خفا آدميتى
تنقلت والأسماء مشهدى الذى — أراه بلا كيف ولا رمز نسبتى
معاليم تتريه تلوح بلا خفا — و أنوار تشبيه بمعنى علية
فما أنا فى بدئى بلون لأننى — بلا فصل والنور المقدس وجهتى
و لا وصل حيث الوجه بالنور مشرق — فحجب عنى نسبتى الأولية
فكان بطونى للمعانى مظهرا — و كان ظهورى مظهرا منه نشوتى
فلى فى بطونى مشهد بتزاهة — و لى فى ظهورى مشهد بسريرتى
فلا الكون يحجب ما شهدت بداية — و لا النور يحجب عن عيونى طينتى
تحيط بى الأنوار والوجه مشرق — قبيل « ألست » فى خفا آدميتى
و لى مشهد من دونه العقل ساجد — و فى ترك تركى فالجلالة بغيتى

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٢ ـ ١٤ .

أحن إلى بدئى الذى كنت أولا — به قبل أن ظهرت صوى بشريتى
حنين إلى نور الجلالة محرق — فأواه لو منت على بعودتى
و فى نص آى " كما بدأنا " إشارة — إلى نار أشواقى ونيران حيرتى
تحيط بى الأسوار والغيب نوره — يلوح لروحى مسعرا نار زفرتى
تحيزنى الآثار والقلب عامر — بمن لا يحيط العرش منه بآية
وسعت أيا قلبى جمالا مقدسا — لقد ضاق عنه العرش أجمل وسعة

جمال العود إلى البدء

حنين إلى بدئى قبيل وجودى — بسور العناصر فى صفا تفريدى
لدى كنت بين الحضرتين مجددا — بناحية التكوين ناحية الجود
تظللنى الأوصاف قبل عناصرى — و تشتاق لى الأرواح فى التفريد
و لى وجهة للروح فى العلم أولا — و لى وجهة للأين فى التلمود
و لا ظل لى والعلم يثبت رتبتى — و فى العلم كشفى صح بالمعبود
أنا العبد فى العلم اللدنى رتبتى — أنا مظهر لظهوره التوحيدى
أرى ظاهرا فى ظل أوصافه التى — ظهرت بها فى العلم حال عهودى
يعاهدنى فى حضرة العلم إننى — حملت أمانته بلا ترديد
و لم أحملها فى قيود عناصرى — و من آدم حملت بالتأييد
تحملتها إذ ابن آدم ليتنى — أبيت وكنت الترب فى التحديد
لقد عرضت قبلي على الأرض والسما — أبين احتمال أمانة التجديد
تحملتها قهرا بميراث آدم — و تلك الجوارح فى ظلام صدودى
أيا روح قد ووثقت قبل عناصرى — و كنت بها فى العهد حال صدودى
تحمل عقلى بل وروحى عناصرى — أمانة ربى والرضا مقصودى
و لكنه بالفضل منه ولا أنا — و لا حول لى يقوى بقيد جهودى
و لا شيء كنت ولا أزال كما أنا — به قوتى والحول فضل رشيد
أقول أنا حال العبودة واجدا — حقائق توحيد بلا ترديد

علــى الرضـــا عنـــه لكـــل مقــدر   و سخطى على نفســى فخـل شــهودى
أقمــنى عبـــدا مخلصـــا لـــك سـيدى   و كـــن لى ربـــا فى مقـــام شـــهيد

حضرة كن

" كن " فى الوفا مــرأى عيــون الــروح   ولـــدى الصـــفا أرأى ســـنا الســـبوح
تجلــى لقلــبى فى الصــفا شمــس الخفـا   فى أفـــق أعلـــى بالضـــيا التصـــريح
" كن " قبــل تكــوينى نعــم لى محتــدى   تـــنبي عـــن الأســـرار بـــالتلويح
أخفـــت معـــالمى الأولى بضـــيائها   حـــتى بـــدا الإطـــلاق بالتوضـــيح
فى " كــن " أنــا نــور جلــى مشــرق   خـــاف فـــلا أدرى بغـــير الـــروح
مــن قبلــها فى العلــم كنــت مخاطبــا   ســـرى خفـــى لا تفيـــه شـــروحى
أزلا لقـــد خوطبـــت فى الأعـــراف فى   آى الســـــــجود لآدم ممنـــــــوح
كشــف عيــان " كــان " لا فى حيطــة   فى حظـــوة التقـــديس والتســـبيح
العلــم حيطــة صـــورتى وحقــيقتى   و الوجـــه نـــور مشـــرق للـــروح
حــتى بــدا عهــد (ألســت) بحــيطتى   فيهـــا ســـترت بعهـــده التصـــريح
عهـــد بـــه فصـــلى ووصـــلى بغــيتى   حاشـــا أميـــل عـــن الضـــيا الســـبوح
فى الصـــفو يحلـــو لى اتحـــادى والوفـــا   يحلـــو بـــه التفصـــيل حـــال ســـبوحى

الفصل الثالث

ميثاق النبيين

من أسرار ميثاق الرسل :

خلق الله حبيبه محمد ﴿ﷺ وآله﴾ من نوره ، فهو العقل الأول الذى نظر إليه بدءا وخلق لأجله العالم أجمع ، وتجلى فيه تجليا عاما حتى شوهدت تلك الأنوار القدسية لأعلى عليين ، ولعالين ، وللملائكة عمار ملكوت الله تعالى ، فكان آدم مظهر شهود تلك المعانى للملائكة ، ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المظهر الأكمل لشهود تلك الغيوب القدسية للعالم الروحانى العالى والأعلى ، وبتلك الجمالات نفسها زج به فى نور القدس ، ووقف جبريل الذى هو الروح الأمين دون سدرته المحمدية قائلا : لو تقدمت لاحترقت .

واثق الله الرسل بدءا له ﴿ﷺ وآله﴾ فكان المواثق (بكسر الثاء) هو الله والمواثق (بفتح الثاء) حقائق الرسل صلوات الله عليهم ، فأشهدهم سبحانه وتعالى ظهوره حقا فى حقيقة حبيبه ومصطفاه ، ليلحظوا بالعيون التى وهبها لهم محاب الله ومراضيه فيما تقتضيه تلك الحقيقة ، فصارت بكمال الاستحضار معالم بين أعينهم فى طورهم الدنيوى ، يمثلونها للأمم ، ويرسمون صورها على جواهر نفوس العالم ، وتشرق بهم شمسه ﴿ﷺ وآله﴾ ، و لم يخل سفر من الأسفار من لدن آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام إلا وتجمل بذكر اسمه ، والحث على اتباعه والتوسل إلى الله تعالى بجاهه ، كتم ذلك أعداء الحق من أهل الكتاب ، ولكن القرآن الكريم بين لنا ذلك جليا .

قام الله لحبيبه بدءا ، وأقام حبيبه مقامه ختما ، فقال سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (١) فانظر بعين روحك واصغ بآذانها ، احجب عن أذن حسك وعقلك ، فإن المقام فوق العقول ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم .

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .

بعث الله الرسل قبله ، بما لابد لأهل كل زمان من الكمالات التى بها يكون الناس فى أمن وأمان ، وعلم بما يجب عليهم ، حتى تم الدور ، وتأهل الناس للكمال المطلق ، فأشرقت تلك الشمس الكلية بكل الكمالات التى منحها الله الرسل منه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فكان ما جاء به الرسل قبله كمالات نابوا فى تبليغها عنه ، وهو ﴿ ﷺ وآله﴾ أصل تلك الكمالات ، فلما أشرقت شمسه ، أشرقت بالكمال المطلق الذى يدل عليه قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ (١) .

من أسرار القرآن فى الميثاق :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٢) .

قبل أن نتكلم على تأويل هذه الآية الشريفة نلمح إلى رذاذ من شميم الأرواح . . معلوم أن الذى يذكر بحادث عظيم لابد وأن يكون شهده فى آية ، فإذا ذكر به استحضره تمثيلا فكان كالحاضر ، لأنه مرسوم على جوهر النفس .

يذكر الله الذين أشهدهم ميثاق أنبيائه قبل عهد (أَلَسْتُ) كما بينه سبحانه فى هذه الآية ، وهم الذين أخبرنا الله عنهم أنه رضى عنهم ورضوا عنه من أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، بل ومن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، ممن ورثوا تلك المكانة أو أقامهم الله ابدالا لرسله صلوات الله عليهم ، أو أكرمهم باختصاصهم بالوراثة من مقام الرسالة ، أو من المكانة الأحمدية ، لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ ﴾ أى : واذكروا وقت أخذ الله تعالى ميثاق النبيين .

إشارة علية إلى أن هذا الميثاق استجلاء لكمال الأسماء والصفات الإلهية ، و هو فوق مقام عهد (ألست) الذى هو ظهور لمعانى صفات الرب جل جلاله بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .
(٢) سورة آل عمران آية ٨١

أَخَذَ رَبُّكَ ﴾ [١] ، وبين المشهدين كما بين الرسول والمؤمن التابع ، فهذا الميثاق برهان على المكانة الأحمدية ، فإن الرسل بالنسبة له ﴿ ﷺ وآله﴾ أمة وهو رسولها ، وهذه المكانة هي ولايته ﴿ ﷺ وآله﴾ على جميع الرسل.

و مثال ذلك أنك ترى مجلسا جمع أهل العلم والهدى والتقوى ، ورجلا هو وليهم و هم أتباعه ينصرونه ، فكذلك رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ هو رسول مثل الرسل ولكنه عليه الصلاة والسلام ولى الرسل بتصريح هذه الآية الشريفة . ومعناها واذكروا وقت أخذ الله ميثاق الأنبياء كما هو صريح الآية ، وإن فسرها بعض المفسرين بأنه أخذ ميثاق الأنبياء على أممهم .

﴿ لَمَا آتَيْتُكُم ﴾ ورد فى اللام الفتح وتكون ما اسم شرط جازم أو اسم موصول ، و ورد فيها الجر وتكون ما مصدرية والمعنى : لأجل ما آتيتكم .

﴿ مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الكتاب هو ما أنزله الله تعالى على كل رسول مشرع ، و الحكمة ما تفضل الله به على الأنبياء من العلم ببيان الكتب والعلم بمحاب الله و مراضيه .

﴿ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ ﴾ والمراد بالرسول هو محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ . ﴿ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعنى مؤيد لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى ، وإن خالفت شريعته شريعتهم فى فروع الفقه والمعاملات ،و فى تفصيل إجمال علوم التوحيد وأسرار غيب الأسماء والصفات والحكم والآداب ، فإن ذلك مقتضى بعثة خاتم الأنبياء صلوات الله عليه و عليهم الذى أخبرنا الله بما تفضل به علينا بسببه لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ [٢] فإن كل رسول بعث قبله جاء بما جاء به من كان قبله وزيادة ، حتى أتم الله دينه ، وأكمل نعمته على العالم أجمع ببعثة حبيبه محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٢) سورة المائدة آية ٣ .

و هذه الآية الشريفة جاءت فى سياق بيان فضله ﴿ ﷺ وآله﴾ وإثبات رسالته لتقوم الحجة على وفد نجران من النصارى وعلى اليهود فى البيان السابق فى المباهلة والبرهان ، و هذه الآية خاصة بمحمد ﴿ ﷺ وآله﴾ دون غيره من الأنبياء . ﴿ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ ﴾ ومعلوم أن ﴿ ثُمَّ ﴾ للتعقيب والتراخى ، ولا يكون التعقيب والتراخى إلا بعد النهاية وطول المسافة .

﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ اللام هنا للقسم وتؤمنن مؤكد بالنون ففيه توكيدان ، وإن كانت الآية توحى على كل نبى لو بعث رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى عصره توجب عليه أن يؤمن به وأن ينصره ، فكيف يكون الحال بغير الأنبياء من أتباعهم وغيرهم ، فيكون الإيمان منهم به ونصرهم له من باب أولى .

و فى تلك الآية من بيان قدر رسول الله ورفعة شأنه لديه جل جلاله ما فيه ، مما لا يخفى على من فقه خطاب الله تعالى .

﴿ قَالَ أَأَقْرَرْتُم وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ على هذا التأويل يكون الاستفهام تقريريا ، ويكون الخطاب من الله لأنبيائه وهو تأويل على عليه السلام وابن عباس و غيرهما من أئمة الصحابة ، رضوان الله عليهم ، والإصر : هو العهد الوثيق المعقود على كمال الإيمان والتسليم.

﴿ قَالُواْ أَقْرَرْنَا ﴾ أى : قبلنا وسلمنا بيقين .

﴿ قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أى : بينوا هذا الميثاق لأنفسكم و لغيركم بالحجة ، حتى تفوزوا أنتم وغيركم بما وعدت به من آمنوا برسولى محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ونصروه.

غوامض أسرار ميثاق الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم

من البدء فى الميثاق بدء حنينى إليك أيا شمس الهدى التعيينى
أضأت على الأرواح فى الصفو مشرقا فكنت إمام الرسل بالتمكين

فواثقهم فى البدء للفرد عوهدوا … و منك لقد شربوا طهور معين
فكنت بمشكاة النبيين سيدى … حقيقة مصباح ضيا المكنون
رأتك نعم أرواحهم فتهيموا … فكانوا هموا الأمنا لحمل الدين
أنابوا عن الشمس العليه قبل ما … تلوح على الآفاق فى التكوين
فكانوا هموا المثل العلية بينوا … مقامك بالتلويح والتبيين
نعم أنت نور الله فى نص آية … لكل رسول بل وكل أمين
مقامك فوق العقل قدرا ورفعة … فأظهر جمالك كى تراك عيونى
مكانتك العلياء غيب عن النهى … لأنك ظل الله فى التعيين
لقد واثق الله النبيين سيدى … لينتظموا فى حصنك المأمون
فكنت إمام الرسل بدءا وخاتما … و مبناك للأمناء حصن حصين
و معناك يا خير النبيين غامض … عن الروح فى غيب الخفا المضنون
ظهورك فضل الله رحمته لنا … هو الشمس قد لاحت بأفق مبين
و من فوق أيدينا يد الله سيدى … لدى بيعة الرضوان حق يقين
أحن ومن بدء حنيني وهفتى … إلى نورك القدسى لا للعين
أيا رحمة الرحمن يا نوره الجلى … تعطف بوصلك للفتى المسكين
أمد معنى منك بالروح سيدى … و فى طيبة نعمه بالتعيين
لك الجاه عند الله يا نور قدسه … توسلت كن لى منجدى ومعينى
فقد زاد هيمانى إليك تولنى … فأنت بنا أولى صريح الدين
رءوف رحيم سيدى ووسيلة … لنا نظرا قد طال فيك حنينى
أحن إلى روض بطيبة مشرق … لأحيا مهنى فى مقام مكين
ألا نظرة يا سيد الرسل بالصفا … بها أشهد النور الذى فى نون
بها أهنى فى جوارك آنسا … بوجهك فى روض الرضا المأمون
لقد طال تحنانى وأنت وسيلتى … إلى الله أدركنى وخذ بيمينى
بجاهك عند الله أسأل موقنا … بنيل الذى أرجوه من كينون
و فى " والضحى " أولاك ربك ماتشا … تدارك رسول الله أهل الدين

الفصل الرابع

يوم " ألست "

من أسرار يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [1] :

الحق تنزه ، إنما تظهر تجلياته للأرواح التى صفت أجسامها عن التعلق بالأغيار ، وهو سبحانه قد ظهر لها مظهرا مطلقا عن التقييدات ، باسم له الحيطة على جميع آثار الأسماء وصفاتها فى مقام ﴿ أَلَسْتُ ﴾ ، ثم قيد هذا المظهر المطلق بما تجملت به حضرة العوالم الناسوتية ، من معانى ما أفاضه عليها ، فمالت الأرواح المجردة إلى شهود ما تجلى لها فى هذا المشهد العام المطلق ، وعند هبوطها من أوج الرفعة إلى حضيض السجن الآدمى ، عرجت بالميل الشديد إلى هذا الجمال ، فتقيدت بما مال إليه هذا السجن وهيأه لها ، وأيقنت أن هذا هو عين ما شهدت ، وغفلت عن عهود الارتباطات المظهرية التى أخذت عليها منها عند التلذذ بسماع الحقيقة السرية ينادى :

﴿ أن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [2] .

و لما أن تجلى الحق سبحانه بصفات الجمال الإلهى ، الذى نشأ عن دائرة :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [3] نبه تلك الأرواح تنبيها مقيدا بنداء : (ورحمتى سبقت غضبى) [1] برمز خفى فى الظاهر ، مكشوف بالباطن ، تسطع أنواره على الأرواح ، فتكاد

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٢) سبق تخريجة
(٣) سورة الأعراف آية ١٥٦ .

من شدة الميل إلى هذا المشهد أن تمزق هذا السجن ، ولما كان ولابد لشهود الحقائق المجلوة عن الذات المقدسة بتجليات الأسماء والصفات فى آثارها ، كان للناسوت سر يتوقف عليه الكمال الكونى ليثبت ما تقرر فى الذكر الحكيم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) مفسرا بما وضح من : (كنت كنزا مخيفا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى) (٣) تنزل جل جلاله تنزلا حنانيا وداديا ، فجمل أولى العزم بكشف ما تجمل به هذا النوع الكامل فى الجنس لدى حضرة المجلى الذاتى ، فملك جميع عوالم ناسوهم لعالم لاهوهم ، فأداروا تلك العوالم الناسوتية ، على طبق ما تعلقت به حضرة تجليات الأسماء والصفات عن الحكم السرية ، ليرى ويسمع ويذوق ويحس من مال عن تذكر حضرة سماع الخطاب فى مقام : ﴿ أَلَسْتُ ﴾ وتظهر تلك الأوصاف الجمالية الأنوار الملكوتية عن الميل إلى غير ما هى له ، فتتحول تلك الأوصاف عن نسبتها إلى القائمة به ، وتثبت للمفاضة منه ، و لديها تحن الروح وتتشوق إلى أصلها ، وتميل إلى تلقى الأسرار بشوق شديد ، وعزم أكيد ، فيكشف هذا الكامل عند شروق شمس تقوى اللاهوتية على الميول الناسوتية بما مالت إليه ، ويثبت الحقائق ويزيل الحجب .

و لذلك فإنه لم يأت نبى و لم يبعث رسول إلا ويبتدى دعوته بتطهير القوى الناسوتية من الخصال الوحشية ، وأخلاق البهائم ، وبعد ذلك يفك طلاسم الأقفال عن شموس الحقائق ، وهذا هو السر الذى تنظم به الكون . ولما كانت الأنوار المحمدية قبلا و بعدا نسخت كل شريعة بارتفاع مشرعها ، لأنهم نواب عن حضرته ، منتظرون لظهور أنواره ، ولو ثبتت شرائعهم لم تتحقق النيابة المطلقة ، و لم يظهر سر :

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ١٥ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٥٥ وكتاب بدء الخلق الباب الأول ومسلم فى كتاب التوبة الحديث رقم ١٤ – ١٦ وابن ماجه فى كتاب الزهد الباب ٣٥ وأحمد فى الجزء الثانى فى صفحة ٢٤٢ ، ٣١٣ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ، ٣٩٧ ، ٤٣٣ ، ٤٦٦ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٣) أورده السيوطى فى كتاب الدرر المنتثرة ١٢٦ .

﴿ فقبضت قبضة من نورى ﴾ ولا انجلت دقائق العهود المأخوذة على المرشدين قبل من الذات عندما عاهدهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

و مثبوت أن النيابة قبل ظهور شمس عوالم ناسوت هذا الأصل الأعظم ، يلزم أن تكون بنور الوحى الإلهى ، كل بحسب ما اغترفه من هذا البحر النورانى ، وما شربه من هذا الشراب المحمدى ، فكان الأمر كذلك بالوحى ، ولما أن تجلت شموس المسرات على جميع العوالم بأسرها بظهور هذا الناسوت ، أفيضت الكمالات الإلهية على جميع عوالم المادة من رحيق : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٢) ومكثت تلك الأنوار تلمع من هذا الأفق العظيم ، والأسرار من هذا البحر العميم ، على النجائب الروحانية ، المعززة بالفتح المحمدى ، المحفوظة بالإلهام الإلهى ، على قلوب نواب حضرته ، فكانوا فى الحقيقة كنوابه السابقين بحقيقة (العلماء ورثة الأنبياء) (٣) .

ولما كانت الدعوة به كان المرشد الكامل النائب عنه بعده ثابت القدم فى دائرة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٤) مرفوع الرتبة بحكم الوراثة الأكملية ، فلا يكون المرشد كاملا إلا بعد تحققه بهذه الوراثة ، وهذا هو سر الدعوة إلى الله تعالى ، فافهم و تأمل ، والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم .

نعم من " ألست " شاهد القلب مولاه ... دعاه إلى التوحيد بالصدق لباه
تجلى لنا بألست بالنور ظاهرا ... و أشهدنا جهرا ولاح ضياه
عشقناه لما أن تجلى بوجهه ... سقانا طهور العشق صرف حمياه
و لما تجلى للنفوس بنوره ... تنزل بالإحسان جل علاه

---

(١) سورة آل عمران آية ٨١ .
(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .
(٣) رواه البخارى فى التاريخ الكبير ، وغيره
(٤) سورة الفتح آية ٢٩ .

يوم " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " ويوم الموعد :

قال تعالى : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ (١) خلق الله العالم أجمع ، ليظهر جل جلاله بآثار قدرتـه وعجائبـها ، وأسرار حكمته وغرائبها ، واقتضت حكمته جل جلاله أن يظهر فى أول الخلق أمام الأرواح ، ظهـورا بـلا حجـاب ، يأخـذ إقـرارت خلقـه علـى أنفسـهم بقولـه سـبحانه : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (٢) فأقروا واعترفوا بأنه جل جلاله ربنا ، بقولنا جميعا " بَلَى " ثم إنه جـل جلاله عاهدنا لعلمه أن تلك الأرواح المجردة ، إذا لابست الأجسام المحدودة ظللتـها بظـلال سفلها ، فأنستها عهد ربها جل جلاله ،أو سترتها بظلمات حظوظها وأطماعها فتناست هـذا العهد ، فقدر جل جلاله أن يعيد من نسى ، أو تناسى إلى ما كان عليه من الصفاء ؛ إقامـة لحجته ، فكان ما أراده جل جلاله ، وتحقق العالم بحقيقة أنهم عبيد الله ، وأنه الرب المبـدىء المعيد ، وقامت الحجة بالنسيان أو التناسى ، فاستحقوا بذلك ما حكم به عليهم فى الـدنيا ، على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، من انتقام بالخلود فى النـار ، أو مـن عقوبـة للتطهير ، أو من عفو ومغفرة ، مقرين أن ذلك عدل منه .

و أما من سبقت لهم الحسنى ، فإنهم عند ربنا لا يمرون على صراط ، ولا يرون نارا ،قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣) وهذه الآية الشريفة خبر من الله تعالى ، يبين ما تكون عليه حال مـن كفـروا بالله، كفروا برسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أو من آمنوا وخالفوا وصايا رسول الله ﴿ ﷺ وآلـه﴾ ، فأما من كفروا بالله فيخاطبهم بقوله : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً ﴾ .

---

(١) سورة الكهف آية ٤٨ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٣) سورة الأنبياء آية ١٠١ ــ ١٠٣ .

سماع الخطاب المقدس يوم " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " :

أغمض عينيك عن نفسك ، وعن كل غير الله تعالى ، فإنك فى هذا المقام تحترق صفات آدميتك بنار القرب من الله ، وهذا هو مقام حال الغيبة الذى أخرجك به الله من ظهر آدم ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾ (١) وأهلك لسماع خطابه المقدس ، وخصك بلباس التوحيد ، وحلة المشاهدة ، وكلما كنت غائبا عن نفسك ، كنت حاضرا مع ربك وجها لوجه ، لكن إذا حضرت مع صفاتك ، كنت غائبا عن معية الله تعالى ، وحيث كان ذلك كذلك ، فحضورك هلاكك ، وهذا المعنى من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٢) .

و المتمكن يرى أن الغيبة والحضور ، اصطلاح لمقامين ، ولو اختلفا لفظا إلا أنهما اتحدا معنى من كل الوجوه ، فالحضور هو حضور القلب ، ليكون علامة على اليقين ، حتى يكون ما هو غيب محض عنه فى قوة ما هو مشاهد له ، والغيبة هى غيبة القلب عن كل ما سوى الله تعالى ، حتى يكون غائبا عن نفسه ، وغائبا عن غيبته ، وبذلك لا يعتبر نفسه ، وعلامة ذلك حال صادق لا يخرجه عن حكم الرسوم ، فهى فطرته ، و هى كالعصمة للأنبياء، من كل ما يخالف الشرع ، لذلك كانت غيبة الإنسان عن نفسه حضورا مع الله ، والعكس بالعكس ، والله تعالى هو المسيطر على قلوب بنى آدم ، فإذا قهرت الجذبة الإلهية قلب طالب ، كانت غيبة قلبه متساوية بالحضور مع الله تعالى ، وانمحت الشركة والقسمة ، وانتهى النسب الذى يدلى لنفسه .

(ألست) موطن الأبرار

هى الوطن المحبوب للأبرار   و قبل " أَلَسْتُ " موطن الأخيار
إليه حنين العارفين وشوقهم   و لم يحجبن عنهم بذى الآثار
و كن مطلب الزهاد جدوا لنيلها   و كان مراد الفرد للمختار

(١) سورة الأعراف آية ١٧٣ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩٤ .

و كـــون الفنـــا للغـــافلين تهيمـــوا ... بزهرتـــــه حـــتى رمـــوا فى النـــار
رأوه لهـــم وطنـــا فجـــدوا لنيلـــها ... فحجبـــوا عـــن الآيـــات والأنـــوار
و أهـل الصـفاء القـدس لهمـو مطيـة ... فســـاروا بـــه لحقيقـــة الأســـرار
أبـــوا أن يـــروه مـــترلا فتجـــردوا ... عـــن الحـــظ فى طلـــب العلـــى البـــارى
إلى الله ســـاروا والكيـــان مطيـــة ... و قـــد واصـــلوا الآصـــال بالأســـحار
رأوا زينـــة الـــدنيا وبهجـــة أهلـــها ... ســـرابا وليســـت عنـــدهم بقـــرار
أقـــاموا بهـــا غربـــاء والحـــق أنســـهم ... علـــى الشـــرع بـــين الفكـــر والأذكـــار
بـــأرواحهم فى حضـــرة القـــدس متعـــوا ... و أبـــــدانهم فى الكـــــون والآثـــــار
تكشـــفت الـــدنيا لهـــم عـــن مآلهـــا ... فلجـــــأوا إلى التـــــواب والغفـــــار
رأوهـــا غـــرورا زائـــلا فتجنبـــوا ... معاملـــــة الجهـــــلاء والفجـــــار
نعـــم عـــاملوا مولاهمـــو بقلـــوبهم ... و ســـلكوا ســـبيل منـــاهج الأخيـــار
فضـــافاهمو مولاهمـــو واصـــطفاهمو ... لحضـــــرته وحبـــــاهمو بفخـــــار
بـــه أنســـوا فى كـــل مـــا هـــو ظـــاهر ... مـــن الآى والآثـــار والأطـــوار
فهـــم معـــه فى كـــل حـــال وهـــم بـــه ... شمـــوس هـــدى فى أفقـــه للســـارى
و هـــم أنجـــم وراث طـــه تـــلألأت ... بهـــم وجـــه التشـــريع كالأقمـــار
و مـــن يـــده شـــربوا طهـــور شـــرابه ... مواجهـــة فضـــلا بـــلا أســـتار
عليـــه صـــلاة الله فى كـــل لحظـــة ... صـــلاة بهـــا نحظـــى بكـــل فخـــار
و آل وأصـــحاب كـــرام أئمـــة ... و مـــن ورثـــوا الأحـــوال بـــالأنوار

من أسرار القرآن في " أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ " :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١) واذكر وقت أخذ ربك ذرية بنى آدم من ظهورهم ، ووقت إشهاده إياهم على أنفسهم قائلا لهم سبحانه :

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ومعنى هذه الآية الشريفة أن الله سبحانه وتعالى أخذ من ظهر آدم ذريته الأنبياء وواثقهم على أن يبلغوا عباده ما بعثهم به ، وهذا هو ميثاق الأنبياء الذى سبق أن واثقهم به فى عالم النور لنصرة خاتمهم ﴿ ﷺ وآله﴾ ، ثم أخذ من ظهر آدم ذريته وذرية ذريته إلى يوم القيامة كالتوالد سواء بسواء ، ولم يقل يأخذنا من ذرية آدم ، بل قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ لأن ذلك معلوم ، والعودة إلى قوله : ﴿ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ يبين أن الأخذ كان كالتوالد ، وكل مخلوق من بنى الإنسان أخذ من ظهر أبيه كالذر ، إلا أنهم يعقلون ما يخاطبهم الله تعالى به ، فكشف الله الحجاب لهم عن جماله العلى حتى شهدوا بإشهاده تعالى لهم ، وبعد أن أشهدهم أقام عليهم الحجة الاعترافية بقوله تعالى فى خبره عن قولهم ﴿ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ﴾ وبعد كشف الحجاب صار كل من أشهده الله هذا الجمال معترفا بأن المشهود المتكلم هو ربه ، ولذلك قالوا : ﴿ بَلَى ﴾ أنت ربنا لا شك ، ولسابق علمه جل جلاله فيهم بأنهم إذا لابست أرواحهم أشباحهم أنستهم لوازمهم الكونية وحظوظهم وملاذهم هذا المشهد الربانى فأخذ عليهم العهد والميثاق بقوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ أى : احذروا أن تنسوا هذا المشهد العلى الجلى الذى اعترفتم فيه بربوبيتى لكم ، فإذا جئتم يوم القيامة وسألتكم عن هذا المشهد تعتذرون إلى فتقولوا ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ فإننى لا أقبل بعد هذا الشهود عذرا .

قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (1) وهذ الآية حجة قائمة على أنه سبحانه لا يقبل عذر معتذر بعد هذا الدليل الواضح ، ومعناه احذروا أن تعتذروا لدى يوم القيامة بقولكم ﴿ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ﴾ أى : من قبل وجودنا وكنا ذرية لهم من بعدهم فوجب علينا بحسب العادة أن نقتدى بآبائنا .

قوله تعالى : ﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أى : أتهلكنا فتدخلنا نار جهنم يوم القيامة بفعل آبائنا الأولين الذين أشركوا بك من قبل وجودنا ، وهذا اعتذار لا يقبل ، لأن الله

---

(1) سورة الأعراف آية ١٧٣ .

تعالى جمع الآباء والأبناء جميعا فى صعيد واحد ، وكشف الحجاب عن جماله ، وأشهد الكل بعيونهم ، وخاطبهم جميعا بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فأقروا بربوبيته جل جلاله بعد العيان لا البيان .

و هنا سر خفى ، وهو أن جميع بنى الإنسان شهدوا واعترفوا وزادهم الله فضلا منه بأن بعث فيهم أنبياء ورسلا ذكروهم بهذا العهد الأزلى وعاهدوهم عهدا ثانيا ، فمن آمن بالعهد الثانى نفعه الله بالأول والثانى ، ومن كفر بالعهد الثانى أهلكه الله بالأول و الثانى ، ومن هذا يظهر أن الرسل عليهم الصلاة والسلام وورثتهم أقامهم الله تعالى يذكرون عباده عهدهم الأول ، قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) و لا تكون الذكرى إلا بما عرف ثم نسى لطول المدة ، ومن ذكر فإن عهد (أَلَسْتُ) يكون حجة ، لأن الجميع قالوا : ﴿بَلَى ﴾ وقولهم : ﴿ بَلَى ﴾ ابتلاء عظيم من الله ، لأنه سبحانه جمع لعباده فى هذا المشهد جميع ما أراده لهم من سعادة ، فمن قال :

﴿ بَلَى ﴾ وسبقت له الحسنى قالها بقلبه ولسانه ، ومن قال : ﴿ بَلَى ﴾ و لم يسبق له الحسنى ولكن سبقت له السوءى كان هذا المشهد حجة عليه يوم القيامة ، ومثال ذلك أن يعترف الرجل بما عليه من دين لرجل آخر ، ثم ينكره عند حلول أجل السداد ، فإذا ذكر به لا يذكره ، وإذا استحضر لم يستحضره ، والله تعالى جعل عهد (أَلَسْتُ) لإقامة الحجة ، وأعقبه بعهد الرسل لبيان المحجة ، فمن ذكر بهما فذكرهما فر إلى الله ربه بقلبه وقالبه ، لأن الذكرى نفعته وزادت فى إيمانه وكشفت له مشهد (أَلَسْتُ) واضحا جليا ، فشاهده مع إخوانه من أهل السابقية ، وليس لمنكر حجة على الله ، لأن قضاء الله وقدره محجوبان عن البصائر قبل الأبصار، والسابقة والخاتمة مجهولان للمؤمنين قبل الكفار ، وهذا هو الأمر الذى أذاب قلوب الأبرار ، وحثهم على القيام بفرائض الشريعة ونوافل السنة ليل نهار ، كما أخبرنا الله العزيز الغفار بقوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾ حتى إذا أصبحوا من بياهم دعوا

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ .

الله تضرعا و خفية ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامـاً ﴾ [1] ، وذلك خوفا من سلب الإيمان لجهلهم بما ستكون عليه السوابق والخواتيم .

لا ينفع الإنكار مع قيام الحجة :

قال تعالى : ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ معنى هذه الآية الشريفة أن الله تعالى يواثقهم بعد أن أحضرهم فأشهدهم على أنفسهم وكشف لهم الحجاب فرأوا جماله العلى ، ثم خاطبهم بكلامه المقدس قائلا لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فأقروا جميعا بقولهم ﴿ بَلَى ﴾ ، بعد أن جمع الله لهم مرادهم منه سبحانه الذى قدره عليهم أزلا ، ثم أكد هذا المشهد وقواه بالميثاق بقوله : ﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ أى :

أعاهدكم لئلا تقولوا يوم القيامة عند حسابكم جزاء إنكاركم ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ أى : ساهين ﴿ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ أى: أن تقولوا معتذرين أمام الحساب إنما أشرك آباؤنا من قبلنا وكنا فى الدنيا ذرية لهم ، مقتدين بما كانوا عليه ، متمسكين بما ورثناه منهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون " الهمزة " للاستفهام الإنكارى " تُهْلِكُنَا " أى : تعذبنا عذاب إهلاك كما أهلكت آباءنا الأولين الذين أبطلوا الحق وابتدعوا غيره بأهوائهم المبطلة ، وهنا قامت حجة الله البالغة ببيعة الرسل الكرام مذكرين لهم هذا العهد الأول ، فبطلت حجة القوم ونفذ مراد الله تعالى فيهم عدلا ، لأنه عاهدهم سبحانه فى مشهد (أَلَسْتُ) وأرسل إليهم رسله عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [2] .

حقيقة الحياة فى (ألست)

حياتى فى " أَلَسْتُ " هو انفصالى و محتد نشأتى نور الجمالى
حياتى فى صفا " كُنْ " بدء وصلى و جمع حقيقى حيث اتصالى
حياتى فى ضياء العلم غيب به أنا غيب غيب فى الجمال

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٥ .
(٢) سورة النمل آية ٨٥ .

حياتى مقتضى النعموت كتر — به المجلى يلوح على النوال

حياة مسرتى فى قدس مجد — أنا الروح العلى بلا انفصال

بها أنسى وكم ووجهت فيها — بأنوار البها بصفاء حالى

أحن إلى الحياة حياة بدئى — و قد حيزت فى كون الخيال

و أنسى بالحياة قبيل كونى — له أشتاق والبشرى توالى

و حتام الحنين ووجه ربى — إحاطته تبين لى وصالى

أحاط الوجه بى والشوق ينمو — عجبت وقد أعدت به لعال

أيا بدئى وكونى سور رسمى — هل الأسرار قد أبدت ظلالى

و مالى والحنين وقد تراءى — جمالى أولا بضيا مآلى

أللأنوار فى الملكوت شوقى — أم الشوق العلى لذى الجلال

أعدت به لبدئك فى شهود — فما هذا الحنين مع الوصال

أحن إلى اتحادى فى انفرادى — بلا حجب بفصل واتصال

أرانى ثانويا فى اتصالى — لأن الوصل نسبة كل خال

و ما وصلى وفي وصلي انفصالى — و قد جاوزت رتبته بقالى

لغيب الإتحاد لنور شوقى — أكون به له فيه بحالى

أغيب فى وجودى عن شهودى — فيسترنى ويظهر بالكمال

لديها لا أحن لغير ذاتى — و شوقى بى إذا غيبى بدا لى

يقدس بى مكان كنت فيه — تبارك نار مترلتى مثالى

و ما حولى يبارك بانفرادى — و تفريدى به محوى حلالى

بدت أحدية بضيا بهاها — و كان " بكن " بدا كل الرجال

و " كان " نعم مرادى فى انفرادى — و " كُنْ " جاوزت ر تبتها بوال

و كنت أحن قبلا للتجلى — و قد لاحت ألست بلا ظلال

و لم يفن حنينى واشتياقى — إلى قدس الجلالة والجمال

جمال التجلى يوم (ألست)

ما حياتى الأولى بيوم " أَلَسْتُ " — إذ تجلى وقد دعا وسمعت
هى مبدأ نشأتى واتصالى — كيف هذا وقبلها قد علمت
كان منها فصلى وكنت ضياء — ظاهرا قبلها به أشرقت
عند مجلى الصفات كوكب درى — مثلى النور والمعانى شرحت
كوكب مشرق بأفق المجالى — و حوالى كمال ذاتى طفت
ميزت رتبتى فلاحت رسومى — قيدت نسبتى وتلك "ألست "
كنت قبل العهود فى غيب غيب — لا أرانى وكم لأصلى شهدت
أخفت السر بالعهود وشأنى — صار شأن التحديد منها حجبت
آه لولا العهود لاحت معانى — تمحق الثانى الذى قد رأيت
من أنا غيرها وما ثم غير — وأنا الغير وى كأنى جهلت
يا ألست من الذى قد تجلى ؟ — آه لو أننى بسرى أبحت
صار وصلى فصلا وفصلى مشيرا — و ابتدا الفصل يا نديمى " أَلَسْتُ "
حجبتنى الغيوب قبل انفصالى — و بنور الأسماء منها حجبت
كان عهدى فصلى وكيف اتصالى — بعد أنى عبد بذلى رفعت
ما اتصالى بعد انفصالى إلا — باحتجابى عن كل ما قد شهدت
بفنائى عنى به ووجودى — بمعان بها له جملت
و بقربى لا باقترابى وعلمى — و بسلب الظلال حتى فقهت

الفصل الخامس

آدم عليه السلام

من المضنون :

أجلى فيك ما به التعريف لو فقهت ، ومنحك نورا به التعرف لو علمت ، كما منحك أن تراه فيك وفى الآفاق ، بما اقتضته أسماؤه من الأخلاق ، فكنت مظهرا لظهوره ، أمرك لتظهر مقتضى حكمة إيجادك ، وهى ظهور عبوديتك ، ووفقك لتكون خليفة عنه فى الملك الصغير ، وسيدا وجيها متصرفا فى الملك الكبير ، فأظهر صفاتك للعالم بك فيك ، وأعد لك فيك وفى الآفاق ، من المشاهد العلية ، ما لا تبلغ ذوقه الكروبيون .

و أن تدرك منه سبحانه ما ذقته فيك وفى الآفاق ، وما فوق ذلك من الكمال مما تذوقه فى شيء من غيره فذلك ما لا تدرك ، لأنك لم تذقه ، والذوق فوق العلم ، ولن يدركه أحد من العالمين ، فإننا إنما ندرك منه سبحانه ليس بنا ذاتيا ، وما ليس لنا ذاتيا يقتضى سوانا ، والسعادة والشرف الذى حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتيا ، و ما ليس لنا ذاتيا يقتضى الشكر ، ومن جهل فغره أنه مخلوق باليدين ، وأنه مظهر و ظهور لتظهر صفات الربوبية، ونسى أنه مظهرا أيضا لظهور صفات العبودية ، حرم ذلك الملك الكبير ، ورد إلى أسفل سافلين السعير ، فتفضله بالإيجاد موجب لشكره ، و إحسانه إلينا بخلقه لنا بيديه ، ونفخه فينا من روحه ، وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه موجب لعبادته ودوام الرهبة منه والخشية.

الأمانة .. هى ما فيك من أوصاف باريك

بما فى من نور الجميل جهادى و أنسى به حجبى وطول بعادى
هو الداء أردى من رآه لنفسه فأنساه سر وجوده الإمداد
لما فى منه سخر الكون كله ليشهد هذا الكون غيب الهادى
و لم يك لى بدءا لفخر ورفعة و لكن لأنظم فى عقود " عبادى "
أيبطرنى ما فى منه ونشأتى تبين لى بدئى وقرب معادى

تحملـــت أســـرار الأمانـــة مبـــدءا | و طينـــة فخـــار بهـــا إيجـــادى
و إن أنس ما الأشـياء لم أنـس نشـأتى | مـــن المـــاء إيجـــادى بـــلا أضـــدادى
نعـم في نـور أسـجد العـالم العلـى | و ســـخر لى الأكـــوان بالإعـــداد
ليعـــرف جـــل الله ربـــا وقـــادرا | و أعـــرف عبـــدا فى عظـــيم جهـــاد
فـــلا نـــوره فى هيكلـــى موجـــب عـــلا | و لا وصـــفه نيلـــى بـــه إســـعادى
أمانتـــــــه حملتـــــها ليلـــــوح لى | إلهـــا عليـــا فى الجمـــال البـــادى
و أســـجد لى الأمـــلاك كيمـــا أرى أنـــا | بـــه فى عبـــودة خاشـــع ومـــراد
فـــإن أنســـه كنـــت الظلـــوم ونائيـــا | و كنـــت جهـــولا بالضـــيا الإرشـــاد
أمانتـــــــه داء دواء وســـــــرها | خفـــى عـــن الأمـــلاك والأفـــراد
أعـــوذ بـــه منـــه ظهـــورا بهيكلـــى | و أســـأله وصـــلا إلى الآبـــاد
و أبـــرأ ممـــا فى منـــه مســـارعا | إلى رتـــبتى عبـــدا بفضـــل وداد
و أن تشـــهد الـــروح الـــتى هـــى نـــوره | حقيقـــة بـــدئى فيـــه بالإمـــداد
لأشـــهدنى فيـــه بنـــور عبـــودتى | وإن لاح فى الغيـــــب للـــــوراد
و يمـــنحنى الجمـــع الحقيقـــى فارقـــا | إلى حضـــرة الزلفـــى لقـــومى حـــاد
يعين على حفـظ العهـود وحفـظ مـا | بـــذاتى منـــه كـــى يصـــح قيـــادى

الإنسان شجرة ربه :

الجنة الآجلة ثمانى درجات ، ومفاتيحها جوارحك المجترحة : القلب وجنوده ، ولما كان آدم هو المخلوق الذى تجلى فيه الحق لخلقه كما ورد ، أدخله فى الجنة التى فيها مسرات الحس ، ونعيم الجسم ، وغذاء الروح من الحكمة ، ومحبة الله تعالى ، ليشتاق إليها بعد رده، وتلك الجنة هي طبقة من الفردوس بدليل قوله تعالى: ﴿ ثم رددناه أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [(١)] وبدليل: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا ﴾ [(٢)] ، ومعلوما أن الجنة لا تقع فيها المعصية فقدر الله المعصية على آدم فى الجنة ، ليرده عنها عدلا ، بعد أن أدخله فضلا ، وليعلمه أنه أخرجه منها

(١) سورة التين آية ٥ .
(٢) سورة طه آية ١٢١ .

بذنب فكيف يدخل فيها من عصاه فى الدنيا ، وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية . وقد بينت لك أن الله غرس الإنسان بيده في جنة عدنه، فالإنسان شجرة ربه وهو السدرة التي رأسها مغروس فى العرش ، وأطرافها مدلاة على الجنة ، وتلك الشجرة التى هى صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذى يجب أن يحفظ لزارعها سبحانه ، فإذا تجاوز الإنسان حد العبودية وتناول ما هو خاص بربه ، عصى وغوى لحكمة بينت لك بعضها ، فرد إلى الأرض ليرتقى إلى مقامات القرب ، وليتجمل بجمال الخلافة ، فيكون مرآة لظهور معانى صفات ربه ، وحقيقة هى مظهر لظهور صفات نفسه ، وهى العبودية ، واسمع وسلم إن لم تذق ، فإن من حرم التسليم و الذوق حرم الخير كله .

أودع الله أمانته فى آدم ، فنسى آدم ونسب لنفسه ما ليس له ، فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله ، والله غالب على أمره ، قال سبحانه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [1] وإنما أكل آدم ما فيه من أمانة باريه ، منحنا الله الذوق ، وجملنا بالشوق ، و حفظنا من الإنكار ، إنه مجيب الدعاء .

سر أكل آدم

من أنا قبل الظهور أنا الجمال ... فى سرداق مجده قدرى مثال
أسجد الأملاك فى جنته ... أسكن الرسم لديه فى ظلال
ويح نفسى قد نهانى عن أنا ... صار أكلى البعد عنها فى وبال
قد أكلت ثمار سدرتى التى ... كانت الصورة فى حال الوصال
وى وعدت لأصلى الدانى الذى ... صرت فيه فى شقاء فى اعتدال
تبت تاب على جل جلاله ... أشهد الحكمة فى رمز المقال
حبه فى الأمر والنهى إذا ... قمت بالأمر وخالفت الخيال
و أنا المقهور أفعل ما يشا ... عبده والعبد فى حصن العقال

(١) سورة الأنبياء آية ٣٥ .

في جهـــاد الـــنفس وهـــى أبيـــة حفظـــه بالفضـــل منـــه قـــد ينـــال
وى وفى رسمـــى غـــوامض غيبـــه كـــتره الأعلـــى يفـــك بـــلا انفصـــال
يظهـــر الظـــاهر للـــروح يـــرى أشـــرقت شمـــس الجميـــل بكـــل حـــال
حبـــه يوليـــه منـــه منـــة لأولى القـــرب فيعطـــون الجمـــال
أظهـــرن لى الغيـــب فى نفســـي وفى تلكمـــو الآثـــار مـــن قبـــل الســـؤال
حيـــث قـــد أبـــدعتنى لـــك صـــورة تشـــهد الأعلـــين غيبـــك فى انفصـــال

الأمانة :

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ، غيب مكنون على الروح بـــه مضـــنون ، أشـــفقت السموات والأرض أن يحملنه خوفا من التكليف ، وقد فازت بالتعريف ، وخشية من الظهور فى البطون ، ومن البطون فى الظهور .

الأمانة هو ما حملته أمانه لديك ، ليس منك ولا فيك ، ولكنه منه جل جلالـــه ، و الذى يصل إليه ، يفوز بالحظوة لديه ، ولأجله أمرت بالرياضات ، وكلفـــت بالمجاهـــدات ، فيحصل لك التوجه الذى به تواجه .

إذا أمكنك أن تدفع الواردت عن القلب بذكر اللســـان ، فى مترلـــة الإنســـان ، و أمكنك أن تذكر بالقلب مع إمساك اللسان ، وأمكنك أن تذكر بالقلب واللســـان حضـــورا وغيابا ، لديها يظهر لك خافيك ، وتقع العين على العين بلا بين .

أحب ما فيك منه ، فهو المحبوب جل جلاله له لا أنت ، وأحببه بما فيك منـــه ، إذا تجردت من مقتضيات عناصرك .

بالأمانة كلفت وعرفت ، وهى الثواب والعقاب ، إذا راق الشـــراب ، وكشـــف الحجاب عن بديع جمال الجناب .

محل الإمانة هو القلب الذى هو عرش الرحمن ، لا الشكل الصـــنوبرى المقلـــب فى الأكوان ، حملها الإنسان فكان ظلوما جهولا حتى يحملها ، فيكون محمولا لا حاملا ، وإشراقا

لا مشرقا ، يصفو اللطيف من الكثيف ، ويحمل اللطيف بنوره هذا الكثيف ، فيكون الإنسان الكامل وهو فى سافل المكان فى أعلى مكان .

يرى بما فيه من الأمانة وجه الله حيث ولى ، ويلحظ بسره غيب القدس الأعلى حيث صلى، إذا لمع وميضها أخفى السور والرسم ، ومحا الوسم ، وألبس المحمول تاج الخلافة عن ربه ، وساح فى ملكوته الأعلى فأشرف على قدس عزته وجبروته .

الأمانة وما أدراك ما الأمانة ؟ نور معانى الصفات ، فى مرآة صقلت بالمواجهة ، و جملت بالمنازلة ، فظهر الغيب المصون ، وخفى المشهود بالعيون .

بالأمانة القرب والحب ، إذا وفا فصفا حاملها ، والوفا الاتباع مجاهدة ، والصفا الاصطلام مواجهة ، وهما واحد وإن كانا اثنين ، إذا زال الرين ، وأشرقت أنوار العين على العين ، وانكشفت حقائق الأشياء بحقيقة الاستجلاء .

هى الأمانة أوصاف وأخلاق	بها الحنين إذا ما لاح إشراق
إشراقها حضرة المحبوب يظهرها	فيشهد الغيب أفراد وعشاق
هى الأمانة فوق العالمين علا	يجلى غوامضها فى القرب خلاق
الروح ظل لها تبدى محاسنها	بها يصح الصفا والوصل إغراق
أنوارها أصعقت أهل الصفا جذبت	أهل الفنا ولهم فى الحب إشفاق
قد أسجدت لأبى الإنسان عالمه	غيب فلم ترها روح وأحداق

الإنسان صورة الرحمن :

قال تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) .

الإنسان هو العالم الأكبر ، فظاهر القلب عرش الرحمن ، وباطن القلب بيته المعمور ، فإذا عمره سبحانه بشهود معانى صفاته فيه ، كان سدرة المثل الأعلى و زجاجة المثل – بفتح

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .

الثاء – العلى ، وكان الهيكل صورة الرحمن ، ويكون الكون كله صورة هذا الإنسان الكامل ، محل استجلاء معانى الصفات ، فظهر به الجمال و الجلال ظهور الحقيقة لا المثال ، وتشهد ذلك أرواح الحافين بالعرش ، ونفوس المهيمين فى العرش ، حتى يعم كل تلك الأرجاء نور الشمس ، فيكون نورا على نور ، فى الغيبة و الحضور ، من هذا القلب المعمور تعرج أسرار البطـــون إلى السقف المرفوع – رأس الهيكل الكامل – ، وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور – ظاهر الهيكل – و متفجرة ينابيعها من البحر المسجور – سويداء القلب – ، فتسخر العـــوالم علـــوا وسفلا للسدرة المغشاة بغيوب التجلى ، وتسارع أرواح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر ، من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه ، وهذا سر ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

حكمة سجود الملائكة لآدم :

رمز آدم عجيب جدا فوق جميع الرموز ، لا يتحقق وصول فرد من الأفراد إلا بعد أن يفك له رمزه ، لأنه الجامع لكل الحقائق من العوالم ، والوسط بينها ، والصورة الكاملة للرحمن المجملة بجمال الخلافة عن ربنا جل جلاله ، ومن تناول من شراب قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (١) وشم عبير قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) وفقه المحبة فى قوله : ﴿ مَـــا مَنَعَـــكَ أَن تَسْـــجُدَ لِمَـــا خَلَقْـــتُ بِيَـــدَيَّ ﴾ (٣) بعـــد قولـــه تعـــالى ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٤) وقوله ســـبحانه : ﴿ تَبَـــارَكَ الَّـــذِي بِيَـــدِهِ الْمُلْكُ﴾(٥) يعلم أن آدم رمز الرموز ، بل وكنز مضنون به على غير أهله ، رب معترض علينا يقول إن الله تعالى قال : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ (٦) فأجيبه غير لائم عليه بجهله بمتن اللغـــة العربية أن لفظة (أَيْدٍ) ليست جمع (يَدٍ) بل هى مصدر آد يئيد أيدا ، وأيد في الآية الشريفة (قوة) أى : والسماء بنيناها بقوة.

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٣) سورة ص آية ٧٥ .
(٤) سورة يس آية ٨٣ .
(٥) سورة الملك آية ١ .
(٦) سورة الذاريات آية ٤٧ .

آدم وما أدارك ما آدم ، خذ منى بالإشارة وسلم : إن أعلى عليين بالنسبة لله تعالى كأسفل سافلين ، وهو فوق العرش ، كما هو فوق الثرى ، وهو رب العرش العظيم ، كما هو رب الثرى ، والعرش والثرى سواء فى جانب الله تعالى ، وكما أن الثرى ما جانسه ، ولا لامسه ولا جسه ، فكذلك العرش ، ولكنه يعظم ما شاء بما شاء ، و يقرب إليه من شاء ، ويبعد من شاء ، وينسب إليه من شاء وما شاء إحسانا وإكراما ، قال تعالى : ﴿ طَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾ [1] وقال سبحانه : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا ﴾ [2] وقال جل جلاله : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ ﴾ [3] وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ﴾ [4] و لم تكن حقيقة من تلك الحقائق تستحق شيئا من ذلك ، اقتضت حكمته سبحانه أن يكون ذا الفضل العظيم ، و الله يحفظ لكل رتبة من الوجود مكانتها ، التى بها تكون مقهورة مربوبة ، أبدعت بعد العدم ، وأوجدت بعد أن لم تكن .

من عوالمه عمار ما فوق العرش وهم الآلهون لعظمته ، تعبدا وذلا ، وما دونهم من عوالم الروحانيات العاليات من الكروبيين الذين هم فى عظيم الكرب رهبة وخشية من جلاله وعزته ، وما دون ذلك من الحافين حول العرش المسبحين بحمده المستغفرين للمؤمنين ، وغيرهم من الملائكة عمار سمواته من السفرة البررة ، ومن المستنسخين لكتابة قدره ، والقائمين بتبليغ رسالته ، والحفظة الكرام ، وغيرهم من السائحين فى الأجواء والقائمين على الأرجاء ، وغير ذلك من الأفلاك المنتثرة بسفاح السماء ، التى أظهر الله بها عجائب حكمته ، وغرائب إتقان صنعه ، من ثابتات وسيارات ، وليس فيها ثابت إلا بالنسبة لنظر العين ، وكلها سيارات تسمى بالثابتة ، منها ما سيره بطىء جدا ، وقد يقطع دورته فى مئات من السنين ، وغير ذلك مما هو بين السماء والأرض ، و ليس بين السماء والأرض فضاء ، ما من نقطة من نقاط هذا الجو البسيط إلا وفيها من الحقائق المختلفة والأنواع المتباينة ما يحير العقول من جرم الأرض وما عليها ، وفيها مما لو كشفت حقيقة ذرة منها ونطقت بلسان حالها مبينة مظهرها ، وحكمة إيجادها و ارتباطها بها ، لعجز العقل الكامل أن يحيط بما فيها ، فسبحان من لا يعلم قدره غيره.

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥ .
(٢) سورة ص آية ٤٥ .
(٣) سورة ص آية ٤٤ .
(٤) سورة آل عمران آية ٣٣ .

خلق الله الأرواح العاليات جواهر نورانية ، وأجساما روحانية ، ظاهرة جلية ، وخلق أسفل سافلين من كثافة ومادة ظلمانية ، ورفع العالم العلوى بصفاء جوهره وطهره من التضاد ، وسلامته من مقتضيات العناصر ، فهو صفاء بالفطرة ونور بالحقيقة ، وهو مقهور لقهار ، مربوب لرب ، فقهره - وهو القهار - بأن أظهر له بأنه لا فرق بينه وبين أسفل سافلين ، بالنسبة للقهار القادر ، وأنه جل جلاله هو الفاعل المختار ، لا يسأل عما يفعل ، فله المجد والكبرياء ، والتراهة والطهر والقداسة ، يقرب ما شاء - لا لأن الذى قربه يستحق القرب- ويرفع ما شاء - فضلا وإحسانا - .

و لما كان القهار اسما من أسماءه الحسنى - وأسماؤه كلها حسنى - قهر العالم العلى قهرا هو عين الإحسان إليه ، ليحفظ الله له مكانته التى بها يدوم قربه من الله ، و تدوم سلامته من البعد والقطعية واللعن ، فالقهر فى الحقيقة إحسان ، لأن القهار اسم من أسمائه الحسنى ، قال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [١] ، وقال الملائكة الذين هم من أصفى الجواهر لوقوفهم عند معرفتهم التى نالوها بقدر مكانتهم من مراتب الوجود لا بقدر الإطلاق الربانى : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [٢] فكانت تلك نزعة من نزوع النفس الملكية التى علمت من نفسها بتلك الخصوصية بالنسبة لمجانستها للطهارة ، والصفاء من كدورات المادة ولوازمها ، فأثبتت جهلها أمام ربها بعد بيان الحكمة بقولها :

﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ [٣] وقامت الحجة لله تعالى أنه إنما ينفذ ما قدره بحكمه وعلمه بقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] ثم قهرهم قهرا ثانيا بأن جعل آدم أستاذا لهم ومرشدا ، ليزيدهم علما ، وليلزمهم الأدب مع صفاء جوهرهم للجناب المقدس.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٣٠ .

فآدم يعنى الإنسان والكتر الجامع لأنواع الجواهر من أعلى عليين لأسفل سافلين ، و قد زاده الله على كل حقائق العالم بقوله : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾ (١) فالإنسان مخلوق باليدين ، ففيه كل الحقائق ، وهى الحجة التى أقامها الله على إبليس فلعنه و طرده ، فقهر الله من قهر بالإحسان ، وقهر من قهر بالانتقام ، وكل الأسماء الإلهية تفيض الخير والإحسان ، وتفيض القهر والجلال ، ومن تفضل الله عليه بالإحسان و النعم فى الدنيا و لم يشكر نعمة الله عليه كانت عليه عذابا ونقمة يوم القيامة ، فآدم - وهو درة العقد ، بل وهو من طين لازب - كمل الله به عوالم عالين ، وطرد الله به أهل الشقاء من النفوس الشريرة .

و الحجر الأسعد رمز للناس ، كرمز آدم للملائكة ، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وهو من طين ليقهرها ليدوم لها القرب من الله والحظوة لديه ، أمر الناس بحج البيت ، وأمرنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن نسجد بوجوهنا على الحجر الأسعد ليقهرنا سبحانه وتعالى، حفظا لمكانتنا العبدية لتعظيم أمره بالطواف حول الكعبة ، و لثم الحجر الأسعد - وهو حجر - ومن خالف الأمر لعن وطرد ومن أطاع الأمر رفع ، وهو القهار المحسن بقهره إلى من سبقت لهم الحسنى ، وهو هو الموفق المعين لمن أحبه ، والمقدر البعد على من لم تسبق لهم الحسنى ، وله الحجة البالغة على خلقه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢) وفى الإشارة بيان لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

سر السجود لآدم

أبالإختلا يمحو معالم تحديدى ... ويخفى رسومى أو يستر تجديدى
أم الإجتلا ظل يضىء بسدرتى ... فيجذبنى لحقيقة التفريد
فأفرد قصدا من يظلل سدرتى ... بأنواره فى نشوتى وشهودى
لديها معانى وصفه قد تحيط بى ... وأسماؤه من قادر ومجيد
و فى حيثما وليت أشهد نوره ... جليا بلا كيف لدى تجريدى

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٣ .

نعم قد أحاط الوجه بى فألاح لى ... بسدرة ذاتى مشهد التوحيد
تجردت من مبناى فى بدء سيرتى ... وسيرى من (كُن) فى مقام مزيد
تطورت منها صاعدا متنزلا ... تنزل قرب والنزول صعودى
و من (كُن) نعم سيرى إلى (كَانَ) وجهتى ... بها ولها سيرى وسر ورودى
إلى المشهد الأجلى (أَلَسْتُ) التى بها ... معاهدتى فيها وثيق عهودى
و منها إلى طور الظهور تدليا ... لأرقى إلى العليا مقام عبيد
لعبدية الإطلاق حيث مكانتى ... يلوح بها غيب الظهور وجودى
وجود به الأملاك تشهد غيب ما ... به تظهر الأسما لكل فريد
تراءى لهم فى سدرتى سر وصفه ... وأسماؤه لاحت برسم جديد
و لا لبس فى كشف المعانى لأنها ... تراءت بمرآة بلا تقييد
قد استغرقت أسماؤه رسم رتبتى ... فلاحت ضياء بالعطا والجود
فأنبأهم كشفا بأسمائه التى ... لقد خفيت عنهم قبيل سجود
معانى فى المبنى لروح مجرد ... ولى فى نور الغيب بدء شهود
أشاهد غيب الغيب لاح بلا خفا ... ضياء بلا مبنى ولا تحديد
ولى رتبة التنزيه كشفا بلا خفا ... ولى رتبة التشبيه بعد ورود
حضورى لا استحضار حال تقربى ... وفى غيبتى حتى يصح شهودى
و فى ترك غيبى فى حضورى أنا أنا ... خفى فلا أجلى بغير جديد
تلوح بى الأسماء لى وأنا بها ... دنى على ظاهرى ترديدى
و قد أشرقت شمس التجلى منيرة ... فأخفت نجوم حقيقتى ووجودى
و ها هى حلت فى على نزاهة ... أنا رتبتى طين الجفاء البعيد
و نور لأملاك السماء مشاهد ... و صوغ يديه صورة لودود
يرايي فتى الفتيان بالعين أشرقت ... من العين بالحسنى لدى تفريدى

حكمة دخول آدم الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (١) فكيف رفع إبليس إلى الجنة ودخلها ؟ ظن بعضهم أن جنة آدم كانت بستانا فى الهند ، وليس الأمر على ما أولوا ، وأن المكان المقدس لا يدخله إلا الطهر حقا ، فكيف دخل إبليس الجنة ؟ .

هذا مسلم ؛ لأن دخول المكان المقدس على سبيل الكرامة والإقامة مستحيل ، إلا على أهل هذا المكان ، ولكن الأماكن قد يدخلها الشرط (الجند) للابتلاء ، فإبليس ابتلاه الله، وابتلى آدم فدخل الجنة لا للتكرمة والإقامة ، ولكن للابتلاء ، وهى جنة الخلد التى فوق السموات .

أما آدم فلم يعلم أنها جنة الخلد ، لأنه لو علم وأكل من الشجرة رغبة فى الخلد بدلالة عدوه لكان كافرا لأنه لم يصدق ربه ، ولكن آدم أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها بأمر إبليس وهو لا يعلم أنها جنة الخلد لأنه سمع ربه يقول : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (٢) ولو أكل عالما لقال الله تعالى : وكفر ، ولكنه قال : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ (٣) والمعصية هنا حقيقة ، وإن جهل من جهل نفسه فتأول ما لا يليق به أن يتأوله ، وويحهم ، يقول الله تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ لأنه خالف وأكل من الشجرة ، وأخبرنا الله فى القرآن أنه قال له ولإبليس : ﴿ اهْبِطَا مِنْهَا ﴾ (٤) ثم قال : ﴿ جَمِيعاً ﴾ وهم يتأولون قول الله الظاهر .

و قد قدر الله معصية آدم ومعصية إبليس ليظهر كمال إطلاقه فى قدره ، وتدارك لطفه بمن سبقت له عنايته ، ليكون للمسلم مندوحة إذا وقع فى معصية أن يتوب إليه ، و قد علمت الملائكة من قبل أن آدم ليس من أهل الجنة ، ولا تكون له دار إقامة إلا بعد أن يتولى ما

---

(١) سورة فاطر آية ١٠ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٥ .
(٣) سورة طه آية ١٢١ .
(٤) سورة طه آية ١٢٣ .

أخبر الله به من قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [1] وتأويل من أول بأن آدم لم يعص سوء أدب مع الله تعالى ، ونظر إلى الحقائق بعين كليلة ، لأن الله لعن إبليس وطرده لمعصيته ، وذلك أنه سبحانه علم منه سوء القصد وإرادة الشر ، وعلم من آدم حسن القصد وإرادة الخير ، وهى العناية التى سبقت له ، فقدر المعصية وتداركه الله باللطف ، فهى معصية جازاه الله عليها بالإهباط إلى الأرض ، ولم يذكر حواء فى ذكر المعصية ، لأنها تابعة له فى الأكل ، والحكم على أحد المتساويين حكم عليهما .

و الشجرة أشار الله إليها بقوله : ﴿ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ ثم أشار إليها عند إتيان معصية آدم بقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [2] فالإشارة الأولى تعين أن الشجرة كانت مشهودة لآدم ، والثانية تعين أنها كانت بعيدة عنه ، لأنه حجب عن شهود تلك الحقائق لارتكابه المعصية ، وما ورد عن بعض أهل المعرفة من أن معصية آدم كانت صورية فهذا مشهد روحانى مأخذه مشاهد التوحيد العالية لا يقتضى سوء الأدب مع الشريعة المطهرة ، وإذا كنا نتأول أخبار الله الصريحة احتراما لذى مقام عال فنقول : أن آدم لم يعص والله يقول : ﴿وَعَصَى آدَمُ ﴾ ويقول : ﴿ فَغَوَى ﴾ ثم أردف ذلك بقوله : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ [3] نكون أخطأنا ، والأولى أن تقف عند خبر الله تعالى ، لأن آدم ومن بعده فى هذا الجانب العلى العظيم عبيد مقهورون ، و عباد مربوبون ، لم يبلغوا درجة النزاهة والقداسة ، والذى قدر المعصية قدر الاصطفاء ، والله يمنحنا الأدب ، ويلهمنا الصواب فى القول والعمل .

و قد وهم بعض من اطلع على كلام المؤولين فى هذه الآيات ، فظن أن هذا كلام السلف الصالح ، والحقيقة أن الحديث الشريف الذى أخذ منه السلف الصالح يقتضى أن سيدنا موسى اعتقدها معصية ، وأن آدم عليه السلام اعترف باعتقاده فى صريح حديث البخارى فى قوله عليه الصلاة والسلام : (حج آدم موسى) [4] والحديث مشهور ، وإنما تأول بعض العلماء

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٢) سورة الأعراف آية ٢٢ .
(٣) سورة طه آية ١٢٢ .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

هذه المعصية بأنها صورية لأن الجنة ليست دار تكليف ، ونعم ، فإن الرب العلى المطلق لم يكلف أهل الجنة إذا دخلوها بعد .

و لكنه سبحانه خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض ، وأدخله الجنة لحكم لا تحصى ، منها أنه يريه نعيمها ومسراتها قبل إقامته خليفة فى الأرض ، ليشتد شوقه إلى الجنة ، و ليسارع إلى ما يوصله إليها من دوام المجاهدة لنفسه وحظه وهواه ، رعاية لحقوق الله تعالى وحقوق نفسه وحقوق العباد ، فأسكنه الجنة ليبتليه بهذا المشهد ، ثم ابتلاه بإبليس ليوقعه فى المعصية ، وليتوب عليه سبحانه ، حتى لا يحصل له اليأس والقنوط إذا عصى الله فى دار الابتلاء فيقبل على الله تائبا موقنا بالقبول .

تقرر من هذا أن آدم لم يدخل الجنة للكرامة والإقامة ، ولكنه دخل لحكمة بالغة بينت لك بعضها ، وإذا منحك الله وجود الشهود ألهمت أسرار هذا الإسكان فى الجنة وغيب هذا الابتلاء ، وتراه فى نفسك إذا بلغت مقام الرضا إن شاء الله تعالى ، وعلمت خلق إبليس ، وسر تسليطه على الإنسان ، وغريب تصريفه ، وقدرته على أن يشاركهم فى الأموال والأولاد، وسر بقائه لليوم المعلوم ، وفى تلك الحقائق من الأسرار ما يقف عندها العقل خاسئا وحسيرا، والتسليم سلامة والذوق عناية .

الفردوس

أنت فى غربة فكن كالغريب ... فالمبانى أواسط التحجيب
أنت بدءا نور وصورة مجد ... حجبتها ظلال كون عجيب
كن غريبا وفر منك إليه ... حيث وطنى غيب الولى القريب
و الحظن بدءك الذى أنت منه ... نور ملكوته وسر الغيوب
كيف تنسى وأنت بدءا مراد ... فيك غيب من قادر ومجيب
من على الفردوس أردت كيما ... تشهد الآى بعد محو العيوب
فى (أَلَسْتُ) شهدت وجها عليا ... بل سمعت الخطاب فى المكتوب

كيف تنسى وطنا عزيزا بأدنى   و المعانى لاحت بكل منيب
أسجد العالمين علوا وسفلا   سخرت منة بقهر الرقيب
كيف أنسى والآى لاحت لروحى   أننى صورة العلى القريب
أيها الروح كنت فى أفق أعلى   فى صفاء وبهجة المشروب
أيها العقل كنت أفقا مبينا   تشهد الغيب فى امحا التحجيب
أيها الجسم كنت فى نعموت   فى رياض الفردوس محو اللغوب
أيها الحس كنت فى الأنس تجلى   فيك أسراره بغير خطوب
ثم أرددت للحضيض فسارع   عد إلى البدء فى شهود الغيوب
حجبتنى الآثار عن غيب غيب   كيف أنسى مسرتى تقريبى
رتبة السفل كى أرى نور ربى   كى أهنى بمشهد المحبوب
بدء وطنى الفردوس ملكوت ربى   بل وبدئى بدءاً رياض حبيبى
نفخة منه فىَّ لاحت عيانا   شاهدها الأرواح قبل القلوب
ثم ردت لأسفل السفل بعدا   فى ظلال الأسباب رشف المشوب
سارعي للصفا قبيل مماتي   كى تلوحي شمسا بغير غروب
و الحظى الغيب من جمال التجلى   تدخلى حضرة الجمال المهيب

من أسرار القرآن فى الخلق والتصوير وسجود الملائكة لآدم :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١) .

تأول بعض المفسرين هذه الآية الشريفة بما لا يطابق ظاهرها ، فقال : بعضهم : خلقناكم آدم ، ثم صورناكم آدم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، وقال بعضهم غير ذلك مما يقرب منه .

(١) سورة الأعراف آية ١١ .

و تأويلها أن الله تعالى يخاطب حقائقنا المعلومة له الموجودة لديه قبل إبرازنا فى الأعيان الظاهرة ، فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ يعنى من العدم حيث لم تكونوا شيئا ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ هذا أيضا خطاب من الله تعالى لنا ، يخاطب حقائقنا فى البدء قبل النشأة الأولى ، أى : ثم بعد أن خلقناكم فى يوم من أيامنا ، صورناكم فى أحسن تقويم ، فخلقنا أصلكم الأول ، يعنى سبحانه ﴿ آدَمَ ﴾ فى يوم من أيامنا ، ثم أتممنا خلقه ، وأبرزناه إنسانا سويا ، ثم بعد ذلك كله نفخنا فيه من روحنا وقلنا للملائكة اسجدوا لادم ، فحقائقنا قبل إبرازنا فى هذا الكون المحسوس كانت معلومة ومخاطبة .

و فى هذه الآية دليل على أن الله تعالى أحاط بنا علما قبل خلقنا وتصويرنا وقبل سجود الملائكة لآدم ، وأبرزنا جل جلاله فى كل من أوطاننا بقدرة وحكمة ، فالذى علم بنا وخاطبنا قبل وجودنا فى هذا الكون يعلم بنا ويقدر علينا ، وله فينا التصريف المطلق ، يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، وما على العبد المؤمن إلا أن يديم مراقبة الله تعالى وشكره ، والإخلاص فى عبوديته ، وهذه الآية أيضا راح طهور لمن زكت نفوسهم ، تشهد أهل الإيمان أسرار قدرة الله القادر ، وغيوب حكمة الحكيم جل جلاله .

قوله تعالى : ﴿ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾ تأول بعض المفسرين السجود بالتحية والاحترام ، و لو كان ذلك كذلك لقال حيوا آدم بالسجود ، ولكنه قال : ﴿ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾ فالسجود بحسب الأمر لآدم ، ولما كان السجود فى الحقيقة هو الانقياد والطاعة ، وإنما جعل وضع الوجه على التراب فيه حجة للسمع والطاعة للأمر ، وحجة الساجد على أنه سمع الأمر وأطاعه .

ولك فى تأويل السجود لآدم معنيان : الأول أن الله تعالى سخر ملائكة السموات فقط لآدم وذريته ، فضلا منه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [١] ومعنى : ملك ، رسالة ، مأخوذ من : ألك ، أو لأك ، أى : أرسل رسالة ، فأصل : ملك ، مألك أو ملأك .

---

(١) سورة الجاثية آية ١٣ .

و الذين سجدوا لأدم هم هذا النوع المسمى بالملائكة فقط ، وأما حملة العرش وما فوق ذلك من أرواح عليين وأعلى عليين فإنهم سجدوا لرسول الله محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ .

و الثانى : أنهم سجدوا لآدم لما شهدوا فيه معنى صفات الحق جل جلاله ، التى بها عرفوه سبحانه ، وتمثلته قواهم الملكية ، فسجدوا لربهم الظاهر بمعانى صفاته فى آدم .

﴿ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ أى : فسمع الملائكة وأطاعوا و انقادوا لأمر الله سبحانه وخروا سجدا جميعا ، فإن أمره سبحانه -كما تقدم - ابتلاء منه لخلقه ، ولكنه إذا أمر سبحانه بتعظيم حقيقة ، ما وجب علينا إلا الانقياد لأمره فنسمع ونطيع الأمر ، فإذا نحن أطعنا الأمر أكرمنا الله تعالى بانقيادنا لأمره بانبلاج أنوار خواص تلك الحقيقة التى أمرنا بتعظيمها ، فإن بعض المطيعين يقومون بتنفيذ الأمر مع جهلهم بحكمة الأمر ، وقد أثنى الله على أهل الإيمان بالغيب ، ثم بين سبحانه لهم أن ينظروا بعقولهم ، ويبحثوا بحث مستفهم راغب فى تحصيل العلم ، ليفوزوا بكشف أسرار معلومهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١) ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (٣) ، وكثيرا غير ذلك ، وقد ذكر سبحانه أمثال هذه الآيات الشريفة مكررة حثا على تحصيل العلم وبحثا عن كشف الحقائق ، وهذا علم له وسائل خاصة أعظمها و أجلها العمل بما يتعلمه الإنسان من أحكام الشريعة ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) (٤) وقال تعالى ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ (٥) .

ظهر من هذا أن الواجب علينا التسليم لرسول الله﴿ ﷺ وآله﴾من غير أن نطالبه بدليل أو برهان على ما يخبرنا به ، حتى تزكو نفوسنا ، وتتطهر من ملابستها للعناصر

---

(١) سورة الزمر آية ٢١ .
(٢) سورة الحجر آية ٧٥ .
(٣) سورة الحشر آية ٢ .
(٤) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين والسيوطى فى الدر المنثور والقرطبى في تفسيره وأبو نعيم فى حلية الأولياء والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار .
(٥) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

الجسمانية ؛ فتتأهل لتتلقى أسرار الغيب المصون ، فإن فى قلب العالم علوما ليس لها نظائر ولا أشباه فى العالم المحسوس ، والعقول لا تدرك حقيقة إلا إذا تمثلتها النفوس ، و حقيقة ليس لها مثال ولا مثل وليس للعالم قدرة على أن يمثلها لمن لم يرتاضوا بمبادىء العلوم ، بل لم يسلموا للعلماء الربانيين ؛ ولذلك فإن الله أثنى على أهل التسليم الذين صدقوا بالغيب ، وسلموا لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ تسليما .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (١) .

بعد أن قال تعالى : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ إبليس هذا وهو الشيطان و إبليس : لأنه أبلس أى : أخلد إلى الأرض ، وشيطان لأنه إما أن يكون من : شاط ، أو من : شطن ، فإن فى شاط معنى الإلتهاب ، وشطن بمعنى بعد ، وإبليس هذا كان يطمع أن يكون خليفة الله فى الأرض ، فإن خليفة الله فى الأرض سيد أهل السماء لأنها ليس فيها من يعصى الله تعالى ، فإن الكفر بالله كائن فى الأرض والخليفة فيها قائم مقام ربه فى تصريف الأمور ، ورفع الظلم ، ومحاربة الكفر ، وإصلاح المجتمعات ، وكانت هذه طلبة إبليس ، فلما قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أخذ منه الحسد كل مأخذ ، وأغرى الملائكة على أن يقولوا ما قالوا مما أخبرنا الله به مخبرا عنهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾ إلخ ... حتى قال الله لهم : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) فسلموا لله تعالى فى خبره .

و أراد الله تعالى أن يظهر سر قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فكون آدم من العناصر السفلية ، ثم جمله بمعانى صفاته الربانية ، فشهد الملائكة فى آدم ساطعة نور من قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ وسجدوا جميعا إلا إبليس هذا فإنه فسق عن أمر ربه بالسبب الذى بيناه ، من أنه كان يطمع أن يكون خليفة لربه فى الأرض ، و لكن الله سبحانه يختص برحمته من يشاء ، فكان إبليس أول من حسد ، ولذلك فالحسد أشر أمراض الأخلاق ،

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .

وكفاه أنه خلق إبليس ، وقد بلغ الحسد منه لآدم و لذريته حتى حصل منه كما سيبين الله لنا ، وما بين فى هذه الآيات ، وما بينه من قبل .

﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ أى : لم يكن ممن سجدوا ، لما بينت لك من أنه من الجن الذين هم من النار ذات النور لا من النور الذى لا نار فيه .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ﴿مَا﴾ هنا استفهامية ، والمعنى : أى شىء منعك عن السجود ، وأن تقول : ﴿ لا أسجد ﴾ فحذف : تقول ، كما هى عادة القرآن فى حذف ما يعلم ، فإنا لو فهمنا الآية كما فسرها بعض المفسرين فى أن ﴿ لا ﴾ زائدة صلة أو أنها لتأكيد الخبر ، نكون قد تكلفنا ما لا يلزم فى كلام الله تعالى ، ولا ينبغى لنا أن نقول إن حرفا زائدا فى القرآن أبدا ، لأن القرآن كلام الله القويم ، ولكل حرف منه معنى خاص تظهر أسراره لأولى الألباب ، وما علينا إلا أن نسلم لله بعد فهم الحقائق التى يريدها الله تعالى ، فالله تعالى يشنع على إبليس ويوبخه لأنه امتنع عن السجود ، وإذا خفيت علينا الحكمة سلمناها لله تعالى ، ولا يجب علينا أن نتأولها بقدر عقولنا ولا بقدر أساليبنا فى العبارات .

﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ أى : حين أمرتك بالسجود لآدم ، ألست تؤمن أنى ربك بما قام لديك من الحجج ، وأنى على عظيم عن أن أحس وأمس ، بل وعن الاحتياج إلى مخلوق من خلقى ، وما بقى من دلائل تعظيم عبادى لى أن يطيعوا أمرى ويسارعوا إلى تنفيذ حكمى ، وقد أمرتك أمرا ينبغى أن يطاع لكمال العبودية ، فما منعك ؟ .

فأجاب الله تعالى مستدلا بالقياس ، فكان أول من فتح هذا الباب إبليس واقفا عند ما يدركه ، وهو عاجز عن أن يدرك سر إيجاده ، فقال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾ وعلى زعمه ، النار لطيفة ومنيرة ، وما فقه ﴿ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ والطين – على قدر عناده – سافل ورديء، وجهل – أعاذنا الله منه – أن الله تعالى يرفع أسفل الحقائق حتى يسوده على أرفعها ، وأن الطين مجمل بالتواضع والحلم والسكينة ، وهو أنفع للخلق من النار ، ولن تحصل منه مضرة أبدا بل كله خير ، فمنه الإنبات ، ومنه رفع المنازل ، ومنه ومنه مما أدركه فيه أهل العلم

بالله تعالى ، ولو لم يكن فيه ولا مزية ولكن الله منحه الأفضلية ، وجعل منه من سخر لهم الملك والملكوت ، ولأجلهم خلق الكون وهم الأنبياء وورثتهم والأولياء والصديقون والشهداء وتابعوهم إلى يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (١)

﴿ الفاء ﴾ هنا للفصيحة وهى التى أفصحت عن جواب شرط مقدر منه ، إذا ظهرت حقيقتك الخبيثة العنادية فاهبط منها ، أى : ابعد مطرودا هاويا إلى السفل ، و هنا ثبت أن تخصيص عموم الصريح بالقياس مذموم عند الله تعالى ، فإنه تعالى ذم إبليس وطرده من رحمته لأنه خصص عموم الصريح بالقياس الذى أتى به ، لأنه قال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ ﴾ والنار جسم نورانى ، ﴿ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ، والطين جسم ظلمانى ، فنتج أن النار خير من الطين ، وجائز أن تكون ﴿ الفاء ﴾ فى قوله ﴿ فَاهْبِطْ ﴾ للترتيب ، ﴿ مِنْهَا ﴾ أى : من جنة عدن أو من السماء محل الأطهار .

﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ معنى هذه الآية أن الله أهبطه إلى سافلين ، لأنه حكم بالخيرية على آدم تكبرا بعنصره النارى على عنصر التراب ، ونسى أن الحكم لله ، بيده الفضل يؤتيه لمن يشاء سبحانه ، وليس الفضل بالجواهر التى كون منها الشخص ، وإنما الفضل بيده سبحانه ، وما دعاه إلى هذا – قاتله الله – إلا حسده لآدم ، و هذه من أسرار قوله تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ومعنى هذه الآية أن الله تعالى أمره بالخروج من جنة عدن أو من السماء ، وأخبره الله تعالى أنه﴿ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ أهل الصغار و الخزى والذل .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ (٢) (قَالَ) استئناف ﴿أَنظِرْنِي ﴾ أى أرجئنى حيا بين ظهرانيهم ﴿ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أى : إلى النفخة الثانية ، قال

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٤ ــ ١٥

تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [1] قال : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ أى (قَالَ) استئناف أيضا ، وإن : لتوكيد الخبر والكاف : كناية عن إبليس ، من المؤخرين إلى يوم يبعثون لأنه سبق فى علمه تأخير موتك .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [2]

أثبت الغواية من الله وهو مذهب الجبرية ، وهى دليل على علمه ، والباء هنا إما للقسم ويكون المقسم به فعل الله غواية إبليس أو للسببية ، وتكون المعنى : إغوائك ، و ﴿ لأَقْعُدَنَّ ﴾ إما جواب القسم أو المسبب عن السبب ، و: أقعدن ، كناية عن صده عن سبيل الله ، فكان كالحجر فى طريق الماء فلا هو انتفع ، ولا تركها لمن ينتفع بها .

و ﴿ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ هو القرآن المجيد ، فيدعوهم إلى تأويلة بالقياس ، كما فعل ، وعلى فهمه على خلاف ما أراد الله ، وعلى أن يجعلوه أغانى للطرب والأنس فى المجتمعات ، وعلى أن يهجروا العمل به ، وعلى أن يجادلوا فيه ، وغير ذلك .

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [3]

أما إتيانه لهم من بين أيديهم فوسوسته لهم حتى يحجبهم عن التفكير فى آيات الله المنبلجة ، أو ينسيهم الآخرة التى هى أمامهم ، أو يوقعهم فى الضلال بالنسبة للأعمال المستقبلة وغير ذلك ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أن ينسيهم شكر الله على ما أسبغ عليهم من النعم من قبل ، أو ينسيهم التوبة من الذنوب التى فرطت منهم من قبل ، أو ينسيهم ما أخذه الله ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ عليهم من العهود ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ أى : من الجهة التى هى محل عمل الحسنات ﴿ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ أى : من الجهة التى هى محل السيئات .

---

(١) سورة الزمر آية ٦٨ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٦ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٧ .

﴿ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ هذه الآية خبر من الله تعالى عن كلام إبليس مع ربه جل جلاله ، يقول : ولا تجد أكثر بنى آدم شاكرين لك يا ربى ما تفضلت به على أبيهم آدم من صوغك له بيديك ، ومن نفخك فيه روحا ، ومن سجود الملائكة له ، و إسكانك له فى الجنة ، وما أكرمت به بنيه من تسخير ملكك وملكوتك لهم ، و إمدادهم بما لابد منه وأكثر ، من النعم المقتضية وجوب الشكر .

و إبليس فى هذا – بعد أن كان أول حاسد لآدم وبنيه – كان أول من فتح باب الغيبة والنميمة ، والسعى بين ربنا وبيننا ، يريد بذلك إلقاء العداوة والبغضاء من ربنا سبحانه وتعالى لنا ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وكذلك فإن إبليس لا يعلم الغيب الذى أخفاه الله لآدم وذريته من سعة التوبة والمغفرة ، ومن تبديل السيئات حسنات ، فقاتله الله من عدو ، وأعاذنا منه من وسواس خناس ، و أشهدنا الله طرق وسوسته لنا .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [1] (قال) استئناف ، و﴿ اخْرُجْ ﴾ أمر بالطرد ، و﴿ مِنْهَا ﴾ تقدم الكلام عليها ﴿ مَذْؤُوماً ﴾ أى : مذموما مجللا بالخزى والصغار والخذلان ، وقرئت : مذووما ، بالواو بدل الهمزة ﴿ مَّدْحُوراً ﴾ أى : مبعدا مطرودا ، فإن دحره أى أبعده وطرده ﴿ لَّمَن تَبِعَكَ ﴾ اللام للقسم ، ومن اقتدى بك واهتدى بهديك ، وسلك سبيل الضلالة معك من بنى آدم .

﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ خبر من الله تعالى أن يعاقب من أطاعوا إبليس بالخلود فى نار جهنم لأنه يقول سبحانه : ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ومعنى ملئها أى : أنها بعد أن تملأ يغلقها عليهم كما يملأ الإنسان خزائنه ويغلقها على ما فيها ، والمعنى ينتقم من كل متبع لإبليس وهم أهل الكفر بالله والمنافقون والملاحدة ، و هؤلاء يستحقون الخلود فى النار جزاء من الله عدلا .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـــذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)

هذه الآية دلت بصريح لفظها أن الجنة فى ذلك الوقت ليست مقرا لآدم يخلد فيهـا بدليل قوله : ﴿ اسْكُنْ ﴾ فإن (اسْكُنْ) تدل على التحول والانتقال ، فكان هذا الخطاب أكبر انتقام من إبليس الذى أحرق قلبه الحسد ، والجنة هى بساتين ملتف شجرها جمعـت أنـواع النعيم والمشتهيات ، لا يرى من هو خارجها ما هو داخلها لالتفاف أغصانها وأوراقها .

﴿ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ أمر من الله تعالى لهما بأن ينتفعا بكل نعيم الجنة فتكون لهما المشيئة المطلقة ، وكذلك أهل الجنة تكون لهم المشيئة المطلقة إذا وصلوها ، قال تعـالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ ﴾ (٢) وهذا هو الكمال الإنسانى الذى أعده الله لأهل محبته .

﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هَـــذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ بلاء خفى ومحنة عجيبة ، فإن الأمر والنهى مـن الله تعالى حقيقة الابتلاء منه لعباده ، وبقدر حسن الاتباع والإخلاص فى النية والصدق فى العمـل تكون للإنسان المشيئة يوم القيامة فى فردوس الله الأعلى ، حيث يكون عمار السموات مـن الأملاك مسخرين لمن مات على الإيمان فى دار النعيم المقيم الأبدى .

و من خالف الأمر أو النهى حاق به العذاب فى الآخرة ، والخزى والذل فى الدنيا ، وما أمر الله ونهى إلا ليميز الخبيث من الطيب، كما سبق في علمه جل جلاله، ولولا الأمر والنهي لكـان الناس في فترة الناجين، قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(٣) وهذا النهي كان سبب بلاء آدم، وإهباطه من الجنة، وعيشته في الأرض في كد وعناء وهموم وغمـوم وأسـقام وبلاء، بعد أن كان في النعيم مطلق المشيئة والإرادة.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٩ .
(٢) سورة ص آية ٣٥ .
(٣) سورة الإسراء آية ١٥.

وإني لأعجب من مسلم يعتقد أنها تلك الدر الدنيا دار الفناء والبلاء، ودار المسارعة إلى محاب الله ومراضيه، أو الهبوط إلى دار العذاب الأليم، ويسمع أخبار الجنة ويعتقد أنا حق، ثم يطمع في الدنيا أو يغتر بها وبزخرفها، ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

واختلف العلماء في الشجرة التي نهى الله آدم ، وقد تقدم الكلام عليها في سورة البقرة، وهنا أزيدك أيها الطالب علما زادنا الله وإياك فقها في كلامه القويم ، ومنحني الله وإياك التسليم.

إن نهي الله تعالى آدم عن أكل الشجرة ، لابد وأن تكون تلك الشجرة لها خصوصية تشير إلى معنيين عظيمين:

الأول: تعظيم الناهي للبعد عما نهي عنه.

والثاني: أن تكون الشجرة مشيرة إلى غيب من غيوب التوحيد، وإلا فالله تعالى يمنح آدم المشيئة في أن يأكل من نعيم الجنة كيف شاء ومتى يشاء ومما شاء، وينهاه عن السنبلة أو عن الشجرة – شجرة التين – كليا، نعتقد أنه سبحانه يأمر وينهى بما شاء لا معقب لحكمه، لكننا نجله وننزهه عن أن يأمر أو ينهى لغير حكمة عالية لا يمكن أن تدرك إلا لأهل العلم بالله تعالى، فإنه أمر الملائكة بالسجود لآدم لحكمة عالية جدا وهي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[١] وقوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٢] فكشف لنا الحكمة جلية أن الملائكة ما سجدوا لآدم إلا بعد أن خلقه بيديه وسواه جل جلاله على أحسن التقويم ونفخ فيه من روحه، وكذلك فإنه ما نهاه عن أن يقرب هذه الشجرة إلا لحكمة عالية جدا ، وقربه من الشجرة له معنى من المعانى التى يعلمها أهل العلم بالله ، ولا يبعد أن يكون المراد من الشجرة هى شجرة الله تعالى ، التى رأسها جهة العرش ، وفروعها مدلاة جهة الأرض ، كسدرة المنتهى التى رأسها مغروسة فى العرش وفروعها مدلاة على الجنة ، بخلاف شجرنا فإن رؤوسها مغروسة فى الطين وفروعها مرتفعة إلى العلو ، وشجرة الله هى التى غرسها بيديه فى جنه عدن ، بعد أن صاغها بيديه ، وخلقها فى أحسن تقويم ، ونفخ فيها من روحه ، وأسجد لها ملائكته ، ونقلها فى جنة عدن .

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩.
(٢) سورة ص آية ٧٥.

و هنا يفهم من فقه الإشارة ، وإنما هو فهم يهبه الله لمن يشاء من خلقه ، ومعنى قربه منـــها أن ينسى الله تعالى فينسيه الله نفسه ، ومعنى أن الله تعالى هو الذى خلق الإنسان بيديه من طـــين أولا ، ثم خلقه من ماء مهين ثانيا وصوره بنفسه ، قال سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِـــي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (١) فالإنسان هو شجرة الله تعالى.

﴿ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أى :من الذين ظلموا أنفسهم بمخالفتهم نهى الله تعـــالى ، ومن هنا فهمنا أن القرآن كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ لكل حرف منه ظهر وبطن ، ولكل حـــد و مطلع ، فظاهره لأهل الظاهر ، وباطنه لأهل الإيمان الكامل ، وحده لأهل الشهود فى مقامات الإحسان ، ومطلعه لأهل الوجود الحق فى مقامات اليقين ، ولا يعارض مذهب مذهبا ، رزقنا الله تعالى العلم به ، وبحكمة ما أوجده فى كونه ، إنه مجيب الدعاء .

قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَـــالَ مَـــا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـــذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (٢)

الوسوسة هى إلقاء ما فيه مضرة إلى الغير ، وأما إلقاء ما فيه خير للأرواح فيســـمى وحيا ، وما فيه خير للأشباح يسمى وعظا ، وكل ما يلقيه إبليس فهو وسوسة لأنه لا يلقى إلا ما هو شر ، وسوس على وزن (وعوج الذئب) و(ولولت المرأة) يخبرنا الله تعالى أن آدم بعد أن أسكنه الله الجنة هو وزوجه كبر الأمر على عدو الله إبليس ودعاه الحسد وخبث الطبـــع أن يوقع آدم فيما – يبعده – عن ربه ، كما بعد هو ، لأنه يعلم أن ربنا — تنـــزه وتعالى – غـــنى عنهم وعن الخلق ، غيور لأمره ونهية ، وكان عدو الله محجورا عليه أن يدخل الجنة ، فتقـــرب من الحية التى كانت خازنة الجنة وو قف يبكى جوارها ، حتى أحزنها فسألته ، فقال لهـــا : إن آدم وحواء لهما عندى نصيحة وأحب أن تدخليني فى فمك وتدخلين الجنة حتى أبلغهما مالهما عندى ، فرحمته ووضعته فى فمها ، ودخلت الجنة ، فوقف يبكى جوار حواء حتى أحزنهـــا ، فسألته قائلة : ما بالك : فقال : أبكى عليكما تموتان وتفارقان هذا النعيم المقيم ، فسألته : وما يبقى فيه ؟ فقال : أن تأكلا من تلك الشجرة ، فتقدمت إلى آدم فأخبرته ، فأنكر ، فأقسم لهما

---

(١) سورة آل عمران آية ٦ .
(٢) سورة الأعراف آية ٢٠ .

بالله إنه لمن الناصحين ، وهذا الذى وسوس به إبليس إلى آدم وحواء ، وهو خبره لهما أنهما يموتان ويفارقان هذا النعيم المقيم ، فأكلا منها .

و معنى هذه الآية الشريفة وهى قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ أى : وسوس إليهما، وإنما أتى باللام هنا لحكمة فى أن الوسوسة إذا لم تقبل كان متعلق الفعل ب : إلى ، وإذا قبلت كان باللام ، فالإشارة إلى أنها قبلت لاعتقادهما أن النصيحة نافعة لهما ، فقبلا منه وأكلا من الشجرة.

﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾ هذه الآية الشريفة وما قبلها تقدم الكلام عليها فى سورة البقرة ، وإنما نتكلم عليها هنا لنبين ما لم نبينه من قبل .

جمل الله تعالى آدم بعد أن نفخ فيه من روحه بجمال جعله مظهرا لانبلاج معانى صفاته سبحانه وتعالى ، وعلمه الأسماء كلها ، وكان يشهد معانى الصفات منبلجة فى هيكلهما الذى كان رقا لتلك الأسرار ، وكانت تلك الأنوار لا تفارقه لأنه حاضر القلب ، شديد المراقبة ، تمثلا لأنوار معانى الصفات ، حتى وسوس إليه عدو الله إبليس وخدعة بحلفه له بالله تعالى فصدقه وأكل من الشجرة ، أى : نسى جمال الله الظاهر بمعناه فى هيكله ، قال تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (١) فنسى حقيقته التى بعلمه بها يجمله الله تعالى بهذا الجمال ، فلما نسى سلب ما كان منحه الله له تفضلا منه جل جلاله ، وتسلطت عليه قوى النفوس الشهوانية والغضبية والعنادية ، فشعر بقضاء الحاجة ، ونظر فرأى ما لم يكن يره فى سوآته ، ولديها حمل بعد أن كان محمولا فأخذته الحيرة ، وراح يطوف فى بساتين الجنة ويستر عوارته حياء من الله تعالى ، فكانت وسوسة إبليس لآدم طعما فى أن يأكل من الشجرة فيسلب منه هذا النور ، فلا يكون أهلاً لما أهله الله له من هذا النعيم المقيم فى جوار الله تعالى ، و كذلك يخف عن إبليس ثقل حمل الحسد والعدواة والبغضاء بسب النعمة عن آدم ، أعاذنا الله تعالى من أهل الكيد .

---

(١) سورة الحشر آية ١٩ .

﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا ﴾الذى كان يستر سوآهما هو نور استجلاء معانى الصفات كما تقدم ، وقال بعض المفسرين : هو غشاء من نوع القطن ، وقال بعضهم : هو نور أخفاها ، وكل ذلك جائز .

﴿ وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (قَالَ) استئناف ، والآية بعدها ما وسوس به إبليس لهما ، والمعنى : ما نهاكما ربكما عن تلكما الشجرة إلا كراهية أن تكونا ملكين – بكسر اللام – وفى رواية أخرى : ملكين – بفتح اللام – فالثانية : أن تكونا من الملائكة الخالدين المنعمين بالطهر والصفاء ، وفى الأولى : من الملوك ، أى : تفوزون بملك الجنة لكم فيها ما تشاءون إلى الأبد ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لا يموتون أبدا ، فانزعج آدم – وإن لم يذكر هنا انزعاجه – إلا أننا نستدل على انزعاجه بحلف إبليس له ، فإن المقسم لا يقسم إلا إذا رأى شكا أو ريبة فى المخاطب ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ أى : أقسم لهما ، وإن كانت المفاعلة تقتضى العمل من جهتين ، يكون إبليس أقسم وآدم قبل، فكأنه أقسم أيضا ، وصح الخبر من الله تعالى بقوله ﴿ وَقَاسَمَهُمَا ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (١)

أى أنه – لعنه الله – أقسم مؤيدا نصحه لهما باليمين الفاجرة ، و لم يكن آدم يعلم أن أحدا يقسم بالله كاذبا ، وكيف يكون ذلك وهو من عالم الطهر والصفاء ؟ ! .

و لا تخلو وسوسة إبليس لآدم وزوجه وقبولهما منه من حكمة يتذوقها أهل العلم بالله تعالى ، وهنا نعلم أن الله تعالى أمرهما ألا يقربا تلكما الشجرة ، فأكلا منها تنفيذا لقدر الله تعالى ، وإظهار لما يعلمه سبحانه وتعالى ، وقياما بحجته على الملائكة الذين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ (٢) إلى حيث أهبطه الله تعالى إلى الأرض كما يأتى ، وخلق من ذريته رجالا يقومون لله بأجمل الأعمال والطاعات ، متبرئين من حولهم وقوهم ، يكون شوقا إلى الله ،

---

(١) سورة الأعراف آية ٢١ .
(٢) سورة البقرة آية ٣٠ .

يشتاقون إلى الله جل جلاله ، مع أن الملائكة الأطهار قالوا فى مواجهة ربنا جل جلاله: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (١) فأثبتوا لأنفسهم التسبيح والتقديس ، وهذا لا يشهده الأخيار من ذرية آدم ، فسبحان من أخفى جماله فى جلاله ، وحير العقول فى أسرار قدره وحكمة أفعاله .

قوله تعالى : ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢)

أى : أعد نفسه مظهر الدال على الخير ، زخرف القول غرورا بما أقسم لهما ليخدعهما ، فلما ذاقا الشجرة نسيا أنفسهما ، لأهما نسيا هى الله تعالى بغرور العدو ، فانفصلا عن الاستقرار فى مشهد التوحيد العلى ، انفصالا شهدا به وجودهما ، فبدت لهما سوآهما – أى : ظهر لهما احتياجهما إلى ما لابد منه للإنسان من قضاء حاجة وستر عورة – وفى ذلك ما لايطيقه إنسان(وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أى: أسرعا يختطفان ورق الجنة ليسترا به عوراهما ، وكان آدم كالنخلة ثائر الشعر ، فقابلته شجرة فأمسكت بشعره فقال : اتركينى ، فقالت : لا أتركك . ولديها ناداه ربه : إلى أين تفر منى يا آدام ؟ فقال : استحياء منك يا رب . عندما أمسكت به الشجرة ناداه ربه سبحانه مذكرا له عهده وهيه قائلا سبحانه : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ولديه سأله : من أمرك بالأكل منها ؟ فقال : أمرتنى حواء ، وقالت حواء : أمرتنى الحية ، فقال للحية : من أمرك بأن تأمرى حواء بالأكل منها ؟ فقالت : أمرنى إبليس. وقدر جل جلاله أن يهبط آدم من الجنة ، وقدر سبحانه أن تدمى حواء من كل شهر مرة كما أدمت الشجرة ، وقدر سبحانه أن يقطع قوائم الحية حتى تمشى على بطنها ، ولعن إبليس وطرده .

قوله تعالى : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٣٠ .
(٢) سورة الأعراف آية ٢٢ .
(٣) سورة الأعراف آية ٢٣ .

هذه الآية الشريفة هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه ، فإن آدم سأل الله التوبة فأعطاها إياه ، وإبليس سأل النظرة فأعطاها إياه ، وتفضل جل جلاله فألقى الكلمات على آدم فتلقاها منه سبحانه وهى قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾ بمخالفتنا نهيك ، وإن أنت لم تغفر لنا فتستر مخالفتنا لنهيك بستر مغفرتك ﴿ وَتَرْحَمْنَا ﴾ أى : تبدل تلك السيئة الكبرى برحمتك حسنة بما وفقتنا له من التوبة ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ أى : الذين خسروا أنفسهم يوم القيامة ، وهذا الدعاء إذا دعا به المذنب واجدا مرارة و إنكسار قلبه بين يدى ربه غفر الله له ، فإن آدم تلقاه من ربه ، والمسلم المذنب تلقاه عن أبيه آدم .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾(١)

الهبوط هو السقوط من علو إلى أسفل ، ومعنى هذه الآية الشريفة أن آدم وحواء تقع بينهما العداوة وبين إبليس والحية ، فلا يذكر إبليس على لسان مسلم إلا لعنه ، ولا يرى إنسان الحية إلا صفع رأسها بنعله .

﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ أى : لكم فيها استقرار ، ولكم فيها ما تحتاجون إليه للمتعة به مما لابد لكم منه وأكمل ، من مأوى وهواء ونباتات وحيوانات ، وغير ذلك مما لا تطيب الحياة إلا به ، وفى ذلك عقوبة لآدم وحواء اللذين كانا فى جنة عدن لهما ما يشاءون فيها ، وعقوبة لإبليس الذى كان خادم السماء الأولى ، وطامعا فى الخلافة عن ربه فى الأرض ، وعقوبه للحية التى كانت جميلة الطلعة عالية المكانة ، ضخمة الجسم ، فصارت ملتصقة بالتراب يشدخ رأسها كل من رآها ، مما زاد فى حزن آدم ، وفى طرد ولعنة إبليس ، وذل وخزى الحية ﴿ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ المتاع للأجل المسمى لهم جميعا .

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٤ .

الباب الثانى

النشأة الكونية

الفصل الأول

بطن الام

الأوطان خمسة :

الأوطان خمسة : وطن ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [1] ، ووطن بطن أمك ، ووطن الدنيا ، و وطن البرزخ ، ووطن الدار الآخرة ، ما ترك من الجهالة شيئا من سأل الله أن ينال شيئا يخص وطنا خلاف الموجود فيه .

وطن التحديد : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، ووطن التصوير : الرحم ، ووطن التكليف و التعريف :الدنيا ، ووطن الانتقال : البرزخ ، ووطن الجزاء : الآخرة .

أطوار الإنسان فى وطن بطن الأم :

و للإنسان فى وطن بطن الأم أطوار : نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [2] ثم عظام ، ثم لحم يكسو العظام ، ثم التسوية والتصوير ﴿ خَلْقاً آخَرَ ﴾ [3] والتعديل ، ثم نفخ الروح .

١ – مرحلة النطفة : تطلق النطفة على ثلاثة أشياء :

أ – نطفة الذكر وهى الحيوانات المنوية .

ب – " الأنثى " وهى البويضة .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٢) سورة الحج آية ٥ .
(٣) سورة المؤمنون آية ١٤ .

ج – النطفة الأمشاج وهى المختلطة من الماءين ، أى البويضة الملقحة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (1) .
٢ – والبويضة الملقحة تبدأ فى الانقسام وتتحول إلى علقة ، ويبدأ هذا الطور الثانى بعد أسبوع، أى منذ اليوم السابع ، وهى تمتص – حين تعلق بجدار الرحم – غذاءها ، وتتعلق بجدار الرحم بجملة تعلقات ، ويتسغرق هذا الطور أسبوعين

٣ – ويبدأ ظهور أول كتلة للبدن فى اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح ، وعندئذ تكون العلقة قد تحولت إلى مضغة ، ويشبه الجنين فى هذه المرحلة قطعة لحم لاكتها الأسنان ثم قذفتها بعد مضغها ، وهذا أدق وصف لها .

٤ ، ٥ – مرحلة العظام واللحم ﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ﴾ (2) وهى تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع وفيها يتم خلق معظم الجهاز الهيكلى ويتكون الجلد وما تحته من أنسجة ، والجزء العضلى يسبق فى تكوينه اللحم .
٦ – ثم يأتى طور التصوير والتسوية والتعديل ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(3) ومن أسماء الله الحسنى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى ﴾ (4) .

إن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل مستمرة فى الجنين بشكل مثير ، إذ فى كل يوم بل كل ساعة تشهد جديدا ، ومن له أدنى إلمام بعلم الأجنة والتشريح و وظائف الأعضاء يعرف كيف أن أجهزة الجسم المختلفة تهدم ويعاد بناؤها فى الجنين ، ثم تقل هذه التغييرات بعد الولادة ، وتقل أكثر بعد البلوغ ، لكنها لا تتوقف حتى فى الشيخوخة .

و لأن الناس كلهم لأدم وحواء وألوانهم وخلقهم مختلفة ، فلولا مخالفتهم شبه والديهم لكانوا على خلقه واحدة ، ولأن دلالة الشبه ضعيفة ودلالة ولادته على الفراش قوية ،

---

(١) سورة الإنسان آية ٢ .
(٢) سورة المؤمنون آية ١٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ٦ .
(٤) سورة الحشر آية ٢٤ .

فلا يجوز ترك القوى لمعارضة الضعيف ، ولذلك لما تنازع سعد بن أبى وقاص و عبد بن زمعة فى ابن وليدة زمعة ورأى النبى﴿ ﷺ وآله﴾ فيه شبها بينا الحق الولد بالفراش و ترك الشبه.

و فى يوم بطن الأم تأتى أحاديث العفة والنزاهة والمحافظة على أصل النوع الإنسانى ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ فيما رواه أبو هريرة : (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله عنه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين) .

و لأن فى الأمراض الموروث كما يشير علم الوراثة أن الشبه بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر ، بل بعيد كل البعد عن كلا الأبوين ، كما حدث فى حديث أبى هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ولدت امرأتى غلاما أسود – وهو حينئذ يعرض بأن ينفيه – فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق – أسمر أو رمادى – قال : إن فيها أورقا ، قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعة عرق ، قال فهذا عسى أن يكون نزعة عرق) و لم يرخص له فى الانتفاء منه ، وهذا حديث يدل على سعة علمه ﴿ ﷺ وآله﴾ مع قدرته فى الحوار والإقناع .

لذا قال الحبيب ﴿ ﷺ وآله﴾ : (تباعدوا لا تضووا) .

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ مبينا أن التخليق مستمر:(إذا مر بالمنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله ملكا فغيرها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال : يا رب أذكر أو أنثى ؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك) أخرجه مسلم ، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (١) ، و﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ (٢) ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (٣)، ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً ﴾ (٤) .

و قد ثبت أن الإنسان مخلوق – كما أخبر الله – ﴿ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ (٥) و ليس من الصلب والترائب ، وإنها الدقة المتناهية ، إذا تتكون الخصية والمبيض من الحدبة التناسلية بين العمود الفقرى ، وهى الصلب ، والأضلاع وهى الترائب ، ثم تنزل الخصية فى كيس الصفن خارج الجسم ، بينما ينزل المبيض إلى حوض المرأة .

و النظر فى الإنسان كيف بدأ من نطفة تستقذرها الفطر السليمة ، ويستهجنها الحس السامى ، ثم كيف تعبر بهذه الأطوار خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث .

ثم كيف ﴿ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ (٦) .

إن الناظر المتأمل فى هذه الأطوار يرى حياة وخلقا ، ثم موتا ثم حياة وخلقا طورا من بعد طور ، فيذهب من نفسه الريب ، وينمحى الشك ، وتثبت القدرة العلية فى تصويرها وإبداعها ، وينجلى البعث والنشور ، ويسطع فى القلب ذلك النور ﴿ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٧) . ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ (٨) .
.

إن كل هذا الخلق والتكوين الذى تصنعه القدرة العلية يتم فى أضيق مكان وأظلم نقطة فى العالم، إنها تتم فى الرحم الذى قال الله تعالى فى شأن صلة الأرحام : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي

---

(١) سورة طه آية ٥٠ .
(٢) سورة نوح آية ١٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ٦
(٤) سورة الزمر آية ٦ .
(٥) سورة الطارق آية ٧ .
(٦) سورة الحج آية ٥ .
(٧) سورة إبراهيم آية ١٠ .
(٨) سورة الطارق آية ٨ – ١٠ .

تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [1] والتي يقول لها وقد أخذت بحقوى الرحمن : [لقد شققت لك اسما من اسمى فمن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته] .

و هذه الإشارة تذكر عقب الخلق والتكوين كما فى مطالع سورة النساء حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [2] .

كيف جعل سبحانه النطفة وهى بيضاء مشرقة علقة حمراء ، ثم جعلها مضغة ، ثم قسم أجزاء المضغة إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم فى داخل الرحم فى الظلمات الثلاث ، ولو كشف الغطاء لرأيت التخطيط والتصوير يظهر لك فى النطفة شيئا بعد شيء من غير أن ترى المصور ولا آلة ولا قلما ، فهل رأيت مثل ذلك ؟ ! ! ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [3] .

و يروى أن عمر بن الخطاب لما سمع صدر آية " المؤمنون " إلى قوله تعالى : ﴿ خَلْقاً آخَرَ ﴾ قال : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [4] فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (هكذا نزلت).).

خلق ابن آدم من سبع :

و يروى أن عمر رضوان الله عليه سأل مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا : الله أعلم ، فقال عمر : ما تقول يا ابن عباس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك و تعالى خلق السموات سبعا والأرضين سبعا ، وخلق بن آدم من سبع ، وجعل رزقه فى سبع ، فأراها فى ليلة سبع وعشرين ، فقال عمر رضي الله عنه : أعجزكم أن تأتوا بمثل ما أتى هذا الغلام التى لم تجتمع شئون رأسه . وهذا الحديث بطوله فى مسند أبي شيبة .

---

(١) سورة النساء آية ١ .
(٢) سورة النساء آية ١ .
(٣) سورة الزمر آية ٤ .
(٤) سورة المؤمنون آية ١٤ .

فأراد ابن عباس خلق ابن آدم من سبع بهذه الآية الواردة فى سورة " المؤمنــون " و بقوله : جعل رزقه فى سبع ، قوله تعلى : ﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُونــاً وَنَخْــلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبّاً ﴾ (١) السبع منها لابن آدم ، والأب للأنعام . وقيــل : القضــب والأب للأنعام ، والأنعام هى من أعظم رزق ابن آدم .

الخلق من سلالة سلت من كل بقعة :

و الحق عز سلطانه حين يذكر يوم بطن الأم فى كتابه ، إنما ليذكر أحبابه بقدرتــه و عظيم نعمه عليهم ، فعرفهم أصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم ، لقد خلقهم من سلالة سلت من كل بقعة ، فمنهم من طينته من جردة (أرض لا نبات فيها) ، أو من سبخة (فيها ملح ونــز ولا تكاد تنبت) ، أو من سهل أو من وعر ، ولذلك اختلفت أخلاقهم .

كذلك بسط عذرهم عند الكافة ، فإن المخلوق من طين وماء مهين ماذا ينتظر منه؟!

هم من تربة ، والفصل للقربة .

قدرته عظيمة علية ، قطرة أجزاءها متماثلة ، ونطفة أبعاضها متشــاكلة ، ثم جعــل بعضها لحما ، وبعضها عظما ، وبعضها شعرا ، وبعضها ظفرا ، وبعضها عصــبا، و بعضــها جلدا ، وكل جزء بهيئة مخصوصة ، وكيفية معلومة ، ثم الصفات فوق ذلك ، فسمع وبصــر ، وفكر وغضب ، وقدرة وعلم وإرادة ، وحقد وجود ، ويتقاصر عنها الوصف ، هيأهم لأحوال عزيزة يظهرها عليهم بعد بلوغهم .

فقوم فى ظل العبودية ، وقوم فى تحرر من رق البشرية ، وآخرون حققهم بصــفات الصمدية ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٢) سوى وأنشأ أحسن المخلوقين فى أحسن تقويم.

---

(١) سورة عبس آية ٢٧ – ٣١ .
(٢) سورة المؤمنون آية ١٤ .

و لقد ناب عنك فى الثناء على نفسه حين لم يكن ذلك منك ، إذ كنت فى مراحل وجودك وأطوار تكوينك فى بطن الأم ، كنت لا حول ولا قوة لك ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

التصوير فى الأرحام :

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (١) أى : يجعلكم فى صورة بعد صورة ، حتى تقوموا فى أحسن تصوير صورة له سبحانه ، فمن نطفة ، إلى علقة ، إلى مضغة ، إلى عظام ، ثم كسا العظام لحما ، بيانا لعجائب قيوميته التى قومت تلك الأطوار .

﴿ فِي الأَرْحَامِ كيف يَشَاءُ ﴾ الجار والمجرور متعلق ب : يصور ، والأرحام : جمع رحم ؛ والرحم معلوم ، وهو مأخوذ من الرحمة ، لأن به يحصل التعاطف والتراحم و التواد ، ﴿ كَيْفَ ﴾ ظرف للتصوير ، أو حال منه ، أى أن تصوير العبد فى بطن أمه معمول للمشيئة ، فقد يشاء أن يكون أبيض ، أو أسود ، أو أحمر ، أو حسنا أو قبيحا ، أو شقيا ، أو سعيدا ، أو غنيا ، أو فقيرا ، بحسب مشيئته ، كما خصصته إرادته فى حضرة علمه .

و قد ورد أن الملك يقبض النطفة فى يده وينادى ربه فيقول : مخلق أو غير مخلق؟ ما عمره ؟ وما رزقه ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقضى الله تعالى فيه بما يشاء ، وفى تلك الآية إشارة إلى أن العبد يجب عليه أن يجاهد نفسه كمال المجاهدة ، لينال رضا الله عنه برضاه عن الله ، فإن أعظم مقام عند الله تعالى هو مقام الرضا عن الله ، ومتى رضى العبد عن الله أعطاه أول عطية وهى كلمة ﴿ كُن ﴾ ، ثم أفرده سبحانه بالقرب دون غيره ، ومتى قرب الله عبدا وخاطبه أعانه على ما يحبه الله منه ، فكان فردا من أفراد الوجود ، أو بدلا من أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، أو صديقا .

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٦ .

كمال العناية الإلهية بالحقيقة الإنسانية

يا أيها الماء المهين من الذى سواك ... و من الذى فى ظلمة الأحشاء قد والاك
يا نطفة بقرارها قد صورت ... من ذا الذى بحنانة أنشاك
يا صورة من حسنه قد جملت ... من ذا الذى بجماله حلاك
يا أيها الإنسان صرت مقربا ... من ذا الذى بشهوده رقاك
و من الذى بألست أسمعك الندا ... و من الذى لوصاله ناداك
و من الذى تعصى ويغفر دائما ... و من الذى تنسى ولا ينساك
و من الذى يدنو إليك بفضله ... و إذا سألت جنابه أرضاك
و من الذى عند الشدائد يقصدن ... و من الذى إن تسألن لباك
و من الذى منح الجميل بفضله ... و من الذى بتلطف أحياك
و من الذى شق العيون فأبصرت ... و من الذى بظهوره أعلاك
و من الذى غذاك من نعمائه ... و من الكروب جميعها أنجاك
و من المجيب إذا سألت بسرعة ... و إذا طلبت وداده أعطاك
و من الذى كشف الحجاب توددا ... حتى رأت أنواره عيناك
و من الذى ملأ الفؤاد بحبه ... وبقربه عند الصفا ناجاك
و من الذى أولاك نور يقينه ... وبذكره وشهوده صافاك
فكر تراه ظاهرا بجماله ... متنزلا وهو الذى والاك
بك قد سمعت لك اعترفت فنظرة ... أعطى بها يا سيدى جدواك
يا ظاهرا بجماله متوددا ... حلل الرضا يا سيدى نعماك
يا باطنا بكماله ومنزها ... أشهد عيون الروح سر علاك
أنت الولى تولنا بحنانة ... حتى نرى حال الصفا معناك
عجبا لنا وألست نور مشرق ... نسهو أيا مولاى أو ننساك
و الوجه أشرق حولنا بجماله ... و عيوننا قد تشهد الأملاك
تتنزلن بتحية من ربها ... يا من رأيت جمالنا بشراك

الفصل الثانى

الحياة الدنيا

الدنيا :

المؤمن إذا ذاق حلاوة الإيمان وعلم شعبه ، وفهم أسرار الأوامر والنواهى ، ووفقه الله سبحانه وتعالى للتمسك بالعروة الوثقى ، وأعانه سبحانه على أن يسير على الصراط المســـتقيم بنشاط وسخاء وشجاعة وانشراح صدر ، وسكون نفس إلى جناب القدس الأعلى ، وطمأنينة قلب بالحق ، تنكشف له الدنيا عن حقيقتها ، وعن سر ما خلقت له ، فيعمل فيها عمل المتزود منها ، المدخر فيها لآجله ، الذى يكتز الكتز العظيم لينتفع بما فيه عند الضرورة والحاجة ، آخذا منها لوقته ما لابد له منه لحفظ كيانه وآله ، بقدر الحاجة التى تلزم مثله من زاد لنفسه ولأهلــه وأولاده ، وبلغة تبلغه ما أوجبه عليه من إغاثة ملهوف ، وإجابة سائل ، ومعونــة مضــطر ، وتأدية فريضة حج أو جهاد ، أو نفقة على من تلزمه ، مراقبا فى ذلك الأوجه التى نهجها لــه الشرع ، ملاحظا أن ذلك عمل لمولاه سبحانه ، وتأديته واجب أوجبه الله عليه لنفسه ولغيره ، فيكون فى عمله للدنيا عاملا من عمال الله تعالى ، حاضرا فى معيه الحــق ، مجمــلا برضــاه سبحانه، فى حصون الحفظ وولاية الولى ، وتكون الدنيا له ليست دنيا ، ولكنها سوق تجــارة رابحة، و يكون المؤمن العامل بهذا هو الياسر الفالح فيها ، ينتظر الفضل العظيم والفرج القريب (انتظارالفرج عبادة) [(١)] وبذلك يدوم أنسه ، ويطيب وقته .

العمل فى الدنيا لابد منه :

و العمل فى الدنيا واجب لابد منه ليس هو للدنيا ، وإنما يكــون للآخــرة ، أو لله سبحانه ، وأعمال الدنيا قد تقدم على غيرها من العبادات عند المقتضى ، كالسعى على المعاش

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٨ والطبرى فى تفسيره ٣٢/٥ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥/ ٣٠ .

لمن عنده عائلة وأهل ، فيكون له أجر أكثر من أجر العابد التارك للتكسب ، لأن مقام التوكل على الله سبحانه لا ينافيه العمل للكسب ، فرب عامل فى شؤون الدنيا أقرب إلى الله سبحانه -لحسن توكله عليه- من عابد مشغول القلب بمعاشه ، لصفاء قلب الأول وطمأنينته بما يسره الله سبحانه له من الرزق ، وبسطه له من الخير ، وقد يكون إصلاح شؤون الدنيا بعمل المنافع العامة ، والتفات المسلمين إلى العناية بحفظ دنياهم ونفوسهم بالأموال والصنائع والزراعة والتجارة والعلوم الكونية التى يعدون بها العدد والعدد لتجديد السنة ، وإعلاء الكلمة ، وإذلال الكفر وأهله .

و اعتزاز المسلمين وتمكينهم فى الأرض بالحق عند الله سبحانه من أفضل الأعمال المقربة لجنابه العلى ، مع النية الخالصة والرغبة فيما عنده سبحانه ، وكل زمان له مقتضيات بها تفضل بعض الأعمال على بعض ، هذا بالنسبة لغير الفرائض اليومية و الواجبات المفروضة تعبدا لله سبحانه ، واستحضارا لعظمته ، فإن شعب الإيمان تتفاوت بحسب مقتضى الوقت ، وقد يعمل العامل عملا لا يقتضيه الوقت فيرد عليه و ربما ضره ، كما يفعل الجاهل الذى يجمع الأموال ويتساهل بصحته ، مع أن المحافظة على الصحة أولى من جمع المال ، وإنما يجمع المال للمحافظة على الصحة ، ونحن فى زمان الواجب فيه العمل لإصلاح حال المسلمين مقدم على كل عمل ، خشية من أن يتساهل كل فرد ويسعى فى صالحه فيضيع فضل الجماعة ، والله سبحانه وتعالى يوفق الجميع لما فيه سعادة الدنيا والآخرة .

حياة الكون وما فوقها

فى حياة الكون لى شوق البيان	فوقها رشف الطهور من الدنان
فى حياة القرب سر الإجتلا	لهفتى لشهوده عين العيان
فى حياة القدس محوى عن أنا	فوقها المجلى تلوح من القرآن
فى حياة الإصطفا شأنى عفا	أختفى عن كائن أو عن مكان
فوقها الحى العلى يلوح لى	صح موتى فى حياة الإمتنان
كنت حيا كادحا فى مقصد	صرت حيا فى ضيا نور الأمان

يختفـــى عـــنى التجلـــى فى الصـــفا تشـــرق المجلـــى بـــلا ســـور الرهـــان
ســـدرتى تخفـــى ويظهـــر ظـــاهر مـــن أنـــا هـــاء تلـــوح بـــلا بيـــان
كنـــت صـــورته لغـــيرى أولا صـــرت مجـــذوبا إليـــه ولا جنـــان
يختفـــى عـــرش محـــيط بى لـــدى جـــذبتى الكـــبرى ورسمـــى كالـــدهان
فـــوق الاســـتجلا حضـــورى غيـــبتى لا جنـــان ولا سمـــاء ولا عنـــان
ظلمـــة أخفـــت ظـــلال حقـــيقتى ظلـــه الأعلـــى يظلـــل فى التـــدان
كيـــف تبـــدو ســـدرتى فى وصـــلتى و هـــى لى فصـــل يحيزهـــا المبـــان
صـــرت لوحـــا فيـــه ســـر نزولـــه حـــير الأمـــلاك فى معـــنى البيـــان
ســـطر القـــرآن فيـــه مبينـــا شـــاهدته الـــروح فى حـــال اقتـــران
أشـــرق الـــدرى فى الأفـــق العلـــى نـــور الأجـــواء بـــالآى الحســـان
قدســـت أرض الحضـــيض بنـــوره فاخرت عـــرش اســـتواه بنـــور "كـــان"
لم يكـــن يـــترل قبيـــل ظهـــوره كيـــف يـــترل بـــالتجلى فى مكـــان
ذا نـــزول للمـــراد عنايـــة بـــل وحـــب فيـــه يوليـــه العيـــان

يا قلب فكر ...تر الدنيا أباطيلا

يا قلـــب فكـــر .. تـــر الـــدنيا أبـــاطيلا و اقـــرأ أيـــا قلـــبى قرآنـــا وتتريـــلا
خل الهوى .. وادكـــر فاللـــهو مفســـدة أقبـــل علـــى الله تعـــط الخـــير مـــأمولا
المـــوت يـــا قلـــب إن حققـــت نازلـــة لم يبـــق حيـــا فخـــل القـــال والقـــيلا
و الـــدار دار بـــلاء إن رضـــيت بهـــا و كيـــف ترضـــى بـــدار البعـــد مـــأمولا
دنيـــاك دار فنـــاء لا بقـــاء لهـــا أقبـــل علـــى الله تعـــط الخـــير موصـــولا
المـــوت عـــبرة مـــن فـــازوا بســـابقة مـــن ربهـــم لم يـــروا زورا وتـــأويلا
فـــروا إلى الله مـــن دنيـــا وآخـــرة لم يشـــهدوا عمـــرهم غـــيرا وتبـــديلا
أحيـــاهمو الحـــب فى شـــغل بخـــالقهم حـــتى بـــه اتصـــلوا قربـــا وتمثـــيلا

أنواع الحياة :

الحياة الروحانية تظهر بالحال والقال ، والحياة الجسمانية تظهر بالحظ والشهوة، فمتى قامت الحجة على أن الإنسان فى حياة روحانية فلا تؤاخذه بسيئاته ، قال الله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (١) وإذا ظهرت الحياة الجسمانية فى إنسان ، فلا تعبا بحسناته ، قال تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً﴾(٢) و الحياة القدسية تظهر بالإشارات فى أخفى الخفا من أنوار مجلى الذات ، ومتى شهدت فى رجل تلك الحياة فصف له قلبك ، وأمسك عنه لسانك – وإن أنكرت أحواله وأعماله بحسب مقامك – وإن لم تستطع أن تسلم له فاجتنبه ، فإن من حرم الذوق والتسليم ربما وقع فى الاعتراض فأصبح غير راض عن الله ، ومن حرم الرضا عن الله حرم النفع بما حصل .

و الحياة الإبليسية تظهر فى الهمم والإرادات ، فإذا ظهرت فى إنسان فاجتنبه ، وإن أثرت همته وإرادته فى العالم ، فإن الله تعالى قد يستدرج من يشاء بما يشاء ، وقد ينطق بالحكمة ذو الحياة الإبليسية ، لأنه يستمد من سافلين النأى ، قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾(٣) فلا تغتر به .

متى صحت حياة الروح ذكرت الله قائما وقاعدا ونائما ، لأن الجسم لابد له من النوم ، والروح لا تنام إذا صحت حياتها الروحانية ، قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ ﴾ (٤) من أحياه الله بالحى القيوم لا يموت وإن مات جسده ، من مات بالإرادة أحياه الله بالفضل حياة طيبة .

حياة العبد

حياتى مقتضى المثل العلى و موتى كى يلوح ضيا الولى

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٦.
(٢) سورة الفرقان آية ٢٣.
(٣) سورة الطلاق آية ٥ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٩١ .

فأحيا مظهرا يجلى ظهورا   لرب نوره النور الجلى
حياتى أن أكون له مثالا   به استجلاؤه كشف الخفى
و أحيا بعد هذا فى اتحاد   به ستر المثال لدى الصفى
وفوق الإتحاد فلا مقام   و قدرى يختفى وأنا الخفى
و فى العلم اللدنى لى انتساب   بنور إرادة الرب القوى
وكنت مخاطبا فيها وجودا   بلا رسم ولا كون دنى
يخاطبنى لأن وجود ذاتى   جلى فى الخفاء المعنوى
و فى القدر الذى هو سر أمر   قبيل الخلق لى نور بهى
فكان ولم يكن قبلا سواه   فكنت به له العبد الوفى
و قبل العهد والميثاق بدءا   حياتى مقتضاها كل حى
فكنت مجردا فى روض أنس   من التقييد والمبنى خلى
بإطلاق ولا تعيين يخفى   ضيا أوصافه حصن الولى
و لكن مقتضى الأسما ألاحت   ظهورى كى يراه كل شى
مثالا للجمال وللتجلى   و صورته وحانا للروى
و أكمل مظهر ينبى بغيب   على عن شهود الألمعى
و رمزا لليدين وزدت معنى   بنفخته وأصلى من منى
و لى فى النشأة الأولى حياة   بها شاهدت أنوار الولى
و لى فى النشأة الأخرى وجود   يحققنى بعهدى الأولى
تصح إعادتى للبدء نورا   به أسماؤه تجلى لدى
تجلى لا لأظهر بل ليجلى   لأهل الإصطفا نورا جلى
و فوزى أن أشاهد فيه نفسى   فأشهدنى أنا العبد الدنى
فأجمع حضرتى أعلى وأدنى   بمحو البين عن عين الصفى

رشفة من طهور العرفان فى إحياء القلوب :

قال تعالى ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [1] ، الحياة أنواع : منها حياة المعادن، و حياة النباتات ، وحياة الحيوانات ، وحياة الأناسى ، وكل حياة بنسبتها إلى النوع الحى ، فالماء المترل من السماء يحيى كل تلك الأنواع ، وفيه إشارة للعقول أن هذا الماء المترل من السماء أحيا الله به موات كل تلك الأنواع ، فإذا أفنى الله من على وجه الأرض أعاد حياة الأناسى بماء يترله من السماء قد بينته فى كتاب " النشأة الثانية " [2] فراجعه ، ويكون هذا سببا فى إحياء بنى آدم للبعث والنشور ، وفى هذا الوقت يكون الجمال الإلهى الصرف قد غمر من سبقت لهم الحسنى ، ويكون الجلال و القهر قد أوبقا أهل الكفر بالله ، أقول لك : الجمال الصرف ، لأن جماله سبحانه فى هذه الدار الدنيا مشوب بالجلال .

و فى قوله : ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ إشارة إلى الجدب والزلازل وغيرها ، وفيه إشارة إلى إحياء القلوب ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإقامة ورثتهم الذين كانت ساعة واحدة من رجل منهم خيرا من أربعين سنه مطرا ، لأن الناس لو فقهوا أن الأمطار تحيى النباتات والحيوانات والجمادات ، وأما الماء الذى يترله الله من سماء القلوب إلى أرض القلوب فإنه يحيى النفوس فيزكيها ، والأرواح فيخلصها من سجن الهياكل ، ويحيى العقول فيشهدها جمال آيات الله فى الكائنات ، ويحيى الأجسام فيقيمها فى محابه ومراضيه ؛ وبذلك تملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن كانت ملئت ظلما وجورا . وشتان بين نور الشمس الذى يبين تلك الآثار المادية ، وبين نور الله تعالى الذى يسطع من القلوب العامرة به ، فيبين جمال الله ، ويشهد عجائب بديع آياته ، فيكون العبد المشاهد فرحا بفضل الله تعالى ورحمته ، أو حاضرا مع الله تعالى ، أو عنده ، أو لدنه ، أو آنسا بالفناء به سبحانه عما سواه .

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ .
(٢) تطلب جميع مؤلفات الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ﷺ من " دار الكتاب الصوفى" ١١٤ ش مجلس الشعب - القاهرة

الفصل الثالث

الجنة العاجلة

الجنة العاجلة هى جنة الرضا والشهود :

الجنة معلومة لغة وشرعا بينها القرآن المجيد ، ولا خلاف بين المسلمين فى الجنة ، وإن اختلف بعض من لا ذوق لهم فى أنها هل هى موجودة وأين مكانها ؟ وهذا الخلاف مردود على أهله ، لأن القرآن أثبت وجودها ، وأثبت أنها فى عليين ، وأن النار فى سجين ، بدليل ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [1] ثم قال : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [3] ثم قال ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [4] وقد عينت السنة مكان الجنة فى حديث الإسراء والمعراج ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [5] .

و الجنة جنتان ، قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [6] والجنتان عاجلة ، و هى لأهل مقام الإحسان ، وآجله ، وهى لهم ولأهل مقام الإيمان الذين فارقوا الدنيا على الإسلام ، فالجنة العاجلة هى جنة الرضا عن الله تعالى ، وهى جنة الشهود و طمأنينة القلب بذكر الله تعالى عند كل شأن من الشؤون ، والكون كل جنة لأهل الرضا ، وهم الذين تنقلب لهم الحقائق ، لأنهم عند ربهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [7] وقال : ﴿ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [8] وما تقول أيها أيها المشتاق إلى الجنة العاجلة فى قوم عند ربهم لهم ما يشاءون ؟ ! أو تقول فى قوم أعانهم الله

---

(١) سورة المطففين آية ١٨ .
(٢) سورة المطففين آية ٢٢ ــ ٢٣ .
(٣) سورة المطففين آية ٧ .
(٤) سورة الأنفطار آية ١٤ .
(٥) سورة النجم آية ١٣ ــ ١٥ .
(٦) سورة الرحمن آية ٤٦ .
(٧) سورة الأنبياء آية ٦٩ .
(٨) سورة الشعراء آية ٦٣ .

تعالى، فجاهدوا فهداهم سبله ، فرفعهم إلى مقام القرب حيث قوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ (١) فمن جعل الله لهم المشيئة منحهم الملك الكبير ، ومن جاهدوا فهداهم سبله تفضل عليهم بالنعيم فالجنة العاجلة جنة الأرواح التى تجردت من مقتضيات عناصرها ، ففرت إلى الله بجاذبة عنايته ، وجنة النعيم المقيم لمن خضعوا لسلطان الشريعة ، فكانت الدنيا سجنا لهم ، وإن صرفهم الله فيها أكمل التصريف فى الكون ، لأنهم تحت سلطان الشريعة فى تصرفاتهم .

ألق أذن روحك :

الجنة تستر من دخلها ، فلا يرى ما هو خارجها ، ولا يراه من هو خارجها ، وهى سر الأخذة الحقية قبل الاصطناع ، ومن أخذه الله عنده ضن به على خلقه ، فكان من ضنائن الله تعالى ، فلا يرى إلا الوجه حيث ولى وجهه ، ولا يراه أحد ، يعرف بها حقيقة ما لديه من الله تعالى .

و هم أهل الجنة العاجلة ، وهؤلاء لا يحتاجون إلى جنة آجلة ، وفى بعض الآثار أنهم يفرون من الجنة ويقولون : تركناها أحوج ما نكون إليها فى الدنيا ، فكيف نطلبها و نحن فى غنى بالمحبوب عنها ؟ ! .

الجنة ظهور معانى الصفات مستغرقة لكل المرآة ، والمأخوذ اقتطعه الله فى وجود شهوده وستر شهود وجوده ، وهؤلاء كثير فى كل قرن : فمنهم الهائم على وجهه فى القفار ، ومنهم المستتر عن الخلق بالملامتية والابتذال ، ومنهم الغائب عن الملك سياحة فى الملكوت ، ومنهم العاكف بقلبه على ربه ، معتزلا الناس بعد فقد خياله ووهمه، فإن الخلوة لا يأذن بها المرشد لذى خيال أو وهم ، ولبس خرقة الملامتية لا يأمر به المرشد إلا لمن حصنه الله تعالى بالآداب الشرعية ، ومنهم المخمور الذى لا يفيق ، و منهم ومنهم وقد فصلت مجمل هذا فيما سبق من الكتب ، كل هؤلاء فى الجنة يعنى فى الستر .

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .

و فوق ذلك جنة ، خذ بأذن السر ، أفراد أبدال الرسل الذين هم عشرة رجال ، أو خمسة أو سبعة ، هم جنة عالية ، وهم الشجر الذى غرسه الحق بيده ، وهم المعنيون بسبعين ألف حجاب من النور ، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحدية ، أو رذاذ غيث الواحدية ، أو نور زيت المشكاة المحمدى ، قال سبحانه :

﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ ﴾ (١) وهناك جنة أعلى لا تفى بها الإشارة ، ولا تبينها العبارة و هى تؤخذ بشذرات يبيح بها أهل الاتحاد فى مقام القهر الوجودى ، بعد الجذب الفنائى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٢) .

مقام الرضا :

الرضا يختلف عند أهل المقامات ، فالرضا عند المحبوبين المقربين : سرور القلب بمر القضاء ، للتحقق بأكمل مقامات العبودية ، لا من حيث أنه مؤلم ، بل من حيث أنه يجعله مشاهدا فى نفسه حقيقة معانى العبودية ، الذى يشهده معانى تجليات الربوبية ، فتحل بالقلب نازلة تلجئه لأن يبتهل مضطرا ، والابتهال أكمل حال أكمل العبيد ، خصوصا عن مشاهدة . والرضا عند العشاق المهيمين : سكون القلب بحب جريان الحكم ، وبين المشاهدتين كما بين أهليهما . وقد رأى بعض العارفين الذين غلب عليهم الوجد أن الرضا نازلة تنزل على القلب عن مقام الحب ، فيكون حالا عن المحبة. و الحقيقة أن الرضا مقام من أعلى مقامات اليقين ، يتصدم القلب منه بصدمات عالية، حتى يشهد المرحلوا ، والنار بردا وسلاما ، والألم لذة ، لما ينبعث عن القلب من أحوال مقام الرضا ، وإنما كان سرور القلب أرقى من سكونه لتفاوت المشاهدتين .

و قد أنكر أهل الحجاب الرضا والمحبة ، وإنا لنرى لهم عذرا فى إنكارهم ، لأنهم لم يكن لهم نصيب منهما ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٣ .
(٢) سورة الإسراء آية ٨٥ .

و أهل الرضا قسمان : قسم رضى عن الله تعالى ، وقام بعمل الدنيا وعمل الآخرة طالبا المزيد منهما – وهذا لا ينقص مقام الرضا – وهم خاصة أهل اليمين ، وقسم رضى عن الله تعالى رضا جعله آنسا بالله ، فارغ القلب مما سواه ومن سواه ، مقبلا بكليته عليه ، منصبا بجملته إليه ، وهم المحبوبون المقربون ، وقد جهل قوم حقيقة مقام الرضا لغلبة مشاهدة أسرار التوحيد ، فظنوا أن الرضا عن الله تعالى يجب أن يكون عن أحكامه وقدرته وإرادته ، فلم يروا فعلا قبيحا ولا عملا سيئا لشهود الكل بقدر الله و حسن تدبيره ، وهذا من الجهل بعلم الحكمة . الرضا وإن كان عن كمال مشاهدة التوحيد فإنه إنما يكون بالمعانى التى تلم بك أو تؤلمك ، وفى التلذذ بشدائد الأعمال فى ذات الله تعالى ، من الجهاد والصوم وقيام الليل وبذل المال ، وتحمل الأذى من الخلق ، و ترك مالك عليهم ، والمبادرة فى إعطاء مالهم بمزيد ، وأن تحسن كل مباح قدم لك من أكل وشرب ولباس وزوجة ودابة ومسكن وفراش وخادم وأجرة عمل وجيران ، و يكون الرضا بسروره بكل شيء فى ذاته ، مما ينقص ماله أو جاهه أو منزلته أو نسبه أو علمه فى أعين الناس .

الغضب لله عين الرضا عنه سبحانه: وليس الرضا هو التحقق بمشاهدة التوحيد مع جهل الحكمة وأجزائها حتى يرضى بما قبحه الله وذمه،و ما بغضه ﴿ﷺ وآله﴾و كرهه ، فيترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، و نصيحة المسلمين ، أو يترك طلب الضرورى من الدنيا والمزيد فيها ، أو الآخرة والمزيد فيها ، من المعانى التى هى من كمال الرضا عن الله تعالى ، أو يترك الادخار و الكسب ، وإنما يكون الرضا حقيقة عن المتوكل حقيقة ، وليس من الرضا أن يرضى الإنسان بعمل يكرهه الله تعالى يعمله هو أو يعمله غيره ، ويظن أن سخطه على عمل المعصية فى نفسه أو فى غيره عدم رضا عن الله تعالى ، وهو من الجهل بأحكام الله تعالى ، وبحكمته سبحانه ، وكيف لا ؟ ! وسيد الراضين ﴿ﷺ وآله﴾ كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله تعالى ، وغضبه هو عين الرضا عن الله تعالى ، فمن رأى أن الرضا عن الله تعالى أن لا يكره شيئا أو لا يذم شيئا مطلقا ، فقد جهل ، نعم ، الرضا عن الله تعالى ألا تكره شيئا أو لا تذم شيئا مما أباحه لك الشرع ، أو قدره الله عليك من أنواع البلاء ، والرضا عن الله تعالى أن تذم المعصية ومن يعملها – ولو كنت عاملها – وأن تكره مخالفة الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾

والوقوع فيما نهى عنه – ولو كنت الفاعل العامل – و إظهار الفقر لا ينقص الرضا إذا رآه نعمة عليه من الله تعالى ، لأن المنع من الله إحسان ، لأنه فى منعه معط ، ولأن المنع حقيقة لا يتحقق إلا فيمن لك عليه شيء ، أو تستحق منه شيئا ، وهذان المعنيان تتره الله عنهما ، فهو فى منعه سبحانه وتعالى معط، فيكون رضاك بالمنع كرضاك بالعطاء ، لأنهما صفتان من صفاته.

فضائل الرضا :

قال الله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ (٢) فمن أحسن الرضا عن الله تعالى جازاه الله بالرضا عنه، و قد رفع الله تعالى الرضا على جنات عدن لأنه من أعلى مقامات اليقين ، فرفعه على جنات عدن التى هى من أعلى الجنان ، كما فضل الذكر على الصلاة فقال تعالى: ﴿ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ﴾ (٣) : كما قال سبحانه و تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤) . والذكر عند الذاكرين الذين هم أهل الذكر هو المشاهدة ، فمشاهدة الله تعالى فى الصلاة أكبر من الصلاة ، وإن فسر هذه الآية بعض العارفين بأن معنى ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أن الله إذا ذكر العبد كان ذكره أكبر من ذكر العبد لله وأستحسن التأويل الأول ، لأن الذكر عند العارفين لا معنى له إلا المشاهدة ، فالرضوان الأكبر جزاء أهل الذكر الأكبر ، لأن الذاكرين ذكروه بالمشاهدة فأعطاهم الرضا عنه عز وجل ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، " يتجلى لنا ربنا ضاحكا " (٥) .

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢ .
(٢) سورة الرحمن آية ٦٠ .
(٣) سورة التوبة آية ٧٢ .
(٤) سورة العنكبوت آية ٤٥ .
(٥) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٠/٥٥٨ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٤ / ٥٢٩ وفى الشريعة للآجرى ٢٨٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩٢١١ وذكره صاحب الفردوس .

و قد روينا عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ حديثا من طرق أهل البيت " إذا أحب الله عبـــدا ابتلاه، فإن صبر اجتباه ، وإن رضى اصطفاه " [(١)] . وفى أخبار موسى عليه السلام : " أن بنى إسرائيل قالوا " سل ربك أمرا إذا فعلناه يرضى به عنا ، قال موسى : " إلهى فقد سمعت ما يقولـــون . فقال : يا موسى ، قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم " وعن نبينا عليه الصلاة والسلام : " من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده ، فإن الله يترل العبد منه بحيث أنزلـــه مـــن نفسه "[(٢)] . عن أنس بن مالك عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ : " إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاءوا فتقـــول لهم الملائكة : هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون : ما رأينا حسابا ، فيقولون : هل جزتم الصراط ؟ فيقولون : ما رأينا الصراط ، فيقال لهم : هل رأيتم جهنم ؟ فيقولون : ما رأينا شيئا ، فتقـــول الملائكة : من أمة من أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد ﴿ﷺ وآله﴾ ، فيقولون : ناشدناكم الله ، حدثونا ما كانت أعمالكم فى الدنيا ؟ فيقولون : خصلتان كانتا فينا ، فبلغنا الله هذه المترلـــة بفضل رحمته ، فيقولون : وما هما ؟ فيقولون : كنا إذا خلونا نستحيى أن نعصـــيه ، ونرضـــى باليسير مما قسم الله لنا ، فتقول الملائكة : يحق لكم هذا [(٣)] . وعنه عليه الصلاة والسلام أنـــه قال " من رضى من الله بالقليل من الرزق، رضي الله عنه بالقليل من العمل " [(٤)] .

و قال بعض علمائنا : أعرف فى الموتى أناسا ينظرون إلى منازلهم مـــن الجنـــان فى قبورهم ، يغدى عليهم ويراح من الجنة بكرة وعشيا ، وهم فى غموم وكروب فى البرزخ ، لو

---

(١) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٣٨/٥ ، ١٤٤/٩ ، ٢٧٧ ، ٥٢٤ ، ٦٥٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٠٧٩٣ ، ٦٧٧١ ، ٦٨١١ والحاكم فى مستدركه ٣٤٠/١ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٠٨/١ .
(٢) أورده العلامة الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٦٥١/٩ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٣٥/٤ والحاكم من حديث جابر رضي الله عنه .
(٣) أورده العلامة الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٦٥٠/٩ والعراقى فى المغنى عن حمل الاسفار ٣٣٥/٤ وابن حبان عن أنس رضي الله عنه .
(٤) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٦٥٠/٩ وأبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس عن سيدنا على عليه السلام .

قسمت على أهل البصرة لماتوا أجمعين ، قيل : وما كانت أعمالهم ؟ قال : كانوا مسلمين ، إلا أنهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب .

و فى أخبار داود عليه الصلاة والسلام : (ما لأوليائى والهم بالدنيا ؟ إن الهم يذهب حلاوة مناجاتى فى قلوبهم) . وفى بعضها " يا داود إياك والاهتمام بالدنيا ، محبتى من أوليـــائى أن يكونوا روحانين لا يغتمون ، إياك والغم ، ولا تهتم للخير وأنت تريدنى " .

الرضا حصن الأمن

رضا عنك حصن الأمن حظـوة مطلـوبى   و لم يشـــغلن قلـــبى عـــن المحبــــوب
ففى الســـر محبـــوبى ولى حالـــة الرضـــا   بهـــا يطمـئن القلـــب فى حـــال تقــريبى
رضـــاى عـــن الأقـــدار حلـــو ومرهـــا   و لكـــن مـــر الشـــأن حلـــو بترغيـــب
يــــريني جـــــلال الله جــــل جلالـــــه   و يشـــــهدنى عبـــــديتى تـــــرهيبى
عبـــودة كشـــف عـــن عيـــان مؤيـــد   بآيـــات حـــق فى انـــبلاج غيـــوبى
فمنه رضاى عنـــه منـــه الرضـــا عـــن ال   مســـارع فى تنفيـــذ أمـــر حـــبيبى
و إنى فى كـــــل الشـــــؤون يلـــــذ لى   رضـــــا الله عـــــنى فى مقـــــام منيـــــب
و لكـــننى فى الحضـــرتين أرى ضـــيا   لطيـــف عطـــوف بـــالفتى المجـــذوب
على رفرف الإحسان يحمـــل مـــن دعـــى   إليـــه بـــه يحظـــى بخـــير نصـــيب
جمالـــك حصـــنى بـــه فى تطـــورى   أعـــذنى إلهـــى مـــن جـــلال غـــروب
إلهـــى ورض العبـــد عنـــك بنعمـــة   على العبـــد تـــولى مـــن جمـــال مجيـــب
أيـــارب وامـــنحنى جمـــال تـــترل   أنـــال بـــه منـــك الشـــفا مرغـــوبى
أيـــارب أشـــهدنى جمالـــك ظـــاهرا   لأهلـــى وأبنـــائى لكـــل حبيـــب
ووســـع عطايـــا مـــنعم متفضـــل   مـــن التـــوب والإحســـان والمشـــروب

الرجوع إلى الله فى الحياة الدنيا :

قوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) . الرجوع هو العودة إلى ما صدر منه الراجع ، ولما كان الراجع إلى ما كان فيه أولا من الأمكنة لابد أن يفارق كل الآثار التى أبعدته عن مكانه الأول و مشهده الأول ، حتى يتحقق الرجوع إلى ما كان عليه ، ولما كان الإنسان فى بدئه روحا مجردة من ملابسة الأجسام ، كان فى مقام التجريد متحققا بمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فلا يبلغ هذا المقام إلا أحد اثنين : من مات وفارق الحياة الدنيا فانجلت له الحقائق على ما هى عليه فى نفس الأمر ، من أن الله تعالى هو النافع الضار المعطى المانع القابض الباسط ، حتى يتحقق بأن لله تسعة وتسعين اسما ليس له فيها شريك ولا مثيل . ورجل آخر جاهد نفسه فى ذات الله حتى كمل يقينا كمالا أشهده الله به باطن التوحيد ، ففقه أسرار مقامات التوحيد الاثنى عشر ، وهذا الذى بين الله مقامه فى القرآن المجيد ، قال سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (٢) وهو الذى رجع إلى الله فى حياته الدنيا لما وفقه الله له من الجهاد ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣) .

و نهاية الجهاد الأكبر جهاد النفس فى ذات الله ، وفى هذا المقام يفر إلى الله بالله تعالى ، قال جل جلاله : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (٤) فمعنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الذى فهم منه المجسمة أن له سبحانه مقاما معلوما تنزه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، وما فهموه دل على أنهم يقيسون بالمشهود الغيب المصون، و المعنى أنه تعالى يقول : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ من وقوفكم عند الأسباب ومن نزوع نفوسكم إلى شهواتها وحظوظها وأطماعها ومن ظلمة الأوهام ومفاسد الخيال ، ومن ضلال الآراء إلى ما كنتم عليه فى حال التجريد من ملابسة الحضيض الأسفل لانكشاف الحقائق على ما هى عليه فى نفس الأمر ، فيتحقق كل إنسان بحقيقته التى هى العدم قبل أن يوجده الله تعالى وبالضعف قبل أن يمده الله تعالى بالقوة ،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٦٩ .
(٤) سورة الذاريات آية ٥٠ .

والاضطرار إلى الله الذى أقام الأسباب وأمد العالم بواسع الإحسان ، وليس المراد الرجوع إلى مكان أو إلى الله الذى هو فى جهة دون جهة ، لأنه سبحانه و تعالى ليس له مكان يقصد فيه ، بل هو قبل المكان وقبل الزمان ، كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ :

" كان الله ولا شيء قبله : [1] وقال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾ [2] .

فكأن الرجوع إليه سبحانه هو الرجوع إلى ما كان عليه الإنسان قبل أن يخلق الأشباح إذ الأرواح كانت موجودة سابحة فى ملكوت الله ، ولكن الأجسام حجبتها عن شهود ما كانت متمتعة به فى حال تجريدها عن الأجسام و ملابستها .

و هنا اسمع بأذن قلبك الخطاب للإنسان جسما وروحا ، ولما كان الإنسان قبل الجسم روحا لا يدعى ولا يحتاج إلى دليل ولا ينذره الله ، وكل تلك الأحكام و المخاوف والتشنيع والتهديد والبشائر إنما هى خاصة للإنسان الذى هو روح وجسم فكأنه يقول سبحانه : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ قبل أن تنفخ فيكم الروح فأحياكم بنفخة الروح فيكم ، وتلك الحياة صادقة أن تكون حياة البشرية مؤيدة بالحياة الروحانية إذا كان الإنسان من أهل الإيمان الكامل ، فتكون الحياة تصحح اتصافه بالسمع والبصر و الكلام وبالحركة والإرادة ، وإذا حرم الإنسان التوفيق والهداية فتكون الحياة تصحح له الحس والحركة والإرادة ولكنه يحرم سماع تسبيح الكائنات ونظر آيات الله فيها و يحرم التوفيق لاتباع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ،و إذا فقد الإنسان الحس والحركة والإرادة يقال له : مات ، كما يقال لمن فقد السمع والبصر والحس والحركة والإرادة الإيمانية ميت كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء ﴾ [3] فحكم على أهل البعد عن الله بالموت وبالصمم . والحياة الروحانية الخاصة هى التى كانت الأرواح فيها فى صورة ذرية آدم عليه السلام متمتعة بها فى عهد يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾

(١) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٩٤/٢٨ ، ١٠٥/٢ ، ١٠٧/٢ وابن كثير فى البداية والنهاية ٨/١، ٩/١ والبخارى ١٢٩/٤ ، ١٥٢/٩
(٢) سورة الروم آية ٥٤ .
(٣) سورة الروم آية ٥٢ .

(١) فلما أن أحيانا الله الحياة الإنسانية حجبت الروح عن مطالعة هذا الغيب المصـــون بكثافـــة الجسم.

فمن جاهد نفسه ألاح الله له هذا النور وأحياه الحياة الروحانية التى يمشى بها فى الناس كما قال سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَـــن مَّثَلُـــهُ فِـــي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (٢) .
وقبل أن نبين تفصيل الحياة الثانية نبين لك بعض إشارات القرآن المجيد : ﴿ كَيْـــفَ تَكْفُـــرُونَ بِاللَّهِ﴾ بعد تلك الحجج والدلائل الواضحة ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً ﴾ قبل أن تشهدوا جمال ربكـــم ظاهرا جليا يوم قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْـــهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى ﴾ وفى هذا اليوم أسمعنا خطابه المقدس بعد أن أشـــهدنا جماله العلى فقال سبحانه : ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُـــواْ إِنَّمَـــا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٣) فهذا اليوم يـــوم الحياة التى يمن الله بها علينا ويذكرنا بها ، قال سبحانه : ﴿ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) . فمن سبقت لهم الحسنى ذكرهم فذكروا فحضروا فأقبلوا عليه فقبلـــهم ، وبوجهـــه الجميـــل واجههم ، ومنه سمعوا الخطاب المقدس بآذان أرواحهم ، وهذه هى الحياة الأولى .

أما حياة الكون إذا لم يتفضل الله على الإنسان بعيون الإيمان وآذان الإيمان ، حـــتى يتحقق بهذا المشهد العلى فليست حياته روحانية ، وإنما هى حياة بهائم أو شياطين ، وليست هى الحياة التى يمن الله بها على الإنسان ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ بحرمانكم من القابـــل لهـــذا الفـــيض المقدس ، وهذه الموتة هى التى شنع الله بها على من قال فيهم ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ (٥) : ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ أى يحيى من سبقت لهم الحسنى فى هذا الكون ، فيتنعمون بما يشتاق إليه أهل

(١) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٢ ـ ١٧٣.
(٤) سورة الذاريات آية ٥٥.
(٥) سورة الروم آية ٥٢ .

الجنة ، أو يتمتعون بشهود وجه الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾ (١) وبالأنس بالتلقى من حضرة الإلهام وبما يناله المؤمن الكامل من البهجة بمعية الله فى الدنيا بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (٢) .

أما أهل الكفر بالله والمنافقون وعصاة الأمة فيحييهم يوم القيامة لتنكشف لهم الحقائق التى كذبوا بها أو نسوها ، وعندها يقول كل واحد ممن كذب ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً﴾ (٣) .

و فوق هذا إشارة أخرى فى ﴿ يُحْيِيكُمْ ﴾ أى حياة الأنس به على بساط منادمته سبحانه ، إذا من عليم بالحياة الروحانية فى حظيرة القرب بدليل قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٤) .

الشهداء وأهل اليقين أحياء عند ربهم :

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ (٥) . قد نهانا الله تعالى أن نقول عن الشهداء إنهم أموات وأثبت لهم الحياة عند ربهم ، والعندية أعلى مقامات القرب لأهل اليقين الكامل من الأمة ، وليس فوق هذا المقام إلا مقام الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو مقام اللدنية ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦) ومقام ومقام العندية فوق مقعد صدق قربا ، لأن القوم ﷺ أعطوا الله الكل فأعطاهم سبحانه الكل ، فكانوا فى جواره عنده ، و رفع (أحياء) لأنه خبر لمبتدأ تقديره هم أحياء .

﴿ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ أتى بهذه الآية الشريفة حفظا لقلوب المؤمنين ، وقصما لظهور المنافقين ، وكأن مترددا قال : كيف يكونون أحياء بعد أن مزقت أشلاؤهم و علاهم التراب ؟ فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ولكن لا تروهم ، فمعنى ﴿ تَشْعُرُونَ ﴾ أى : ترون

---

(١) سورة البقرة آية ١١٥ .
(٢) سورة النحل آية ١٢٨ .
(٣) سورة النبأ آية ٤٠ .
(٤) سورة القيامة آية ٢٢ ـ ٢٣ .
(٥) سورة البقرة آية ١٥٤ .
(٦) سورة النمل آية ٦ .

وتشهدون ، لأن عيون الرؤوس وعيون العقول لا تنكشف لها الغيـــوب المصـــونة ، ولكنـــها تنكشف لعيون الأرواح ، من أحباب الله الذين هم عنده ، فكم من أحياء يمشون على التراب وقلوبهم سا بحة فى ملكوت الله الأعلى ، لم تحجبهم عن حبيبهم ضروريات الكون ولا كمالياته ، لأن الحقائق انكشفت لهم فتحققوا أن ما فوق الأرض فان بدليل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَـــنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (١) وتحققوا أن الكون من العرش إلى الفرش هالك لا دوام له ولا بقاء بدليل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٢) وقوم وقعت عيون بصائرهم على هـــذا الغيـــب المصون كيف لا يشهدون مقامات الذين قتلوا في سبيل الله ؟! ومن كانت همته بطنه وفرجـــه فهو أضل من الأنعام، فكيف يشهد مقامات أهل الحب والعلم بالله تعالى ؟ ! .

جنة معرفة الله تعالى :

إن أشرف العلوم وأجلها وأنفعها ما به نيل السعادتين وخير النشأتين ، وهو علم معرفة الإنسان نفسه وحقيقة جوهره وما تتصرف به الأمور حالا بعد حال ، إلى أن يبلغ إلى قصارى غايتـــه التى هى متمناه ، وهى أن يلقى ربه إما فى الدنيا بعين اليقين قبل الموت القهرى بالموت الإرادى ، الذى هو كمال تزكية النفس وعلم حقيقة التوحيد . و إما فى الآخرة بعد فراق الدنيا ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من عرف نفسه عرف ربه " (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : " إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا " (٤) وقال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) (٥) وقال سبحانه ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (٦) وقال سبحانه سبحانه : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٦ .
(٢) سورة القصص آية ٨٨ .
(٣) أورده السيوطى فى حاوى الفتاوى ٤١٢/٢ وفى الدرر المنتثرة ١٥٢ .
(٤) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٢٤ وفى السنة لابن أبى عاصم ١٨٦/١ ، والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩٢٠٨ .
(٥) سورة الزمر آية ٩.
(٦) سورة آل عمران آية ٧ .
(٧) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

و اعلم أيها السالك المسترشد أن هذا الباب من العلم ، هو طهور ذوى الألباب ، و معراج الوصول ، وعنصر الحكمة ، ونور المعرفة ، فجاهد نفسك واجتهد فى طلبه من العارفين به ، فإنك به تنال شرف الدنيا وسعادة الآخرة .

عين اليقين وحق اليقين :

هاتان المرتبتان فيض فضل بلا كسب بعد الرياضات وتزكية النفس .

عين اليقين :

هى أن تصير النفس بحيث تشاهد فى المقارن المعانى الروحانية التى تدركها العقول بالبراهين الحقيقية رؤية هى نفس اليقين وخالصه .

حق اليقين :

و هى أن تصير النفس بحيث تتصل بالمفارق اتصالا روحانيا ، وتلاقى ذاتها ذاته تلاقيا روحانيا، حتى تصير النفس نفسا ملكية تسبح فى فسيح الملكوت الأعلى، فالمراد من الوصول إلى كمال المعرفة الوصول إلى إحدى هاتين المرتبتين ، ومرتبة حق اليقين مرتبة الأنبياء ، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (١) والمراد بالمفارق ما عدا عالم الملك ، وهو عالم الملكوت والعزة والجبروت .

حق اليقين

حق اليقين به الحجاب شهود ... و الموت بعد القرب منه وجود
بعد اليقين الحق بدئى آخرى ... بعد اليقين يصح لى التفريد
حق به ما المثنوية تبدو لى ... فى الاتحاد الحق صح مزيد
مولاى جملنى بحق يقين فى ... حفظ المراتب كى يطيب ورود
جمل وجودى الحق بالمعنى التى ... فيها يلوح العبد وهو شهيد

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٥ .

حتى يلوح الوجه فى وجهى التى ... فيها به حق اليقين عهود
عاهدتنى فى البدء قبل تطورى ... عاهدتنى فى الختم أنت معيد
و العهد فى ختمى بصورتى التى ... أشرقت لى فيها وأنت مجيد
و العهد فى بدئى بمعناى التى ... قد صاغها الخلاق والمعبود
تدلى إلى النسب العلى لدى اجتلا ... معنى الصفات وهيكلى تجديد
و الهيكل المشكاة سدرة منتهى ... علم الخلائق والوجود جديد
فى هيكلى المصباح صورتك التى ... جملتها والهيكل المحدود
وسع الوجود بأسره حال اجتلا ... أخفى المعالم فيه وهو مريد
فيه انطوى كل الوجود إشارة ... نور الغيوب وقد أضاء رشيد
مولاى فاجعل كعبتى الذات التى ... جلت عن التشبيه أنت حميد
مولاى طف بى حولها حتى أرى ... يمناك ألثمها بدا التأييد
مولاى وافتح لى كنوز عوارف ... فى كنز إحسان فأنت ودود
أكرم بنى أحبتى جملهمو ... بجمال وجهك والعطاء مزيد

بعد اليقين شهودى

بعد اليقين شهودى ... فيه فقهت وجودى
وجدت لله لاحت ... دلائل التوحيد
قد ستر العلم عين ... عين اليقين الجديد
بل ستر العين حق ... فى حالة التفريد
جهلت تبت أنبت ... من بعد فك القيود
و يحى وجهلى حجاب ... فيه علانى صدودى
بعد العيان تجلى ... للمظهر المحدود
قد دكه لاح وجه ... يراه كل شهيد
يا نور وجه تعالى ... سترت كل حدود
ألحت لى فى غيب ... فى محو ظل البعيد

عاينـــــــــت فى جمــــــــالا فنلـــــت خـــــير المزيـــــــد
نـــــوران كانـــــا أمـــــامى نـــــور الـــــيمين حـــــدودى
فى نســـــبة الـــــروح بـــــدءا بنـــــور قلـــــبى شـــــهودى
فـــــــــــــرت لله ربى أتمـــــم ضـــــياء معيـــــدى
قامـــــت قيامـــــة نفســـــى حـــــتى شـــــهدت ورودى
قتلـــــت بالحـــــب حـــــتى قـــــد زج بى فى الخلـــــود
يـــــا كـــــون ســـــترت عـــــنى بنـــــور رب مريـــــد
يـــــا هيكلـــــى كنـــــت طينـــــا قـــــد صـــــرت نـــــور الـــــودود
بـــــدلت يـــــا رب أرضـــــى علـــــى الوفـــــا بـــــالعهود
بـــــدلت ثم سمـــــائى فـــــلاح لى معبـــــودى
الأرض كانـــــت رغامـــــا صـــــارت ضـــــياء الحميـــــد
و الأرض هيكـــــل جســـــمى قـــــد دكـــــه فى شـــــهودى
أمـــــا الســـــما فهـــــى نفســـــى قـــــد بـــــدلت بالمجيـــــد
فى حيـــــث وليـــــت يجلـــــى وجـــــه لـــــدى تأييـــــدى
أحـــــاط بى الوجـــــه حـــــتى رأيـــــت مجلـــــى الرشـــــيد
مـــــولاى زدنـــــا يقينـــــا فى حظـــــوة التفريـــــد
أفـــــرد لـــــذاتك عبـــــدا فى جذبـــــة التأكيـــــد
حـــــتى نـــــرى البحـــــر نـــــورا يضـــــىء لى فى ورودى
حـــــتى نـــــرى الآى تجلـــــى فى الـــــبر للتأييـــــد
تفـــــنى رســـــومى ويبقـــــى وجـــــه العلـــــى الـــــودود

العارف بالله :

العارف مقبل على الله سبحانه بكله بعين يقين ، عن رسوخ فى علم يقين ، وجاذب عناية إلهية ، فلا يصرفه عن الإقبال على جناب القدس الأعلى شيء من حظ أو هوى أو ملكوت ، لأن فى ذلك وحشة له ، ، وألم فراق يعتريه ، يجعله حزين القلب ، منقبض الصدر نـــافرا فـــاراً، ولذلك ترى العارف يفر من كل من لم يشهد فيه مشهدا إلهيا يأنس به ، ولذلك قال ســـيدنا

إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) وقال : ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (٢) وقد يفر العارف من نفسه إذا شغلته بمجاهدتها فى حظ ، فإنه يفر إلى قمم الجبال ، حتى لا ترى نفسه ما تتمناه إذا اطمأن إلى الله ، فإذا سمعت أن عارفا ترك العمل ، أو ترك الطعام ، وفر إلى القفار ، فلا تنكر فإنه يتلذذ من كل مؤ لم إذا استأنس فى عمل المؤ لم بالله سبحانه وتعالى .

وصف العارفين باللّه تعالى

العارفون لهم ظهرت حقيقتهم ... فجملتهم بعلم الحق خشيتهم
بعلمهم نفسهم علموا مقام علا ... فأوقفتهم على الآداب رهبتهم
عرفوا نفوسهمو ذلا ومسكنة ... و قد حباهم فدامت فيه رغبتهم
عكفوا عليه بإخلاص فواجههم ... بالوجه فانبلجت من ذاك نشوقم
سكروا فطابوا به أنسوا فأنزلهم ... منازل القرب فاتضحت محجتهم
فروا إليه به والوجه مقصدهم ... و العلو والسفل لا تحويه فكرقم
الله معبودهم وهو المراد لهم ... و قد رأت نوره علنا بصيرتهم
و جنة الخلد لو ظهرت بطلعتها ... لفارقت حسنها بالزهد همتهم
لا كفء لله يحجبهم فيبعدهم ... أحد تتره تعلمه سريرتهم
هو المولى تولاهم فحصنهم ... عن العوالم قد رفعت مكانتهم
العرش والفرش والكرسى خلفهمو ... و جنة الخلد والفردوس حيطتهم
لا يخطر الملك والملكوت فى نفس ... على قلوبهم والخوف شيمتهم
حصن الجلال وسر الكبرياء بدا ... فحصنوا فيه واتضحت هدايتهم
قد قربوا لجناب القدس مترلة ... رفعت بها بين أهل القرب نسبتهم
فى غيب غيب عن الأكوان قد رفعوا ... عن الشؤون وقد وافتك حالتهم
الذل عزهمو والجهل علمهمو ... و خشية الله بهجتهم ولذقم

(١) سورة الشعراء آية ٧٧ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٣٦ .

رضوا عن الله فى الدنيا فجملهم منه بحق يقين فيه نعمتهم
أنسوا بما استوحش الجهال منه وقد صحت بدايتهم طابت نهايتهم
لم تستفزهمو الدنيا وبهجتها و الوجه مشهدهم والكون آيتهم
تدرعوا باليقين الحق واتشحوا بالصدق حتى به دامت معيتهم
طلبوا له من (ألست) فاهتدوا بهدى قرآنه وبه قويت عزيمتهم
ما حيطة الملك والملكوت عندهمو إلا منازل سفر آن أوبتهم
و مرجع الكل لله العلى على حق اليقين وقد وضحت طريقتهم
لم يلتف أحد منهم لعاجلة و الكل لله قد خلصت سريرتهم
شربوا من الراح راح الذكر خمرتهم و هدى طه على التحقيق سيرتهم
يا رب صل على طه وعترته و آله الغر من رفعت مكانتهم

حقيقة الموتة الإرادية :

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ (١) إشارة إلى سر الحكمة فى السلوك والوصول ، قال تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ (٢) إذا جذبت الروح قواها الباطنة من قلب ، ونفس وخيال ، ووهم وحافظة و مدركة ، إلى ما تقتضيه مكانتها الروحية بكامل التمثيل والتشبيه ، تعطل الحس ، و أطفئت نار مقتضى الجسم، وهو مقام الجمع للسالك والفناء للواصل ، والسكر للمتمكن ، ويكون الجسم فى هذا الحال فى كهف التحفظ من سعير نار الإبليسية ، و دخان البهيمية ، ومقتضيات البشرية ، خائفا وجلا من أن تعود له الحياة التى تحجبه عما هو مول وجهه صوبه ، فإن كانت الجذبة بعامل العقل كان الكهف حسا، و العمل جسما ، وإن كانت بعامل الروح والحب كان الكهف رعاية ناتجة عن عناية مؤيدة لولاية ، وهم أفراد أهل الإيمان الكامل ، ممن تجاوزوا النظر فى الكون وفى النفس ، وقد علمت كهفهم ، وبعثه هذا قيام للجهاد الأكبر لجيش الباطل فيه لا لجيش الباطل الخارج عنه ، لأنه تجاوز هذا المقام بكشف الستار .

---

(١) سورة الكهف آية ١٩ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

الحياة الكونية بعد الموتة الإرادية :

قال تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ (١) جواذب العناية من سابقة الحسنى لا تجعل الإنسان مجاهدا جهادا يرفع درجته مع المجاهدين فى سبيل الله ، ولما كانت العناية إذا سبقت لفئة أو لفرد منحته المزيد من أنواع الرياضات و المجاهدات ، حتى يفوز بأرقى مراتب المجاهدين ، جذبت أهل الكهف عناية الله التى سبقت ، ثم أحياهم سبحانه الحياة الكونية بكل معانيها بعد أن أماهم الموتة الإرادية بالفناء عن وجودهم الإنسانى إلى الوجود البرزخى ، وفى قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ (٢) أحييناهم الحياة الكونية ، بلوازمها ، ليفيقوا فوقة الوجود فى مقام الشهود ، ليحصل لهم الشهود فى مقام الوجود ، فى مشاهد المثنوية بعد الاستغراق فى الواحدية التى جذبتهم من حظيرة الملوكية - لأنهم كانوا وزراء - إلى ثرى العبودية ، و ستر عنهم سبحانه سرين عظيمين : سر العناية الأزلية ، وسر المشاهد البرزخية ، بدليل قوله تعالى : ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ (٣) حتى يكون الجهاد فى ستر الخصوصية وحجب المراد ، ثم فتح فاتحة الجهاد برد حياة النفس الغذائية ، فدعتهم الضرورة إلى أن يغذوها بغذائها ، فأمروا من يذهب لشراء الخبز بما لديهم من نقود الفضة المشار إليها ﴿بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ ﴾ (٤) لحكمة هى خاتمه الجهاد الذى نفس منه خير من خمسين ألف سنة من غيره ، لأنهم كانوا عند الله فى أيام الله .

قدر جل جلاله أن يعثر عليهم أهل العصر الحاضر ، ليعروهم ما يعروا غيرهم عند الصدمة مع الهلع والجزع ، وليعلموا أن قدرة الله صالحة أن تقيم الساعة ، بما ظهر لهم من إقامتهم بضع مائة سنة ، حتى إذا ماتوا بعد ذلك الموتة العزرائيلية ، ماتوا مؤمنين كاملين فى الدنيا قبل الآخرة ، لأن كشف أسرار القدرة فى الآخرة لا ينفع من مات غير مؤمن بها فى الدنيا ، فظهرت الحكمة ، وهى أن وعد الله حق ، وأن الساعة التى أخبرنا الله بها آتية حقا ، فيموتون مستبشرين بالفوز بوعد الله لأهل طاعته ، وهذا سلوك من جذبتهم العناية أزلا ،

---

(١) سورة الكهف آية ٢٥ .
(٢) ، (٣) ، (٤) سورة الكهف آية ١٩ .

فبادهتهم العواطف الإلهية ، فأحيت لطائف قلوبهم : فجذبوا منهم ومن الكائنات إلى الله تعالى محتسين طهور ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [1] .

و كذلك يكون السالك إذا منحه الله الجذبة إلى كهف حصون الشريعة المطهرة ، و فى قوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ إشارة إلى إن السالك الفانى عن وجوده الباطل ، يفنيه الله تعالى عن الوقوف عند الأسباب ، وعن النظر إلى أهلها ، غير شاعر بجهاده، لاستغراقه فى الخوف من مقام ربه ، قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [2] ، عن حقيقة الدنيا واحتقارها فى نظره ، واعتقاده أنها ليست دار البقاء ، فإذا بعثهم الله تحفظوا من شر هذا العدو.

و شر عدو يجاهدونه إبليس ، والغرور بنسيان الحقيقة الآدمية الناتج عن نسيان الله تعالى وأيامه ، فإذا منحوا عناية الله فى هذا الجهاد ، برزوا عبيدا لله فى كونهم الأول، فجذبهم الله حتى أقامهم عنده راضين عنه ، وهو سبحانه راض عنهم ، قال سبحانه: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [3] وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ [4].

و خروجهم من الكهف ، ورجوعهم إلى الحياة الإنسانية الفاضلة الكاملة التى هى حياة الجهاد الأكبر ، جهاد النفس ، قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ [5] أى : إن يظهروا على أحوالكم العلية ، و أسراركم النورانية ، يرجموكم بأباطيل حججهم ، وظلال حظهم وهواهم .

و لما كانت الحياة البشرية فى أى طور تقتضى النزوع إلى ما يلائمها ، لأن القوى استوت ، وهذا المبعوث يخشى أن تقوى حجة الباطل فيترع إليها الحس والجسم، و يسكن إليها العقل فيفوز جيش الباطل على جيش الحق الروحانى ، فإنهم دائموا الجهاد ، يحنون إلى بدايتهم ،

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٠ .
(٢) سورة الرحمن آية ٤٦ .
(٣) سورة المائدة آية ١١٩ .
(٤) سورة مريم آية ٥٥
(٥) سورة الكهف آية ١٩ .

ويسارعون إلى حصون كهفهم ، مع أنهم لا تدعوهم إلى ملابسة الكون والفساد إلا الضرورة التى أوجبتها الشريعة ، من مناولة لما لابد لهم منه ، وهم مع هذا الجهاد يحافظون علـــى آداب الشريعة ، فلا يتناولون من القوت إلا أزكاه وأطيبه ، قال سبحانه عنهم : ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ (١) .

و سالك أو واصل لا تسبق إليه يد العناية لتنشله من وحلة التوحيد فى الســالك ، و من بادية الإلحاد فى الواصل ، ومن واحة التيه فى المتمكن ، ربما نسى أو غفل ، لأن البشرية لا تفارق أكمل كامل . والبشرية باب هذا السور للعدو اللدود .

حفظنا الله وإياكم - يا أخى - فى سلوكنا وسيرنا إلى الله تعالى من ظهور جـيش الباطل على جيش الحق ، وأمدنا الله بروح منه ، يمنحنا بها اليقين الحق ، إنه ولى المؤمنين .

الإنسان من البدء إلى الأبد

من البدء هيمـانى إلى الغيـب فى الغيـب	إلى أبـد الآبـاد فى جذبـة الحـب
و لكـن أطـوارى تشـير لغـامض	من العلم مكنون عـن الـروح والقلـب
ففـى البـدء هيمـانى إليـة هيكلـى	لأنى رق للصـفات بـلا شـوب
و يـوم " ألسـت " لى هيـام لأن أرى	مثـالا عليـا للملائـك فى القـرب
و فى جنـة الفـردوس روحـى هيامهـا	ظهورى ليظهـر بى عطـاء بـلا كسـب
وردى لسـفل السـفل بعـد تجحـبى	ليكشـف لى عنـه برسـم مـن التـرب
و مـوتى فى الكـون الـدنىء إرادة	ليجلى لروحى ما عن الشـرق والغـرب
أمـوت لأحيـا فى هيـام وصـبوة	لأمشى بين النـاس سـلما بـلا حـرب
فأشـهد فى وجهـى الجميـل تـنزلا	تشـاهده روحـى بعاطفـة الجـذب
مـن البـدء هيمـانى إلى الأبـد الـذى	بـه وجهـه الأعلـى يـواجهنى صـوبى
و كيـف سـيرى والكمـال مـنزه	عن الحـد والتصـوير فى عـالم الغيـب

---

(١) سورة الكهف آية ٢٠ .

و قـــد ســـحت فى نفســـى وفى ملكوتـــه فـــأعجزنى مـــا فىَّ فى حالـــة الشـــرب

الرضوان الأكبر فى الحياة الدنيا :

المؤمن بعد تحققه بكمال التصديق بالغيب ، وتوفيقه للعمل على طبق العلم ، وقيامـــا بما أمر الله سبحانه حق القيام ، محافظا على الفرائض كلها : عبادة ومعاملة وأخلاقا، مـــتجملا بالقربات النفلية من تلك الأعمال ، يكون على مزيد من الله تعالى ، فتكشف لنفســـه الـــتى تزكت بالرياضة والمجاهدة والجهاد أسرار الآيات من الكائنات ، فيشهد غيوبا عن الحس والعقل ، ساطعة أنوارها ، قاطعة حججها ، قائمة بالحق أدلتها ، فيزداد إيمانا حتى يبلغ اليقين ، ولديها تنجذب نفسه إلى الجانب القدسى ، معرضا عن جانبه الكونى ، فيجمل بشراب الإحســـان ، ويعان على الإحسان فيكون محسنا .

و يدوم جذبه وأخذه من حس العقل ، ومنه إلى النفس ، ومنها إلى الروح الملكية ، فيرى أنوار الملكوت فى السموات والأرض ، ثم تقوى أحواله بواردات الحق ، فيكشف الله سبحانه لـــه أنوار الملكوت فى نفسه ، فيطيب وقته ، ويصح حاله ، وينتقل إلى مقامات الإحسان ، فـــيرى بعين اليقين أسرار علوم اليقين ، ويتحقق بمعرفة نفسه ، و حقيقته مبتداه ومنتهاه ، ويمنح المعونة على عمل القربات فى جميع الآنات ، ويكون عاملا من عمال الله تعالى فى رياض المعية ، حتى يشهد التوحيد بعين اليقين ، فلا يرى و لا يسمع ولا يحس ولا يجد إلا بالله تعالى عين يقـــين بيقين ، ولديها يكون فى حصون ﴿ أُوْلَـــئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَـــدُونَ ﴾ (١) ويحـــل عليـــه الرضوان الأكبر بمواجهة معانى الربوبية لمعانى العبودية ، مواجهة سالبة موجبة ، ماحية ، مثبتة الوجه العلى تجاهه ، والنور الجلى محيطا به ، والولى القريب معه ، وفقه لأن يجاهد بمعونـــة الله تعالى فى محبته حق الجهاد ، فمنحه الرضوان الأكبر ، ووصفه لا تفى به العبارة ، و لاتصـــوره العقول ، وهو من العلوم المضنون بها ، لا تعلم إلا بتعليم الله سبحانه، و لاتنال إلا بفضـــل الله تعالى ، والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢ .

فى دار الفناء ... البقاء

آه يـــا دار الفنـــا فيـــك البقـــا　　و رضـــا الله وفـــوز باللقـــا
فيـــك نـــور الله محكـــم آيـــه　　و صـــراط مســـتقيم للتقـــى
فيـــك منـــهاج الحبيـــب المصـــطفى　　ســـلم للوصـــل ســـهل المرتقـــى
أنـــت روض للشـــهود مجمـــل　　قـــد يـــراه بالصـــفا مـــن ينتقـــى
فيـــك أنـــوار التجلـــى أشـــرقت　　و الطهـــور بحانـــه لمـــن اســـتقى
فيـــك آيـــات وأســـرار بهـــا　　حظـــوة الزلفـــى نعـــيم لا شـــقا

رؤية الله تعالى فى الحياة الدنيا :

قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [1] بهذا أثبت الله سبحانه المشاهدة للمؤمنين يوم القيامة ، وهذا مقام يناله أهل الكشف ممن تقلهم الحب والكلفة و الشوق والوله ، والصبابة ، وذلك فى الدنيا أيضا ، حين لا تستطيع النفس الحبيسة فى الجسد أن تنطلق من سجنها وقيدها ، وهكذا لا يظفر بهذه النضرة فى الوجوه والنظرة إلى الرب إلا العشاق ، إن رؤية المؤمنين لربهم فى الدنيا بالقلوب ، وفى الآخرة بالانكشاف المتره عن المقابلة والجهة والمكان . والرؤية نوع من الكشف والعلم للمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بأبعاده ، فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه بغير أن ينقص منه قدر من الإدراك ، من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا ، والصوفى يرى أن القلب والعين شىء واحد ، فهو يرى بعين قلبه الذى به البصيرة وبه الإيمان والحب.

رؤية الوجه الجميل

نعـــم رؤيـــة الوجـــه الجميـــل مـــرادى　　و مـــن نظـــرة منـــه أنـــال رشـــادى
و مـــن لى بـــأن أحظـــى برؤيـــة وجهـــه　　فأســـعد فى الـــدنيا ويـــوم معـــاد
حبيـــب إذا مـــا لاح للـــروح جملـــت　　بعلـــم الحقـــائق غيـــب غيـــب الهـــادى
حبيـــب بـــه روحـــى رأت وجـــه ربهـــا　　و أكرمهـــا بـــالعلم والإمـــداد

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢ – ٢٣ .

شـــهودك يـــا مـــولاى للـــروح أنســـها   حضـــورك يـــا مـــولاى والله إســـعادى

فـــودا أيـــا مـــولاى عطفـــا ورحمـــة   و نظـــــرة إحســـــــان وخـــــير وداد

الباب الثالث

البرزخ

الفصل الأول

حسن الخاتمة

المسلم مقبل على رب كريم :

الموت هو مفارقة كون الفساد ، والرجوع إلى دار البقاء ، وهو نهاية الرحلة وبداية الاتصال بعالم البرزخ ، فإذا نزلت علاماته تعين على المسلم أن يوصى وهو فى بداية المرض ، وأن يحسن ظنه بالله تعالى طامعا فى عفوه ومغفرته وإحسانه ، وأن يعتقد أنه مقبل على رب كريم لا تضره المعاصى ولا تنفعه الطاعات ، ويتعين على الذين يتولون خدمته أن يديموا له البشائر بواسع رحمة الله ، وعظيم عفوه ، وعميم إحسانه ، حتى يفرح بلقائه سبحانه ، فإذا غمرته سكرة الموت أسمعوه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " تلقينا ، ويقوم بهذا التلقين صالح محبوب له ، ويجب أن يمنع عن زيارته أعداؤه و من صحبوه فى المعاصى ، ويجب ألا ترفع الأصوات أمامه فى هذا الوقت باليأس أو بالقنوط أو ما يحزن كقولهم " تترك أولادك لمن " أو " من يقوم بشأن أهلك ؟ " من الألفاظ التى تكره الإنسان فى الموت ، والأولى قراءة سورة يس وتكرار قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (١) .

و من الرحمة بالميت حال الاستحضار بعد أقاربه المترعجين عليه الذين يقولون و يعملون عمل الجاهلية ، ليفارق الدنيا فرحا بلقاء الله تعالى ، غير آسف على مفارقة شيء فيها، فإذا انتهى النفس الأخير ختم على عمله وبقى الواجب على أهله وأقاربه .

---

(١) سورة يس آية ٢٦ ، ٢٧ .

حالة المؤمن عند لقاء ربه :

عند سكرات الموت تحضر ملائكة الرحمة وفى أيديهم حريرة بيضاء ، ويبشرون الروح برضوان الله تعالى وحبه جل جلاله فى لقائها ، ورجوعها إليه ، ويقولون لها : ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فتخرج الروح فرحة بلقاء ربها ، فتحمل فى الحريرة البيضاء ، وينتشر منها أطيب من ريح المسك يشمه الملائكة وأهل القرب من الله تعالى ، فتتناولها الملائكة حتى تصل إلى السماء ، فتفتح لها أبواب السماء ، ويعجب ملائكة السماء من ريحها ، حتى تصل إلى أرواح المؤمنين ، فيستقبلوها ببشاشة و مسرة ، ويتبادرون إليها ليسألوها عن أهليهم وأقاربهم ، ثم يقول بعضهم لبعض: دعوها فإنها كانت فى هم الدنيا ، فإذا قالت لهم : إن فلانا قد مات ، فهل جاءكم؟ فيقولون : لم يأتنا ، ولكن رد إلى سجين ، فتكون بحسب مقامها : إما فى جوف طير أخضر يرعى فى بساتين الفردوس ، أو فى عليين ، أو فى ظلال الرحمة حتى تقوم القيامة .

فعن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾:"إذا احتضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون : اخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ، و رب غير غضبان ، فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا أبواب السماء ، فيقولون : ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض ، فيأتون به أرواح المؤمنين ، فإنهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ فيقولون دعوه فإنه كان فى غم الدنيا ، فإذا قال : فلان قد مات ما أتاكم ؟ قال : ذهب به إلى أمه الهاوية ..."(١).

أحوال القوم عند حلول الموت

للقوم عند حلول الموت أحوال — تنوعت وهى أمثال وأشكال
فمنهمو من يرى الأسماء تطلبه — و منهمو من يرى الأملاك والحال
فى ذاك مختلف عند الوجود لما — تقضى الحقائق والتفصيل إجمال

---

(١) أخرجه النسائى .

و منـــهمو مـــن يـــرى الأرســـال مقبلـــة إليــــه تتحفــــه والرســــل أعمــــال
و منـــهمو مـــن يـــرى التزيــه يطلبــه و هـــو الـــذى عنـــده التشـــبيه إضـــلال
وكلـــهم ســـعدوا والعـــين واحـــدة و عنـــدهم فى جنـــان الخلـــد أشـــغال
هـــذا هـــو الحـــق لا تبغـــى بـــه بـــدلا و هو الصحيح الذى مـــا فيـــه إشـــكال

دعــــاء

بيمنـــاك فـــاقبض روح عبـــدك مســـلما و كن لى يوم العـــرض مـــولاى مكرمـــا
أنـــب بى إلهـــى مخلصـــا لـــك نائيـــا عـــن الغـــير بغـــيتى ودنيـــاى صـــائما
و مـــن فتنـــة الـــدنيا ومـــن كـــل محنـــة أعـــذنى إلهـــى كـــى أكـــون مســـلما
إليـــك فأقبـــل بى منيبـــا ومخلصـــا و عنـــدك أنـــزلنى أكـــون منعمـــا
و بـــدل إلهـــى كـــل وزر خطيئـــة لأقبـــل مشـــتاقا إليـــك مهيَّمـــا
وســـيلتى ربى البشـــائر عنـــدما يحـــين ممـــاتى كـــى أرى الله منعمـــا
أعذنى من الشـــيطان نفســـى جـــوارحى أيـــارب قـــربنى إليـــك مكرمـــا
و مـــن فـــتن تعمـــى تصـــم فـــنجنى لأخـــرج مـــن دنيـــاى بـــرا ومســـلما
وهب لى لسان الصدق مـــن بعـــد ميـــتتى يـــوالى بـــه إحســـان ربى دائمـــا
و أشـــهدنا قبـــل الممـــات إلهنـــا جمالـــك والإحســـان ربى ملازمـــا

من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه:

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، والموت قبل لقاء الله " (١) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه واحمد .

قال رسول ﴿ ﷺ وآله﴾ : "من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه " [١] . عن عائشة قالت : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ " من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه.

و من كره لقاء الله ، كره الله لقاءه " فقلت : يا نبى الله ! أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت ، فقال : " ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه " .

عن شريح بن هانى عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه " قال : فأتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ! سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ حديثا ، إن كان كذلك فقد هلكنا ، فقالت : إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وما ذاك ؟

قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت : قد قاله رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ و ليس بالذى تذهب إليه ، ولكن ، إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد ، وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك ، من أحب لقاء الله ، أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه.

حسن الظن بالله ثمن الجنة :

روى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام :

" لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله " [١] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه واحمد .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ " إن الله يقول : أنا عند ظن عبدى بى و أنا معه إذا دعانى " [٢] .

قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ " إن الله يقول : أنا عند ظن عبدى بى ، فليظن بى ما شاء " [٣].

و روى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ : " لا يموتن أحدكم ، حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة " [٤] .

و روى عن ابن عمر أنه قال : عمود الدين وغاية مجده ، وذروة سنامه : حسن الظن بالله ، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله : دخل الجنة " مدلا " أى : منبسطا لا خوف عليه .

و قال عبد الله بن مسعود : " والله الذى لاإله غيره ، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه ، وذلك أن الخير بيده " .

و ذكر ابن المبارك قال : أخبر سفيان : أن ابن عباس قال : " إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ، ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان حيا فخوفوه " .

حسن الخاتمة :

معلوم أن الإنسان بما ركب فيه من عناصر تقتضى تغيراته ، حتى إذا تم اعتبار المثنوية تحقق بأنه لا يصفو نفسا من الأنفاس إلا وهو تحت تأثير تلك التغيرات : فتراه موفقا للخير

---

(١) أخرجه البخارى ورواه مسلم فى كتاب الجنة وأحمد فى الجزء الثالث .
(٢) رواه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء وأحمد فى الجزء الثانى والجزء الرابع .
(٣) رواه البخارى فى كتاب التوحيد ومسلم فى كتاب التوبة وكتاب الذكر وأحمد فى الجزء الثانى والثالث والرابع .
(٤) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٥٨٦١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٢٧٨/١٠ .

مقبلا على الله بكليته ، وأخرى ملتفتا عن الحق سلس القياد للشهوة ، حريصا على الدنيا والسعى لها ، ومرة تراه زاهدا ورعا خاشع القلب خانع الجوارح لله تعالى ، وأخرى تراه فى حيرة ودهشة مما يرد عليه من غرائب الآيات وأسرارها ، وآنا يكون كافرا جاحدا منكرا .

و كل تلك التأثيرات والانفعالات النفسية خصوصا إذا كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وتحقق الورود على البرزخ ، ويخاف الرجل من سوء ذنوبه ومن الحساب يوم لقاء ربه ، ويحزن على أولاده وأهله بعد مفارقته إياهم ، فلمزيد الفضل من الله تعالى طمأن قلوب من آمنوا به وبآياته ، وعملوا الأعمال الصالحة التى بينتها لك فى أول الآية فى قوله تعالى : ﴿ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) أى : أنه تعالى بدل سيئاتهم حسنات ، فأمنوا على أنفسهم من الحساب يوم لقائه ، وأظهر لهم سبحانه إما بإلهام أو وارد أو بشرى من ولى عارف ، بأن الله يكون وليا ووكيلا على أولاده .

و تلك الآية بعد خبر الله تعالى بقوله : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ تدل على أن هذه البشرى من الله تعالى لمن أقامهم الله مقام المخاطبين بكلامه ، لأن الله لو منحهم هذا الأجر الذى هو عنده لما خطر على قلوبهم دواعى خوف أو مقتضيات حزن .

و قد يكون خوف كمل أولياء الله تعالى أشد من خوف العصاة ، لأن أولياء الله تعالى يخافون أن يوقفهم موقف عدل ، أو يحجبهم عن شهود جماله العلى ، أو يبعدهم عن الأنس على بساط مؤانسته قدام وجهه . أما العصاة فخوفهم من النار التى تحرق الأجسام .

أما النار التي توقد فى القلوب فمنها خوف العارفين والمقربين ، وهى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ (٢) .

﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أى : لا يحصل لهم حزن ، والحزن قبض القلب من توقع ضرر أو غلبة عدو أو دين ، أو من خوف ضياع خير أو مفارقته ، والإنسان بعد أن ألف الحياة

---

(١) سورة البقرة آية ٦٢ .
(٢) سورة الهمزة آية ٦ ـ ٧ .

الدنيا ، واعتقد أنه سبب لنفع أهل أو أولاد أو أقارب ، إذا ظن أو تحقق مفارقته لهـــم يحـــزن فيكون مع كرب الموت كرب تلك الحالة ، فيخفف الله عنه شدة الحزن بالبشائر عند المـــوت بأن الله تعالى يكون وليه ووصية على من يفارقهم ، وفى حالة الصحة يرد على قلبه الثقة بـــالله تعالى وانتظار النعيم المقيم يوم القيامة فيزول حزنه، و قد وعد الله تعالى أهل الإيمان به بخفـــى ألطافه فى كل دور من أدوار حياهم مهما اعتورهم الأهوال والشدائد .

و المؤمن عند سكرات الموت تتترل عليه الملائكة وهو فى شديد الخوف وعظيم الحزن ، فيقولون له : ما الذى أخافك يا عبد الله ؟ فيقول : أخاف ذنوبى ، وعقوبة ربى ، فيقولون له : أبشر بخير ، فإن ربك قد غفر لك ، وأعد لك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، من النعيم المقيم .

و يقولون له : علام تحزن ؟ فيقول : أحزن على أهلى وأولادى وأقاربى ، فيقولون له: يا عبد الله لا تحزن فإن الله وليك عليهم ، ووكيلك ، فيفرح المؤمن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَـــالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِـــي كُنـــتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُـــمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (١) .

(١) سورة فصلت آية ٣٠ ــ ٣٢ .

الفصل الثانى

الحياة البرخية

متاع البرزخ وخيراته :

قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (١) المستقر محل الإقرار ، وهو مدة الحياة الكونية والمدة المحدودة للبرزخ ، فإنه المستقر الأخير ، وفى قوله : ﴿ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ دليل أن الرجل إذا مات ودفن متع بما تركه وراءه من علم ينتفع به ، أو كتب علمية ألفها ، أو أولاد صالحين يدعون له بخير ، أو صدقة جارية ، فإن كل ذلك يكتب فى صحيفته ، ويعجل الله فى قبره من خيراتها ، وهو المتعة التى أخبرنا الله بها فى قوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ و متاع البيت ما ينتفع به ثم يبلى ، وأما الجنة فنعيم لا يبلى .

دفن المؤمن بجوار أولياء الله الصالحين تبركا بهم :

خرج أبو سعيد المالينى فى كتاب المؤتلف والمختلف ، وأبو بكر الخرائطى فى كتاب القبور ، من حديث سفيان الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن على عليه السلام قال : أمرنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين ، فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء .

و عن ابن عباس عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ قال " إذا مات لأحدكم الميت فحسنوا كفنه، و عجلوا إنجاز وصيته ، وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء " قيل : يا رسول الله:

---

(١) سورة البقرة آية ٣٦ .

و هل ينفع الجار الصالح فى الآخرة ؟ قال : " هل ينفع فى الدنيا " ؟ قالوا : نعـــم . قال " كذلك ينفع فى الآخرة " [١] ، ذكره الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار ، وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك عن أبيه عن أبى هريرة : قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بالجار السوء " [٢] .

من أنواع نعيم القبر :

جاء فى حديث البخارى ومسلم : " أنه يفسح له سبعون ذراعا " [٣] .

و فى حديث أبى هريرة " ... ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال : نم . فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك " [٤] .

و فى حديث أنس " ... ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون " [٥] .

و فى حديث البراء " ... ويفسح له فى قبره مد بصره " [٦] .

و فى حديث البراء " ... فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ... " [٧] .

---

(١) أورده السيوطى فى اللآلىء المصنوعة ٢/٢٣٤ .
(٢) أورده أبو نعيم فى حلية الأولياء ٦/٣٥٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٣٧١ .
(٣) رواه البخارى فى كتاب الجنائز الباب ٨٧ ومسلم فى كتاب الجنة الحديث ٧٠ .
(٤) رواه الترمذى فى كتاب الجنائز الباب ٧٠ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤ ، ١٢٦ والجزء الرابع صفحة ٢٨٧ .
(٥) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٢٦ ومسلم فى كتاب الجنة الحديث ٧٠ .
(٦) رواه أبو داود فى كتاب السنة الباب ٢٤ والترمذى فى كتاب القيامة الباب ٢٦ .
(٧) رواه أبو داود فى كتاب السنة الباب ٢٤ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٢٨٧ .

و فى حديث أبر هريرة وكذا حديث عائشة " ... ثم يفرج له فرجة قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها ... : [1] .

و فى حديث أبى سعيد " فيفتح له باب الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقال له : اسكن ، و يفسح له فى قبره " [2] .

قال عطاء الخراسانى : أرحم ما يكون الرب بعبده ، إذا دخل فى قبره وتفرق الناس عنه وأهله ، وروى عن ابن عباس مرفوعا . وقال أبو غالب : كنت أختلف إلى أبى أمامة الباهلى بالشام ، فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبى أمامة وعنده عم له و هو يقول : يا عدو الله ، ألم آمرك ؟ ألم أنهك ؟ فقال الفتى : يا عماه لو أن الله دفعنى إلى والدتى ، كيف كانت صانعة بى ؟ قال : تدخلك الجنة . قال : الله أرحم بى من والدتى ، وقبض الفتى ، فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفزع ، قلت له: مالك ؟ فقال : فسح له فى قبره ، وملىء نورا .

قال كعب الأحبار : إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم عنه ، فيأتون من قبل رأسه ، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه ، فقد أطال ظمأه لله عز وجل فى دار الدنيا فيأتون من قبل جسمه ، فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه ، فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل، ولا سبيل لكم عليه . فيأتون من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى ، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين ، حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء لوجهه ، فلا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له : نم هنيئا، طبت حيا ، وطبت ميتا .

و فى حديث البراء " ... ويمثل له رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الرائحة فيقول : أبشر بالذى يسرك ، أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : وأنت فبشرك الله بخير ، من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ... [3] " .

---

(١) رواه ابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٢ واحمد فى الجزء السادس صفحة ١٤٠ .
(٢) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤ ، ٨١ والترمذى فى كتاب القيامة الباب ٢٦ .
(٣) رواه أحمد فى الجزء الرابع صفحة ٢٨٧ ، ٢٩٦ .

و فى حديث سؤال الملكين للمؤمن فى القبر من حديث أبى هريرة وفيه " ... فيقال له : اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أذنت للغروب ، فيقول لهم : دعونى أصلى ، فيقولان : إنك ستفعل " (١) .

الأنبياء والأولياء أحياء فى قبورهم :

قال تعالى : ﴿ بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٢) ولذلك لا يغسلون ولا يصلى عليهم ، ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة و فيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على ، قالوا :

يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ - يقولون بليت - فقال : "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " (٣) .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون " (٤) .

عن أبى مسعود الأنصارى قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " أكثروا الصلاة على فى يوم الجمعة ، فإنه ليس يصلى على أحد يوم الجمعة إلا عرضت على صلاته " (٥) .

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحة ٧٨١ موارد والحاكم ٣٧٩/١ ٣٨٠ وقال صحيح على شرط مسلم

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

(٣) رواه النسائى فى كتاب الجمعة الباب الخامس وابن ماجه فى كتاب الإقامة الباب ٧٩ وكتاب الجنائز الباب ٦٥ والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ٢٠٦ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٨ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٠١ وكتاب الوتر الباب ٢٦ .

(٤) أخرجه البزار ٢٣٣٩ والبيهقى فى " حياة الأنبياء " ص ٣ ، وأبو يعلى ٣٤٢٥ ، وأبو نعيم فى " أخبار أصبهان " ، ٨٣/٢ من طريقين عن المستلم بن سعيد عن حجاج بن أبى زياد الأسود عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك وهذا إسناد صحيح وذكره الهيثمى فى " المجمع " ٢١١/٨ وقال رواه أبو يعلى والبزار ، ورجال أبى يعلى ثقات وفى صحيح الجامع ٢٧٨٧ .

(٥) أخرجه الحاكم والبيهقى .

عن أوس بن أوس قال :قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾:" إن من أفضل أيـــامكم يـــوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء " (١) .

عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾:"مررت ليلة أســـرى بى علـــى موسى عليه السلام يصلى فى قبره " (٢) .

و فى رواية له : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : "مررت بموسى ليله أسرى بى وهـــو قائم يصلى فى قبره عند الكثيب الأحمر " (٣) .

و قال جابر : رأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوام حتى أصـــابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دما ، وأن جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس (٤) .

---

(١) أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم .
(٢) أخرجه ابن حبان فى " الإحسان " ٤٩ ، وإسناده صحيح على شرط البخارى ، وأخرجه مسلم ٢٣٧٥ ، ١٦٥ ، فى الفضائل : باب من فضائل موسى عليه السلام ، والنسائى ٢١٦/٣ فى قيام الليل ، باب ذكر صلاة نبى الله موسى عليه السلام وذكر الاختلاف على سليمان التيمى فيه ، كلاهما من طريق على بن خشرم ، عن عيسى ابن يونس وأخرجه أحمد ٣ / ١٢٠ من طريق وكيع ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى وأخرجه مسلم والنسائى من طرق أخرى عن سليمان التيمى به وأخرجه البغوى ٣٧٦٠ من طريق عمر بن حبيب القاضى ، عن سليمان التيمى.
(٣) أخرجه بن حبان فى " الإحسان " (٥٠) وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه ابن أبى شيبه فى المصنف ٣٠٧/١٤/ ، ٣٠٨ ، وأحمد ١٤٨/٣ ، ٢٤٨ ، ومسلم (٢٣٧٥) ، (١٦٤) فى الفضائل، والنسائى ٣/ ٢١٥ فى قيام الليل كلهم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البنانى وسليمان التيمى ، عن أنس وزاد السيوطى نسبته فى " الدرر المنثور " ١٥٠/٤ إلى ابن مردويه والبيهقى .
(٤) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبو عمارة عم النبى (ﷺ وآله) وأخوه من الرضاعة ، استشهد بأحد ، ولقبه النبى (ﷺ وآله) أسد الله وسماه سيد الشهداء . راجع الإصابة (٢ ، ١٢١ ، ١٢٣) والأثر أخرجه البغوى بإسناد حسن ، وأشار الحافظ فى الفتح إلى شاهد له بإسناد صحيح عند ابن سعد ، راجع فتح البارى (٢٥٧/٣) .

عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة:" أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصارين ثم السلميين كان قد حفر السبيل قبرهما ، وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد ، وهما ممن استشهد فى يوم أحد ، فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجودا لم يتيغـــرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فـــدفن وهـــو كـــذلك ، فأميطت يده على جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين أحد وبين يـــوم حفـــر عنهما ست وأربعون سنة " (٢) .

(١)

روى الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود " وأن الغلام الذى قتله الملك دفن "، قال : فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعهما حين قتل . قال : حديث حسن غريب ، وقصة الأخدود مخرجة فى صحيح مسلم ، و كانوا بنجران فى الفترة بين عيسى ومحمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وقد ذكرت مستوفاه فى " البروج " فى تفسير القرطبى.

وروى عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾:"المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمـــه قتـــيلا ، وإن مات لم يدود فى قبره " (٣) .

---

(١) عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام الأنصارى من سادات الأنصار واستشهد بأحد راجع االأصابة (٤ / ٦١٥ ، ٦١٦) وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى والد جابر ﷺ الصحابى المشهور معدود فى أهل العقبة وبدر ، وكان من النقباء واستشهد بأحد راجع الإصابة (١٨٩/٤ ، ١٩٠) .

(٢) أخرجه مالك فى موطئه كتاب الجهاد باب الدفن فى قبر واحد من ضرورة (٤٧٠) وهذا الأثر يخالف فى ظاهره ما رواه البخارى (١٣٥١) الجنائز من أن جابرا استخرج أباه من قبر عمرو بن الجموح بعد ستة أشهر وقد جمع الحافظ فى الفتح (٣ / ٣٠٣) بينهما جمعا حسنا فقال : فإما أن يكون المراد بكونهما فى قبر واحد قرب المجاورة ، أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد .

(٣) أورده العلامة المنذرى فى الترغيب والترهيب ١٨١/١ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٢٧/١ ، ٣/٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٠٨٨٩ ، ٢٠٩١٨ والطبرانى فى المعجم الكبير ٤٢٢/١٢ .

الأولياء يقرأون القرآن فى قبورهم :

أخرج الترمذى وحسنه والحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال : ضرب بعض أصحاب النبى ﴿ﷺ وآله﴾ خباءة على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبى فأخبره فقال النبى ﴿ﷺ وآله﴾ : " هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر " قال أبو القاسم السعدى فى كتاب الإفصاح " هذا تصديق من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بأن الميت يقرأ فى قبره ، فإن عبد الله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ .

وأخرج ابن مندة عن طلحة عن عبيد الله قال : أردت ما لى بالغابة فأدركنى الليل فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر فما سمعت أحسن منها ، فجئت إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فذكرت ذلك له فقال : " ذلك عبد الله ، ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة ؟ فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم ، فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذى كانت فيه " .

و أخرج أبو نعيم فى الحلية عن إبراهيم أن المهبلى قال : حدثنى الذين كانوا يمرون بالمصر فى الأسحار قالوا : كنا إذا مررنا بجبانة قبر ثابت البنانى سمعنا قراءة القرآن.

و أخرج ابن مندة عن سلمة بن شبيب قال : سمعت أبا حماد الحفار وكان ثقة ورعا قال : دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار ، فما مررت بقبر إلا سمعت منه قراءة القرآن .

الأولياء يجيبون المؤذن من قبورهم :

وأخرج اللالكائى فى السنة عن يحى بن معين قال : قال لى حفار : أعجب ما رأينا من هذه المقابر أنى سمعت من قبر – والمؤذن يؤذن – وهو يجيبه من القبر .

أريج رائحة المسك والريحان والياسمين تفوح من قبور الصالحين :

عن أبي سعيد الخدرى قال : " كنت فيمن حفر لسعد بن معاذ قبره بالبقيع وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا من قبره ترابا حتى انتهينا إلى اللحد " (١) .

عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال : " أخذ إنسان قبضة تراب من تراب سعد فذهب بها فنظر إليها بعد ذلك فإذا هى مسك " (٢) .

و قال محمد بن أبي حاتم الوراق : سمعت غالب بن جبريل وهو الذى نزل عليه البخارى بخرتنك قال : " وذكر قصة وفاة البخارى وفيها : (... فلما أدرجناه فى أكفانه وصلينا عليه ووضعناه فى حفرته ، فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك و دامت أياما ، وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياما يأخذون من ترابه ، إلى أن جعلنا عليه خشبا مشبكا " (٣).

و عن المغيرة بن حبيب " أن عبد الله بن غالب الحرانى لما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك " (٤) .

و من طريق أبي جعفر السراج عن بعض شيوخه قال : " كشف قبر بقرب الإمام أحمد وإذا على صدر الميت ريحانة تهتز " (٥) .

عن مسكين بن بكير أن واردا العجلى لما مات فحمل إلى حفرته ، نزلوا ليدلوه فى حفرته ، فإذا اللحد مفروش بالريحان ، فأخذ بعضهم من ذلك الريحان ، فمكث الناس يفعلون

---

(١) ابن سعد فى الطبقات (٣ – ٢) .
(٢) سبق تخريجة
(٣) راجع هذه القصة فى هدى السارى ص ٥١٨ .
(٤) عبد الله بن غالب الحرانى البصرى صدوق قليل الحديث كما فى التقريب راجع ترجمته فى التهذيب (٣٥٤/٥) – التقريب (٤٤٠/١ : ٥٣٣) (الحلية لأبى نعيم ٢٥٧/٢) والقصة فى : كتاب الأولياء لابن أبى الدنيا حديث رقم (٨٠) وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٤٧/٦ ، ٢٤٨) .
(٥) رواه ابن الجوزى .

ذلك فأخذه الأمير وفرق الناس خشية الفتنة ، ففقده الأمير من مترله لا يدرى كيف ذهب " [1] .

عن محمد بن مخلد الدورى الحافظ [2] قال : ماتت أمى فترلت ألحدها ، فانفرجت لى فرجة عن قبر بقربها ، فإذا رجل عليه أكفان جدد وعلى صدره طاقة ياسمين طرية ، فأخذتها فشممتها ، فإذا هى أذكى من المسك ، وشمها جماعة كانوا معى ، ثم رددتها إلى موضعها وسددت الفرجة " .

توالى الخيرات المعنوية والحسية على الشهداء فى البرزخ :

قال تعالى ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾ [3] . لأن من قتل فى سبيل الله أقدم على القتل لا طمعا فى جنة ، ولا خوفا من نار ، ولا رغبة فيما دونهما ، ولكنه أقدم ليلقى الأحبة ، محمدا ﴿ ﷺ وآله﴾ وحزبه ، و هذا الذى نراه قتيلا بين الصفين لم يمت ، ولكنه رفع إلى حظيرة القرب يرزق ، لا يمض نفس من الأنفاس إلا وتتوالى عليه الخيرات المعنوية والحسية ، أما الخيرات المعنوية فإنه يكتب له فى صحيفته أعمال كل من هداهم الله تعالى على يده ، وأعمال من اهتدوا بهداهم إلى يوم القيامة ، وقد يكون فى قبره وعشرات الملايين تعمل بعمله فيكتب الله له أعمالهم فى صحيفته ، لا ينقص ذلك من أعمالهم شيئا ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾:

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الرقة والبكاء .
(٢) محمد بن مخلد بن حفص أبو عبد الله الدورى العطار ، كان أخد أهل الفهم موثوقا به فى العلم متسع الرواية مشهورا بالديانة موصوفا بالأمانة مذكورا بالعبادة قال الدارقطنى : ثقة مأمون ولد سنة ٢٣٣ هـ وتوفى ٣٣١هـ راجع تاريخ بغداد (٣/٣١٠ ، ٣١) حيث ذكر القصة هناك مع اختلاف يسير فى اللفظ .
(٣) سورة البقرة آية ١٥٤ .

" من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة " (١) فذلك هو جزاؤهم ، وهم بتلك المثابة أحياء يرزقون خير الأرزاق من حيث لا يعلمون .

و كم من رجال قتلوا فى هذا السبيل ، ولهم أكبر قسط من عملنا وعلمنا ، لأنهم قتلوا فى إعلاء كلمة الله وإحياء سنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ . وهذه هى الشهادة الكبرى ، لأنه جاهد نفسه فى ذات الله حتى أفلحت ، ثم خرج فارا إلى الله تعالى حتى قتل بين الصفين .

و قد ورد فى الحديث الصحيح أن أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسكن سدرة المنتهى (٢) ، وورد أيضا أنهم يكونون طيورا خضرا يسبحون فى الجنة يأوون إلى سدرة المنتهى ، فهم فى نعيم مقيم فى الدنيا ، ومشاهدة الوجه العلى الجميل يوم القيامة ، وورد أيضا أن الله يفتح لهم وهم فى قبورهم بابا يشهدون منه أمكنتهم فى الجنة ، فيسألون الله السرعة ، كما يفتح للمنافقين والكفار بابا إلى النار فيتمنون تأخير وصولهم إليها .

أما الذين يرجعون إلى أهليهم من المجاهدين فى الصف ، فإنهم يرجعون بالنصرة و الغنيمة والمغفرة .

أما الذين يموتون قبل الملحمة فلهم رزقهم فى البرزخ ، لا كمن جندل فى الصف ، و إنما عين الله من قتل فى هذا الموقف وخصهم بهذا الفضل العظيم لأنهم باعوا أنفسهم وأموالهم .

الحياة الروحانية للشهداء فى البرزخ :

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب العلم الحديث ١٥ وكتاب الزكاة الحديث ٩٦ والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ٦٤ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ وابن ماجه فى كتاب المقدمة الباب ١٤ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٤٤ .
(٢) رواه الترمذى فى كتاب فضائل الجهاد الباب ١٣ والدارمى فى كتاب الجهاد الباب ١٨ واحمد فى الجزء السادس صفحة ٣٨٦ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ ﴾ أى : لا تظن ﴿ الَّذِينَ قُتِلُواْ ﴾ يوم بدر وأحد ﴿ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ أى : فى إعلاء كلمته ونصرة دينه ﴿ أَمْوَاتاً ﴾ كالذين يموتون فى غير الجهاد ، ويستمر موهم إلى يوم القيامة حتى ينفخ فى الصور ﴿ بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ بل هم أحياء عند رهم

و لما كانت أنواع الحياة تتفاوت كما قررنا فيما سبق ، فإن حياة الجماد تخالف حياة النبات ، وحياة النبات تخالف حياة الحيوان ، وحياة الحيوان تخالف حياة الإنسان، و حياة الإنسان فى الكون تغاير حياة من استشهد فى سبيل الله ، فإنه بقتله فى سبيل الله فقد الحياة الحيوانية ، فأعطاه الله تعالى حياة روحانية عنده سبحانه ، يتنعم بلوازم تلك الحياة الروحانية عند ربه ، مما يرزقه سبحانه به ، من الأنواع التى بها سعادة وبهجة و ملاذ وأنس الأحياء عند رهم ، فيرزقهم الله تعالى من فضله ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

و الواجب علينا السمع والطاعة لله ورسوله ، تصديقا لخبره وإيمانا به سبحانه و تعالى ، فهم أحياء عند رهم حياة فوق أن نتصورها ، لا حياة من هم عند أنفسهم أو عند الكون ، وما تقول فى قوم فروا إلى الله رغبة فى الوصول إليه ، وألقوا بأنفسهم على ظبى السيوف وتحت سنابك الخيل ، حتى بذلوا آخر نفس من أنفاسهم شوقا إلى نيل رضاه ، فصدقوا فيما عاهدوا الله عليه ، ووفوا فى بيعهم فقبل سبحانه منهم، و أعطاهم خيرا مما تقربوا إليه ؟ وهم أحياء يرزقون كما قال تعالى .

وليس للعقل بعد خبر الله تعالى أن يبحث عن هذا الفضل العظيم ، بل الواجب عليه أن يسارع إلى ميدان الجهاد ، فيلقى بنفسه كما ألقوا بأنفسهم ، ولديها ينكشف الحجاب عما تفضل به العلى الوهاب ، فإن العقل يحكم أن أرقى الحيوانات لا تدرك ملاذ الحياة الإنسانية . وهى المشهودة المسموعة الملموسة لها – فيكف تدرك حياة من عند ربنا ؟ حياة من استشهد فى

سبيل الله فأحياه الله ورزقه وفرحه ؟ قال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (١) .

قوله تعالى : ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢) .

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ الفرح : هو السرور الذى تدعو إلى سوابغ النعم و الفوز بالأمل ، والمعنى أنهم مسرورون بما آتاهم الله من فضله بقتلهم فى سبيله سبحانه ، فإن الله أحياهم الحياة العالية ، ويتفضل عليهم بخير رزقه الجامع لملاذ الروح و النفس والعقل والحس ، بحسب حياتهم التى أكرمهم الله بها ، فكان ما آتاهم الله من تلك الحياة وهذا الرزق موجبا للفرح والمسرة ، وكأن الله تعالى يقول : يا عبادى الذين بذلوا أرواحهم وحياتهم فى سبيل إعلاء كلمتى ، ونصرة لدينى ، لأمنحنكم حياة روحانية عندى فى دار قدسى ، ولأرزقنكم مما به بقاء تلك الحياة أبديا ، ونيل مسراتها وملاذها وسعادتها .

﴿ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ هذه الآية خبر من الله لنا عن شهداء بدر وأحد ، والسبب خاص والحكم عام ، فهو خبر عن جميع الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم ، والمعنى أن الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يرزقون ، يطلبون الفرح والمسرة من الله تعالى ﴿ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم ﴾ من إخوانهم الذين تركوهم على ما كانوا عليه من التسليم الأكمل لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ومن المسارعة إلى الجهاد إعلاء لكلمة الله ، وتلك المسرة والفرح باستبشارهم بهم ، لتحققهم أن إخوانهم لا يزالون محافظين على ما كانوا عليه وهم فى الدار الدنيا ، وبتلك الحالة يفوزون بما فاز به الشهداء من الحياة الروحانية ، ورزق الله تعالى الذى منه الفوز بفضل الله تعالى و برضوانه الأكبر ، وكمال النعمة بدوام تلك الخيرات أبدية إلى ما لا نهاية ، ومعنى ﴿ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم ﴾ أى : لم يقتلوا فى سبيل الله فيفوزوا بما فاز به من قتلوا قبلهم و الفوز متحقق ولكن لا ينال إلا بالشهادة .

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٠ .

﴿ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أن وما دخلت عليه مؤولة بمصدر مجرور بالباء المحذوفة بدل من الذين فى قوله : ﴿ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم ﴾ بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ونفى عنهم سبحانه وتعالى الخوف من لقاء الله تعالى الذى يجعل قلوب أهل الإيمان فى فزع من الحساب ، لتحققهم بالتقصير عن القيام له سبحانه تعظيما وإجلالا له تعالى ، وهذا الخوف لا يفارق قلوب العارفين بالله .

خصوصا عند الموت – إلا إذا طمأن الله قلوبهم بالبشائر ، قال الله تعالى : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخرة ﴾ [1] ونفى عنهم الحزن على من يفارقونهم وما يفارقون من أهل وولد وآثار ، وهذا الحزن أيضا لا يفارق القلوب إلا بما يتفضل الله به على المؤمن عند موته بالبشائر ، منحنا الله هذا الفضل العظيم بإحسانه .

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ ﴾ [2] يطلبون المسرة والفرح بالنعمة من الله تعالى ، كما طلبوا منه المسرة بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، والمسرة والفرح بنعمة تتوالى عليهم من الله تعالى .

الموت قبل الموت حياة المجتبين

ظهورك للشهود الإعتبار ... لأنك فى كمال الإقتدار
جلالك جاذب للقرب جذبا ... به حفظ العبودة للقرار
جمالك مثبت فقرى وذلى ... و جهلى سيدى بل واضطرارى
ظهورك بالشؤون به شهودى ... جلالا أو جمالا فى مدارى
و فى حالى جمال أو جلال ... فإنى العبد فى حال افتقارى
عطاؤك فى الجلال جمال قرب ... عطاؤك فى الجمال ضيا لسار
و فى موتى حياتى بعد حبى ... حياتى عين موتى فى اختيارى

(١) سورة يونس آية ٦٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٧١ .

إذا مامت قبل الموت أحيا حياة المجتبين بها فخارى
شؤون أظهرت غيبا مصونا تلبيح صفاته بعد انتظارى
فأشهد قادرا وأرى حكيما تجلى ظاهرا فمحا عثارى
و جسمى راحلا ويرى مقيما عجيب غفلتى بعد ادكارى
و دار إقامتى فردوس ربى و أسكن للحضيض وللمثارى
وعهد " ألست " أنسى كيف هذا و فيه الوجه لاح بلا ستار
و تلك الدار فانية يقينا فدعها تمنحن إحسان بارى

دعاء

روح الروح آنس القلب ربى فى جميع الشؤون من غير حجب
فى ظهور الأقدار هبنا يقينا و اشرح الصدر بالرضا والحب
فى ظهور الأقدار طمئن قلوبا حصننها من موجبات الشوب
أشهدنا الممات فضلا حياة أشهدنا الحياة خير القرب
علمنا اليقين فى كل شأنٍ أشهدنا الجمال من غير ريب
و اقبض الروح باليمين وهبنا يا إلهى اليقين بالوصل ينبى
واجهنى بالوجه فى حال موتى بشرنى بشائرا للمحب
و اعصمنى عند الممات من الشـ ـك ارفعنى إلى مقام القرب
كى أرى الوجه فى مماتى وبعثى ظاهرا بالجمال لى فى صوبى
مقعد الصدق فاجعلن لى مأوى كى أهنى بالوجه فى أنس ربى

الفصل الثالث

زيارة أهل البرزخ

زيارة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وما يستحسن عند الزيارة :

هذا الموضوع أكتب فيه لأهل التسليم ممن وفقهم الله تعالى للعمل بوصاياه ﴿ﷺ وآله﴾ و معرفة قدر النعمة به﴿ﷺ وآله﴾المؤمنين حقا،لأنه عمل ينتجه الإيمان الكامل ، وإنى والحمد لله على يقين أن لكل مسلم حنين لزيارة قبرالنبى ﴿ﷺ وآله﴾ ينمو فى كل نفس ، ولكنى أبين الآداب التى تأدب بها الصحابة رضوان الله عنهم ، والتابعون وأئمة الخير ممن يقتدى بهديهم ، مبينا ذلك بأسانيده ، وأستحسن ما استحسن أهل العلم كالإمام مالك وغيره أن يقول المتوجه إلى المدينة : توجهت لزيارة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أو للسلام على النبى ﴿ﷺ وآله﴾،و يقول عند رجوعه:زرت النبى﴿ﷺ وآله﴾،أو سلمت على النبى ﴿ﷺ وآله﴾، و لا يقول زرت قبر النبى ﴿ﷺ وآله﴾ ، والذى أراه فى استحسان هذا المذهب لأن الناس لم يتوجهوا لزيارة القبر كما يتوجه الناس لزيارة القبور ، لأن زيارة القبور للعظة والاعتبار و للدعاء لأهلها والاستغفار لهم ولكن المزور هنا هو النبى﴿ﷺ وآله﴾، فيجب أن يميز الناس بين الزيارتين .

و هذا أدب أدب الله به أهل العلم ، وكيف لا ؟ والمتوجه إلى المدينة يشهد مواطن تنزل الوحى ، وأماكن جلوسه ﴿ﷺ وآله﴾ ، ومواضع وضع قدمه الشريف ، وأُفقاً بورك برفع صوته ﴿ﷺ وآله﴾ فيه بالقرآن والعلم والأمر والنهى ، وروضة ثبت أنها روضة من رياض الجنة ، وحظيرة بوركت بمس جسده الشريف ، ولذلك فقد ثبت أنه يجب ضرب أكباد الإبل إلى تلك الأماكن .

آداب الصحابة والسلف فى الزيارة :

أما آداب الصحابة والسلف فى الزيارة فأبين كما ورد رضوان الله عنهم : عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من زار قبرى وجبت له شفاعتى " (1) .

و عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾:"من زارنى فى المدينة محتسبا كان فى جوارى وكنت له شفيعا يوم القيامة " (2) . وفى حديث آخر : " من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى".و كره مالك أن يقال : زرنا قبر النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ . وقال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبى فتلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (3) ثم قال : صلى الله عليك وسلم يا محمد ، من يقولها سبعين مرة ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان ، و لم تسقط لك حاجة ، وقال بعضهم : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة ، فسلم على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ ثم انصرف . وقال نافع : كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجىء إلى القبر فيقول : السلام على النبى﴿ ﷺ وآله﴾، والسلام على أبى بكر ، السلام على أبى، ثم ينصرف ، ورؤى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ من المنبر ثم وضعها على وجهه . وعن ابن قسيط

---

(1) أخرجه احمد فى مسنده ١٠٨/٤ والدارقطنى فى سننه ٢٧٨/٢ والدولابى فى الكنى والأسماء ٦٤/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٢٦٧/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤١٧/٤ ، ٣٦٣/١٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٥٨٣ والسيوطى فى الدر المنتثرة ١٥٨ .
(2) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ ، ٣٦٤/١٠ والسهمى فى تاريخ جرجان ٢٢٠ ، ٤٣٤ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٥٨٤ وأحمد فى مسنده ١٨١/١ ، ٢/ ١١٣ ، ٢٩/٣ ، ١٠/٦ والترمذى فى المناقب ومالك فى الموطأ .
(٣) أورده الدارقطنى فى سننه ٢٧٨/٢ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٢٦٦/٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢٣٧٢ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٢٤/٢ والسيوطى فى الدرر المنتثرة ١٥٩ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٢٥٩/١ والسيوطى فى اللآلىء المصنوعة ٧٢/٢ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٥٦

والعتبى : كان أصحاب النبى﴿ ﷺ وآله﴾إذا خلا المسجد جبوا رمانة المنبر التى تلى القبر بميامينهم ثم استقبلوا القبلة يدعون ، وقال القاضى أبو الوليد الباجي : وعندي أنه يدعو للنبي ﴿ﷺ وآله﴾ بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر. و قال ابن حبيب : ويقول إذا دخل مسجد الرسول : باسم الله وسلام على رسول الله ، السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد ، اللهم اغفر لى ذنوبى و افتح لى أبواب رحمتك وجنتك ، واحفظنى من الشيطان الرجيم. ثم اقصد إلى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر ، تحمد الله فيها و تسأله تمام ما خرجت إليه ، والعون عليه ، وإن كانت ركعتان فى غير الروضة أجزأتاك، وفى الروضة أفضل ، وقال﴿ ﷺ وآله﴾: " ما بين منبرى وبيتى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع الجنة " (1) . ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك ، وتسلم على أبى بكر وعمر وتدعو لهما ، وأكثر من الصلاة فى مسجد النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ بالليل والنهار ، ولا تدع أن تأتى مسجد قباء وقبور الشهداء .

و قال مالك فى كتاب محمد : ويسلم على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ إذا دخل وخرج – يعنى بالمدينة– وفيما بين ذلك ، قال محمد : وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر و كذلك من خرج مسافرا .

و روى ابن وهب عن فاطمة بنت النبى﴿ ﷺ وآله﴾أن النبى﴿ ﷺ وآله﴾قال: " إذا دخلت المسجد فصلى على النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ وقولى : اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرجت فصلى على النبى﴿ ﷺ وآله﴾و قولى : اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك " .

---

(1) رواه البخارى ٢/٧٧ ، ٣/٢٩ ، ٨/١٥١ ، ٩/١٢٩ ومسلم فى كتاب الحج الباب ٩٢ الحديث رقم ٥٠٠ ، ٥٠٢ والترمذى ٣٩١٥ ، ٣٩١٦ والنسائى ٢/٥٣ والموطأ ١٩٧ وأحمد ٢/٢٣٦ ، ٢٦٠ ، ٣٧٦ ، ٤٣٨ ، ٤٥٠ ، ٤٦٦ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥/٣٣٥ ، ٣٣٩ والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/٢٤٧ .

هذا ما كان عليه أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وما ورد فى ذلك عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وعمل الصحابة هو النور الذى يجب على كل مسلم أن يقتدى به فى زيارة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وفى السلام عليه .

شهود أهل الحب الواهين :

على أنى لا أنكر على أهل الحب الواهين الذين انجذبت قلوبهم إلى حضرة المعية المحمدية إذا سطعت أنوار بصائرهم فأخفت مشهد الأبصار ، فشهدوا بالروح عند دخول المسجد النبوى ما مثله الخيال الصافى من كدرات الأهواء ، واستحضره القلب المطمئن من معانى المكانة المحمدية ، فحصل الخشوع الممزق لأغشية القلب حتى يصرخ الصارخ ، ويصعق الصاعق ، ويغنى المغنى ، ويهتز الواجد ، ويبكى العاشق ، و يتمثل الواصل ، فمنهم من يمد يده مسلما ، ومنهم من ينحنى مقبلا ، ومنهم من يلتمس مخاطبا ، ومنهم من يشكو مشاهدا ، ومنهم من يقبل البشرى ، ومنهم من يسمع .

كل ذلك مسلم لأهله مقبول منهم ، لأن مقامات المحبة تتفاوت حتى تنزل السكينة وتحصل الطمأنينة ، ولديها يكون المؤمن وسطا .

و قد سبق لك تفاوت أعمال أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى زيارته صلوات الله و سلامه عليه مما سبق لك من أعمالهم رضى الله عنهم ، ومن تدبر قول الإمام مالك رضي الله عنه أنه يكره أن يقول : زرت قبر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ، ويحب أن يقال : زرت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يظهر له جلية هذا الأمر ، وإنما ينكر على أهل المحبة من لم يقرأ علومهم ، ومن لم يتعلم أسرارهم ، ومن جهل شيئا عاداه .

زيارة القبور :

تقرر أن زيارة القبور سنة ، وكان قد نهى رسول الله﴿ﷺ وآله﴾عنها فى صدر الإسلام قبل أن تشرق أنوار الحق جلية على القلوب ، وتقرير أصول الإسلام ، فلما أن انعقدت كل القلوب على الحق ، وظهر أن الخلق جميعا عبيد مقهورون ، وعباد مربوبون، و

علم كل مسلم أن كل مسلم فى حاجة إلى رحمة الله ، وعفوه وفضله وكرمه ، اتسع الأمر بعد التشديد ، وأمرنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بزيارة القبور ، وزارها صلوات الله و سلامه عليه ، وكان فى كل سنة يزور شهداء بدر مرة أو مرتين ، ويزور شهداء أحد فى كل جمعة ، وصار أنس السالكين فى المقابر ، فكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأخذ المصحف ويخرج إلى القبور ، فيجلس بينها ، وصارت سنة أهل السلوك بعده ، وهو إمامهم رضي الله عنه فى هذا.

تفاوت سكان القبور :

و لما كان سكان القبور يتفاوتون ، فمنهم من هو فى حاجة إلى الاستغفار له، و منهم من هو مقبول الشفاعة عند الله مرضى القول عنده ، كما قال الله : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ (١) .

و نحن لا اطلاع لنا على الغيب ، ولكن الأحوال والأعمال وألسنة الخلق الأدلة على أن العبد مرضى القول عند الله ، مقبول الشفاعة لديه سبحانه وتعالى ، فإذا نحن زرنا المقابر فعلينا أن نستغفر وندعو لمن نظن أهم فى حاجة إلى ذلك ، ونسأل الله تعالى عند من نعتقد أهم مقبولون عند الله ، قد رضى عنهم ورضى لهم قولا .

و السنة أن نتذكر الموت عند زيارة القبور ، ونتذكر سكراته القوية ، وآلام نزع الروح و جهل العاقبة ، فتصغر فى عيوننا الدنيا ، وتقبح لذها ، ويزول ما فى نفوسنا من اللقس و الرعونات ، فنعمل للموت ، ونستعد للقائه ، ونلتفت عن الطمع فى الدنيا والغرور بزينتها الفانية .

زيارة قبور أولياء الله الصالحين والرد على منكريها :

شنع بعض من لا علم لهم بالسنة على زائرى قبور أولياء الله بلا حكمة ، ولا قصد لإزالة المنكر ، بل بعناد أدى إلى ضياع الحق ، وعناد المنكر والسامع ، والحقيقة أن زيارة القبور سنة ، وأن الدعاء عند قبور الصالحين الذين يظن الإنسان فيهم أهم رضى الله عنهم

---

(١) سورة طه آية ١٠٩ .

ورضوا عنه ورضى قولهم سنة عملية ، دليل ذلك ما ورد فى حديث الإسراء ، أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ نزل عند بيت لحم ، وعند قبر سيدنا موسى الطَّيِّلا ، ووقف فصلى ، أى : دعا ، وزار﴿ ﷺ وآله﴾القبور ، وخرج لزيارة شهداء بدر ووقف فدعا ، وورد أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ صلى على قبر رجل من الصحابة .

و الدعاء المأثور لزيارة القبور هو (السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم رب هذه الأرواح الباقية ، والأجساد البالية ، أدخل عليها روحا منك وسلاما منى) هذا وإن الأرواح لتنتفع بزيارة أهل الصلاح والتقوى ، وتنزل الرحمات على أهل القبور، ويفوز الزائر بمغفرة الله إذا زار وليا من أولياء الله تعالى فى قبره فإن أولياء الله ليسوا موتى ، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، لأنهم ماتوا بالله ولله قبل موته عزرائيل ، قال الله تعالى : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [1] .

ومن أحياه الله لا يموت أبدا ، وإنما ينتقل إلى دار البرزخ يرزق فيها بتجدد الأعمال الصالحات التى سنها فى حياته الدنيا ، والخيرات التى يكتبها الله له بالعلم الذى أبقاه للمسلمين ، والنعم التى تتوالى عليه من الله بما أجراه من الصدقات الباقية ، فهذا حى عند ربه له رزق بقدر أرزاق من يعمل بإرشاده ، فقد يكونون أكثر المسلمين فيكون - وهو ميت فى قبره - له أجر كأجر الأحياء جميعا لا ينقص ذلك شيئا من أجورهم ، فهل مثل هذا ميت ؟ ومن ظن ذلك فقد جهل ، هذا حى عند ربه يرزق ، ومن زاره فاز من الله بخير وسمع الله دعاءه واستجاب له ، هذا إذا كان الزائر كامل الإيمان متحققا بمشاهد التوحيد ، أما إن كان جاهلا فالأولى _ بدل الإنكار عليه - أن نعلمه آداب الزيارة ، ونفهمه أسرار التوحيد ، ونترك التشنيع عليه ، لأنه مؤمن مسلم والمسلم قابل للعلم ، إلا إذا كان ممن يعمل تلك الأعمال لعاجل الحياة الدنيا ، وهم قطاع طريق الله ولا يخفون على المؤمنين .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .

زيارة قبور أولياء الله مرغب فيها :

فزيارة قبور أولياء الله الذين رضى لهم قولا مرغب فيها ، والدعاء عند قبورهم مستجاب ، والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وبالعمل بكتابه ، والعمل بسنة نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وبرسوله﴿ ﷺ وآله﴾،وبأوليائه المقربين،مما يدل على مزيد إيمان المؤمن وتواضعه، و سوء ظنه بنفسه واعتقاده أنه صغير فى نظره ، وأن المقام الإلهى على عن أن يكون مثل هذا الداعى مقبولا لديه سبحانه ، فيتشفع بغيره ممن اجتباهم الله وأحبهم و اصطفاهم واختارهم ، قال الله تعالى مخبرا عن ملائكته : ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ (٣) .

و كم من حاجة قضاها الله تعالى ، وكربة فرجها الله تعالى ، وشدة أزالها الله تعالى ، وفاقة أبدلها الله يسرا ، ومرض أبدله بعافية بدعاء أوليائه ، أو بزيارة قبورهم و دعاء الله فيها .

أسباب إنكار الجاهلين بالسنة لزيارة القبور :

و إنما أنكر الجاهل بالسنة زيارة القبور ، لجهله باليقين الحاصل فى قلوب عامة المسلمين من كمال التوحيد ، واعتقاد أن الضار والنافع هو الله ، ومتى انعقد القلب على كمال الإيمان ، وحقيقة التوحيد ، فالأمر واسع لا شبهة فيه ، وهل يعتقد مسلم أن مسلما يأكل ويشرب ويتغوط ويمرض ويموت ينفع أو يضر ؟ ولكن لله رجال أحبهم و أحب لأجلهم من أحبهم ، وقد أثنى الله تعالى على أنصار نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤) فحب المؤمن للمؤمن دليل على كمال محبة الله ، وعناية المؤمن بالمؤمن دليل على حسن الثقة بالله ، فإذا كان المسلمون لا يحبون أولياء الله أحياء و أمواتا ، فمن يحبون ؟ أيحبون الملوك والأغنياء ؟ لعل المنكرين يحبون الملوك والأغنياء ، فإذا ماتوا تركوهم ، ويعتقدون أن ذلك هو الحق (لا) .

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٧ .
(٢) سورة المائدة آية ٣٥ .
(٣) سورة الفرقان آية ٥٩ .
(٤) سورة الحشر آية ٩ .

و لكنا والحمد لله نحب أولياء الله ، ونقتدى بهم فى حياتهم ، ونبذل مـــا فى وســـعنا لإكرامهم ، ابتغاء مرضاة الله ، فإذا ماتوا دام حبنا ، وكثر دعاؤنا لهم ، وزيارتنا لقبورهم .

الرسول وخلفاؤه يزورون قباء وشهداء أحد :

كان ﴿ ﷺ وآله﴾ يزور مسجد قباء كل يوم سبت ، ويزور شهداء أحد، و عمـــل بسنته بعده أبو بكر ، وعمر ، وغيرهما رضى الله عنهم ، وقد أمرنا الله تعالى بشكر الوالدين ، وأمرنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بالصلاة عليهما بعد موتهما فى حديث حسن ، والعلماء أنفـــع من الوالدين ، ومن برهم المسارعة لما فيه نفع المسلمين من إحياء ذكرهم ونشر علومهم وإدامة الدعاء لله أن يلحقنا بهم ، أو يجعلنا من المتشيهين بهم ، فإنما أحببناهم حبا لله ورسوله ، ولمـــا جملهم الله به من جمال حبه سبحانه ، ومعرفته جل جلاله ، والمحافظة على العمل بكتابه وسنة نبيه ، وما وهب سبحانه لهم من الحكمة والبيان ، فهم نور رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ المشـــرق على أمته ، نحبهم أحياء وأمواتا ، و نفديهم بأنفسنا وأموالنا ولا نصغى لما يقوله الجاهل ، لمـــا تفضل الله به علينا على ألسنتهم وأيديهم رضى الله عنهم ، ونفعنا بهم .

هذا مذهبى ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور إخوتى المؤمنين للعمل بـــه حتى يكون أولياء الله محبوبين ، ومتى كان أولياء الله محبوبين سارع المســـلمون إلى الاقتـــداء بهديهم ، والعمل بما كانوا عليه ، وتلقى علومهم النافعة ، فهم كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ :

" سرج الدنيا ومصابيح الآخرة " (١) فتراهم وهم أحياء بين الناس مجهولين غربـــاء ، فإذا انتقلوا إلى الدار الآخرة أحيا الله ذكرهم بين عباده الصالحين ، وسارع عباد الله فى تأسيس المساجد والصدقات ، وأوقفوا الأعيان على مساجدهم ، كل ذلك من إكرام الله لهم فى الدنيا فكيف يكون إكرام الله لهم فى الآخرة ؟ وما من بلد من بلاد الإســـلام ، إلا وبهـــا مســـجد باسمهم أو زواية بها فقراء المسلمين الذين أقعدهم الجهد يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون .

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٢٨٦٧٧ وفى أمالى الشجرى ٥٨/١ .

فهم رضى الله عنهم فى حياتهم نور وبركة للمسلمين ، وبعد موتهم كنوز و خيرات لفقراء المسلمين ، يزورهم منقبض الصدر فيشرح الله صدره ، والعاجز عن التكسب فيرزقه الله ، وكم من فقراء لا عمل لهم إلا ما يجريه الله لهم على أيدى أهل العقيدة الإيمانية من أغنياء المسلمين .

أكتب هذا ، وأنا أستغفر الله منه إن كان عن حظ وهوى ، غير أنى والحمد لله أعتقد أنه مقصود به وجه الله تعالى ، والخير لإخوتى المؤمنين جميعا ، وهو رأى رأيته أعتقد فى نفسى أنه الحق ، اللهم إن كان حقا فانفعنى به وانفع به إخوتى المؤمنين، و إن كان غير ذلك فأسألك أن تحفظنى وإخوتى المؤمنين من عجلتى الفطرية ، وإعجابى برأيي واتباع هواى ، إنك غفور رحيم تواب كريم .

الرد على إنكار زيارة أهل البيت والأولياء :

و هنا غريبة وهى : أن جبريل عليه السلام أنزله ﴿ﷺ وآله﴾ عند بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، فصلى أى : دعا ، وعند قبر موسى عليه الصلاة والسلام فدعا ﴿ﷺ وآله﴾ ، من هذا نأخذ أن الأماكن تبارك بما يلامسها ، وأن الدعاء يقبل فى الأماكن المباركة ، وأنه من السنة أن الإنسان إذا زار قبر نبى أو ولى أن يصلى فيه ، أى يدعو الله تعالى معتقدا أن تلك الأماكن يستجاب فيها الدعاء ، كما ورد فى صحيح السنة فى أحاديث الإسراء .

و ما ينكره المدعون العلم على العامة من زيارة قبور الأولياء رضوان الله عليهم ، بدعوى أنهم يعتقدون أن الموتى ينفعون ويضرون ، هذا لجهلهم بالسنة ، والحقيقة أن أجهل مسلم لا يعتقد أن وليا حيا ينفع أو يضر ، لأن ذلك شرك ظاهر ، وإنما ينفع الله على يد من يشاء ، ويضر على يد من يشاء ، و لكن السنة بينت لنا أن دعاء الله تعالى فى الأماكن المباركة مستجاب ، وأن دعاء أهل الصلاح والتقوى والعلماء العاملين مستجاب إذا دعوا لأنفسهم أو لغيرهم .

و لو قيل لك إن وليا من أولياء الله تعالى دعا الله ، فأنزل المطر ، أو منع الوباء ، أو شفى المريض ، أو أغنى الفقير ، او هدى العاصى ، أو انتقم من ظالم ، أو أهلك معتديا ، فصدق ، فإن ذلك كله فى السنة . وإنما تطرف أهل الجدل الجهلاء بالسنة ، فأنزلوا عقائد المؤمنين من أهل الصلاح والتقوى فى أن الله يجيب دعاء أوليائه ، ويقبل سؤالهم ، وعقائدهم فى زيارة قبور الأولياء من أنهم إذا دعوا الله فى تلك الأماكن يستجاب لهم ، أنزلوها منزلة اعتقادهم الفاسد فى أن فلانا الغنى ينفع وفلانا الحاكم يضر ، فنظروا إلى أهل الإيمان بما نظروه فى أنفسهم فأنكروا عليهم .

الحكمة فى زيارة القبور

ألهيكلى التذكار حال حضور	أم ذا لروحى حالة التصوير
و هل الزيارة للقبور لأنها	رمز المشاهد حالة التذكير
و الروح تشهد غيب غيب غامض	فى الكائنات بسرها التقدير
أمر الحبيب المصطفى بزيارتى	تلك القبور بضحوتى وبكورى
هل للحضور مشاهدا ومراقبا	أم للتأسى بالولى المقبور
واجهت حال زيارتى ما لا يرى	للغافلين من الصفا والنور
أيقنت أن السر فى الأمر الجلى	لم يدركن ببيانه التعبير
جسمى يخاف الموت عند زيارتى	فيتوب من داعى الجفا وغرور
و القلب يعقل فى الزيارة حكمة	و هى الرجوع لمنعم وغفور
و الروح تشهد فى الزيارة مشهدا	فيه البقا لمدبر وقدير
و النفخة العليا ترى الاسم العلى	يجلى لها بجماله المأثور
سر الزيارة غامض من ذاقه	تجلى له الأسماء حال حضور

ذكرى ودعاء عند الزيارة

تذكرت والذكرى تليح مقامى	فأشتاق فى ختمى لبدء رغامى
أزور قبورا فى مثولى بها أرى	معالم بدئى فى حصون ختامى

تذكرت فى تلك القبور معاهدا … بها كنت قبل الكون فى إحرامى
لدى مشهد التجريد والروح صورة … تدار عليها الراح طهر مدام
لدى العهد يوم (ألست) والنور مشرق … من الوجه يسمعنى على كلام
سمعت وأشهدنى لدى العهد غيبه … يجمل نفسى والحبيب أمامى
أيا ساكنى تلك القبور سبقتمو … إلى الله حيث معالم الإكرام
يقينى أن الله أولاكمو الرضا … فمنى عليكم فى الحضور سلامى
أيارب عفوا عن جدودى ووالدى … أخى سيدى والآل والأرحام
أيارب إحسانا إلينا ووسعة … و توبا شفا يمحى بها أسقامى
هدى منك يا هاد أنلنا به الصفا … و فضلا لأمى من رضا العلام
و واسع غفران لنا ولسابق … لقد سبقوا فى نعمة الإسلام

سلام على أهل المقابر ودعاء لله تعالى

سلام عليكم فى الثرى والمقابر … رحلتم فقابلتم ضيا خير غافر
سكنتم ببطن الأرض من بعد ظهرها … و فارقتمو الدنيا لبر وقادر
سلام عليكم من أخ يرتجى لكم … من الله غفرانا وخير البشائر
أيارب أغدق واسع العفو والرضا … على ساكني الأجداث بعد السرائر
أزوركمو أرجو من الله رحمة … تعمكمو فى جوف تلك المقابر
و أسأل ربى العفو والتوب والرضا … و كشفا به تحظى النهى بالبصائر
أيارب وفقنا وزك نفوسنا … أيارب جملنا بكشف الستائر
لنشهد نور الوجه نعطى سعادة … بدنيا أيا مولاى فى يوم آخر
أيارب يوم الموت فاقبض نفوسنا … بيمناك وامنحنا رضا خير ذاكر
أيارب وامنحنا عطايا ووسعة … من الدين والدنيا وخير المفاخر

الشهود والأنس والصفا فى البرزخ

أفى برزخى روحى لها مشهد يجلى … فتأنس حال القرب بالمشهد الأعلى

و هــل تشــهد الأرواح روحــا تزورهــا   نعم وترى الأشــباح فضــلا مــن المــولى
و تــــأنس أرواح المـــــرادين بهجـــــة   لمن لهمــو يشــتاق مــن هــم بهــا أولى
تـــــراهم بـــــإطلاق شـــــهودا لاخفــــا   و أهل الصــفا فى الله فى العــالم الأعلــى
و مـــن عشـــقوا فى الله دام صـــفاؤهم   مـــن العــالم الــدنيا إلى حظــوة المجلــى
و أرواح أهل الحب فى البســط والرضــا   و محبوب رب العرش يعطــى فــلا يقلــى
لهـــم هيمـــان فى الـــبرازخ دائـــم   يحنــون للمحبــوب حــتى لهــم يجلــى
لقــد عشــقوا فى الله عشــقا مطهــرا   عليهم إله العــرش حــال الصــفا صــلى

رؤية الأرواح فى حضرة الإطلاق

تراءى لروحــى الغيــب ســر وجــودى   و ســـر فنـــائى فى وجـــود شـــهودى
شـــهدت وقـــد لاحـــت معـــالى الألى   تـــريني الوجـــود الحـــق فى تجريـــدى
تجـــردت فى استحضـــار روح بعينـــها   فلاحـــت لى الأرواح فـــك قيـــودى
لدى حضـــرة الإطـــلاق لاحـــت معـــالم   مـــن الغيـــب تنبـــيني بســـر جديـــد
رأيـــت مـــن الأرواح مـــا لم أكـــن أرى   مـــن البـــدء فى الإطـــلاق لا التحديـــد
أنســـت بمـــن شـــاهدتهم مـــن أحـــبتى   فرحـــت بمـــن واجهـــت مـــن تفريـــد
أيارب هب لى واســـع الفضـــل والعطـــا   و كشـــفا عيانـــا مـــن ضـــيا المعبـــود
أيـــارب أكرمنـــا بحبـــك والرضـــا   و بالفضـــل مـــن معـــط وخـــير ودود
تنزل لنــا حــتى نــرى الوجــه مشــرقا   يضـــىء لنـــا الأرجـــاء نـــور معيـــد
و يكشف عنــا الحجــب حــتى يعمنــا   جمـــال جميـــل فى مقـــام شـــهود
وعفــوا وإحســانا وفضــلك والرضــا   و وصـــلك يـــا مـــولاى فى تأييـــد
و واسع رزق مــن عطــا مــن عــوارف   و مـــن نعمـــة الـــدنيا وخـــير ورود
أيـــارب جملـــنى بحبـــك أحـــيني   حيـــاة حبيـــب فى شـــهود حميـــد
لأســعد فى الــدنيا بفضــلك والرضــا   و أســعد فى الأخــرى بوصــل مجيــد

أيها المؤمن آو إلى كهف ربك :

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ... ﴾ [1] آو أيها الجامع بالحقائق إلى كهف ربك بثلاث نفوس إن شئت ورابعهم ، أو بخمسة نفوس وسادسهم ، أو بسبعة وثامنهم ، متى ارتفعت بجذبة التسليم الأولية عن النفس الجمادية والنباتية ، وجاهدت حتى قهرت النفس الإبليسية ، و اسلك بالثلاث ورابعهم ، مسلك المجاهدة حتى تزكيها وتمنح الرابعة والخامسة و تخدمك السادسة ، فإذا لمحت بعيون الشهود ما فى الكون المحدود من سر الوجود ، نفخت فيك السابعة ، وملكت الثامنة ، وتبدلت أرضك بغيرها ، وسماؤك بغيرها ، فتفذت من أقطارها بسلطان شهود ما فيك من باريك ، فاتحدت القوى الثمان حتى خضعت للنفخة ، ولديها تكون حقا حيا فى كهفك .

قال تعالى : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾ فإذا فارقت الحياة بنى عليك المسجد فكتب فى صحيفتك عمل من يعمل بآثارك التى أبقيتها ، ويفقه كلماتك التى قلتها ، و يحييك الله تعالى نورا يبين لمن بعدك ما به تتوالى عليك سوابغ إحسانات ربك ، و أنت فى الكهف العام هيكلا ، وفى عليين روحا ، فإذا نفخت النفخة الثالثة حيث لم تسمع حثيث الثانية ، و لم تصعق مع من صعق بها ، جمع الله هيكلك المحفوظ بروحك المجملة ، فاتحدت فى الآخرة بأفراد الأخيار ، ووصلت بهم ومعهم إلى الستار ، بما جملت به من الرضوان الأكبر .

و قد تكون النفس الكلبية سبعا كاسرا – قال " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " يعنى ابن أبى جهل ، فلطمه السبع ، فسمى السبع كلبا – وقد تكون كلبا حقيقيا ، وهنا انظر كيف بدلت الأرض والسموات ، وكيف برزوا لله الواحد القهار .

---

(١) سورة الكهف آية ٢١ ـ ٢٢ .

الباب الرابع

البعث والحشر

الفصل الأول

البعث ومنازل الآخرة

النفخة الأولى ....

الشهداء لا يحزنهم الفزع الأكبر :

النفخة الأولى فى صور الخلق وهى نفخة الفزع ، إذا ظهرت أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها ، ومن الخسف والمسخ والصواعق والزوابع ، ويقوى هذا الفزع حتى يموت من فى السموات ومن فى الأرض إلا الشهداء ، فإنهم لا يحصل لهم هذا الفزع ، بل يمر عليهم نسيم عليل بليل ، فيموتون مشتاقين إلى رضاء ربهم سبحانه ، وهم الذين استثناهم الله بقوله : ﴿ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١) وقوله : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (٢) أى : انتقلوا من الدنيا أذلاء مرغمين مقهورين ، لأن تلك النفخة هى الأولى ، وهى نفخة الفزع التى بعدها نفخة الصعق ، وبعدهما نفخة القيامة ، وصور النفخة الأولى هو هياكل الناس ، لأن كل واحد صور محيط بحقائق لا تحصى، فالهيكل الإنسانى مجمع لكل أنواع الحقائق ، ففيه نفخة القدس ، وفيه مادة أسفل سافلين ، وفيه ما بين ذلك من كل الأنواع ، فالإنسان كون صغير ، والكون كله إنسان كبير.

---

(١) ، (٢) سورة النمل آية ٨٧ .

النفخة الثانية ...

أهل الاصطفاء لا يسمعون حسيس الصعقة :

و قوله سبحانه : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [١] هذه هى النفخة الثانية ، وهى التى تفقد فيها الأرواح الحياة الروحانية حتى لا يبقى ملك مقرب إلا ويفقد تلك الحياة ، وهى الصعقة ، إلا من اصطفاهم الله فأقامهم فى مقام محبته لهم ، وبعد تلك النفخة يقول ربنا جل جلاله : ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [٢] ثلاث مرات ، فلا يجيبه أحد لفناء من كانوا يدعون ملك الأشياء ويغترون لما لديهم ، و ينازعون الربوبية فى الملك ، فيجيب نفسه بنفسه سبحانه قائلا : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [٣] .

النفخة الثالثة ....

إشراق الأرض بنور ربها :

أما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ﴾ [٤] فبعد تلك الصعقة وتنفيذ ما قدره جل جلاله من إعادة الإنسان بما أراده فى النشأة الثانية ، تنفخ النفخة الثالثة وبها إعادة الحياة الروحانية للأرواح ، فتقوم حيه ناظرة ، والمنظور إليه يختلف بقدر المقامات، فأهل الاصطفاء ينظرون إلى وجه الله العلى ، وأهل الاجتباء ينظرون إلى ما أعده لهم سبحانه من النعيم والمسرات ، والسالكون ينظرون إلى واسع الرحمة وعميم العفو ، والمتهاونون بأحكام الله ينظرون إلى هول ذلك اليوم وشدته ، ويشتد هولهم وفزعهم مما أراهم سبحانه من قرب الشمس من رؤوسهم ورمى جهنم بشرر كالقصر ، و ما يصيبهم من خزنة جهنم حتى يصلوا إلى الموقف حيث الصراط والميزان ، وحيث يكون القاضى هو الله والشاهد رسله عليهم

---

(١) سورة الزمر آية ٦٨ .
(٢) ، (3) سورة غافر آية ١٦ .
(٤) سورة الزمر آية ٦٨ .

الصلاة والسلام ، وحيث تشهد عليهم جلودهم وجوارهم وأمرهم مفوض إلى الله العلى الكبير ، وأما أهل الكفر بالله فيساقون إلى جهنم ، منهم من يهوى فيها برأسه ، ومنهم من يزج فيها ، ومنهم ومنهم .... أعاذنا الله بوجهه الكريم .

مما تبين لك تفهم معنى إشراق الأرض بنور رها ، وذلك هو تجلى ربنا سبحانه حتى يرى كل مخلوق جماله وجلاله ، فلا يبقى فى هذا الموقف أحد إلا ويكمل إيمانه ، و يتحقق باليقين الحق، ولكن لا ينفع أهل الكفر إيماهم فى هذا الوقت ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (١) .

تفاوت المنازل يوم القيامة :

الناس فى هذا الوقت أربعة أقسام : قسم يخرجون من القبور لهم أجنحة يطيرون ها إلى مسرات الحياة الثانية ، ومنهم من يركب النجب النورانية ، ومنهم من تؤمهم الملائكة إلى الفردوس ، هؤلاء لا يمرون على الصراط ، ولا يرون الميزان ، ولا يحزهم الفزع الأكبر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٢) وهؤلاء المقربون و الأبرار وأهل اليمين ، وردوا النار فى الدنيا ، وساروا على الصراط فيها ، والنار التى وردوها هى مجاهدة أنفسهم فى ذات الله ، والصراط الذى اجتازوه هو السير على شريعة النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ بكمال اتباعه ، والحساب الذى أنجاهم الله منه هو مراقبة الله تعالى فى كل عمل ، قال الله تعالى فى الحديث القدسى : " لا وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ، ولا أجمع له أبدا خوفين ، فإن هو خافنى فى الدنيا أمننى يوم أجمع فيه عبادى عندى فى حظيرة القدس ، فيدوم له أمنه ، وإن هو أمننى فى الدنيا خافنى يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم ، فيدوم له خوفه " (٣) .

---

(١) سورة السجدة آية ١٢ .
(٢) سورة الأنبياء آية ١٠١ ــ ١٠٣ .
(٣) رواه السيوطى فى الجامع الصغير والبيهقى عن أبى هريرة .

الفرقة الثانية : لا يقام لهم ميزان ، ولا ينصب لهم صراط ، وهم الذين قال الله عنهم : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً ﴾ (١) لأنهم كفروا بالله أو ماتوا على النفاق .

الفرقة الثالثة والرابعة : وهم الذين يحاسبون ، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا كما قال سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾ (٢) قال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) وهم الذين مدحهم الله بقوله:
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) وهم عامة أهل اليمين .

و الحقيقة أن العصمة لم تثبت إلا لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، والله تعالى أخبرنا أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ، أسأله أن يمنحنا دوام التوبة ، ويهب لنا قوة يطهرنا بها من كل خاطر أو وارد يحجبنا عنه سبحانه وتعالى .

و التوبة هى الرجوع من المعاصى إلى الطاعات ، والتطهير : هو مجاهدة النفس لتزكو من فطرها ونزوعها إلى الغفلة والنسيان ، لتدوم لها المراقبة .

و القسم الرابع هم الذين يحاسبون حسابا شديدا ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً ﴾ (٥) .
فأخذ الكتاب من وراء ظهره إنما هو بشماله ، لأن يده اليمنى مغلولة فى عنقه و شماله ملتوية وراء ظهره ، فيأخذ كتابه بشماله بدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا

(١) سورة الكهف آية ١٠٥ .
(٢) سورة الأنشقاق آية ٧ ـ ٩ .
(٣) سورة التوبة آية ١٠٢ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٥ .
(٥) سورة الأنشقاق آية ١٠ـ ١٥ .

لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ ﴾ (١) .

و أما قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ﴾ أى : ينادى بالويل والثبور لما حل به من الهلاك ومن اليأس من النجاة ، وقوله : ﴿ وَيَصْلَى سَعِيراً ﴾ أى : يهوى فى السعير ، و فى رواية بضم الياء ، أى تقذفه الملائكة فى السعير وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ بَلَى ﴾ هذا خبر من الله تعالى عما كان عليه المتساهلون بالدين من نسيان يوم القيامة ، والإقدام على نيل حظوظهم وشهواهم ، و المسارعة إلى جمع المال من حل وحرام ، وحب الانتقام من عباد الله تعالى ، ومن ظلم الخلق ، والسرور باقتراف تلك الخطايا ، وعلمه أنه لا يبعث ، إذ معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أى : ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى .

و نسيان يوم القيامة موجب لأليم العذاب يوم القيامة بدليل قوله : ﴿ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا ﴾ (٢) ، فكيف بمن ظن أنه لن يرجع إلى الله تعالى ؟ هذا الظن موجب الخلود فى نار جهنم لأنه إنكار لشىء معلوم من الدين بالضرورة ، وذلك كفر ، أعاذنا الله منه .

أما قوله تعالى : ﴿ بَلَى ﴾ فتكذيب للظالم وردع له وزجر ، وإثبات لرجوعه إلى الله ، وانقلابه إلى يوم الحساب ، فتقرر أن الناس يوم القيامة منهم المقربون ، وهم الذين أنجاهم الله وينجى بشفاعتهم يوم القيامة من شاء ، وخاصةالأبرار من أهل اليمين ، و هم الذين أنجاهم الله تعالى ، وعامة أهل اليمين الذين يحاسبون حسابا يسيرا ، وأهل الكفر بالله وهم الذين يسحبون على وجوههم فى النار من غير حساب ، وعامة أهل الإيمان وهم الذين يحاسبون ويطهرون فى

---

(١) سورة الحاقة آية ٢٥ – ٣٧ .
(٢) سورة الجاثية آية رقم ٣٤ .

جهنم ، ويخرجهم الله تعالى بفضله و رحمته بعد نفاذ القضاء فيهم ، فمنهم من يخرج بشفاعة الشافعين ، لأن الذين أقامهم الله شفعاء يشفعون عندما تنفع الشفاعة ، ويشفعون فيمن تنفعهم الشفاعة بإلهام يجعله الله فى قلوبهم .

المؤمن فى الآخرة في سرور وبهجة وفضل وإحسان :

المؤمن الذى أمدته العناية الإلهية فآمن بالغيب ، وانقاد بتوفيق الله لتأدية الأوامر و اجتناب النواهى ، مجاهدا نفسه فى طاعة الله تعالى ، ناهجا منهج آل العزائم فى جميع شؤونه ، حتى ينطبع على الأكمل من كل شيء بانشراح ونشاط بعد المجاهدة و العناء ، إيمانا بالغيب وتسليما لله تعالى ، ورضاء بأحكامه سبحانه ، محافظا على حدوده ، قاهرا لحظه وهواه ، كابحا غيه وبغيه ، متجافيا بجانبه عما يلائمه مما حظر عليه الشرع ، متقللا من الدنيا بقدر الاستطاعة ، عاملا فيها بقدر الضرورة ، صارفا وجهه عن كل شاغل فيها مما يلذ الأنفس وتهواه الطباع ، هذا العامل يفوز بربح تلك التجارة ، ونعيم ذخائره ، وملاذ كنوزه التى سجلها له مولاه ، وتفضل عليه بها جزاء حسن معاملته لسيده ، وقيامه بحقوق الرعاية فيما استرعاه فى رياض دانية ، و نعيم لا يفنى ، وحلل من الجمال لا تبلى ، فى ظل ظليل ، وطهور وسلسبيل ، وحور و ولدان ، لا يأسن ماؤها ، ولايبلى جديدها ، ولا تغرب شموسها ، ولا تتغير أزهارها ، و المؤمن فيها غض نضر ، يتجدد شبابه فى كل نفس ، ويزداد جماله فى كل لحظة ، تتجمل به الفردوس ، وتتولى أعماله الملائكة ، سرور دائم ، وبهجة لا تزول ، وفضل يزيد ، وإحسان جديد ، تحن لها الأرواح ، وتطيب بها الأشباح ، نورها نورها ، وراحها روحها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ (١) .

هى الدار فضل الله يعطيه من يشا   نعيم بلا كدح طهور بلا رشا
هى الراح والريحان والصفو والرضا   يحل بها من فى العبادة قد نشا
جوار رسول الله أمن ومنة   لذى نية فى منهج الصدق قد مشى

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٧ ـ ١٠٨ .

من فضائل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :

و أما فضائله عليه الصلاة والسلام وخصوصياته فجلت أن تـدانى ، أو يقـوم بها وصف واصف ، أو توضح بألسنة أهل البيان مهما أوتوا من كشف وتبيين ، وهنـا أردت أن تستبين بعض مقامته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فقارن بينه وبين مقامات الرسل ، وما أعطاه و أعطاهم الله ، وما خصه وخصهم به جل جلاله ، تشرق لك شمس فرديته ﴿ ﷺ وآله﴾ ، و مطلوبيته ومحبوبيته لذات الحق تبارك وتعالى .

و نحن إن أردنا أن نبين فضائل هذا الحبيب الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، فهذه الرسالة وعشرات الألوف من أمثالها لا تحصيها عدا ، ولا تفى بحاجة الوصف ، بل الوصف نفسه يقصر عما خصه الله به من المزايا ، وما شرفه على سائر خلقه .

على أن ذلك القصور فى هذا الجانب الأعظم لا يمنعنا من أن نذكر رشفة من بحر فضله ، وبارقة من سواطع مقامه ، على قدر ما تسع العقول وتفهم الأرواح .

من فضائله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه أعطى الكوثر :

قال الله تعالى مخاطبا حبيبه : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [١] بين الله تعالى فى خطابه هذا قدر حبيبه ، وما أكرمه به وفضله على سائر أنبيائه ورسله ، والكوثر لغة هو المفرط فى الكثرة ، وقد فسر العلماء الكوثر بمعان كثيرة ، والذى عليه جمهور السلف الصالح أنه نهر فى الجنة ، روى أنس عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : " رأيت نهرا فى الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدى إلى مجرى الماء فإذا أنا بمسك أذفر فقلت : ما هذا ؟ قيل : الكوثر الذى أعطاك الله " [٢] وقال عليه الصلاة والسلام : " الكوثر نهر وعدنيه ربى فيه خير كثير " [٣] .

---

(١) سورة الكوثر آية ١ .
(٢) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٦٤
(٣) أروده المتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩١٧٢ .

وقال بعض المفسرين:الكوثر آل بيته﴿ ﷺ وآله﴾،و قد نزلت الآية ردا على من عابه ﴿ ﷺ وآله﴾ من الكفار بأن لا أولاد له ، فالمعنى أن الله تعالى أعطاه نسلا عظيما يحفظون سنته ، ويجددون شريعته ، وبارك سبحانه فيهم فلم يخل منهم زمان ولا مكان ، مع ما لاقوا من القتل والاضطهاد ، وكان منهم العلماء والحكماء والخلفاء والفاتحون .

و قال آخرون : الكوثر علماء أمته ، فإنهم مصابيح الأمة وهداها ، وهم الخير الكثير ، لأنهم كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " العلماء ورثة الأنبياء " (١) .

و قالوا : الكوثر هو النبوة ، وهى لا شك الخير الوفير لأنها المنزلة الثانية بعد الربوبية، و لذلك قرن سبحانه وتعالى اسم حبيبه ﴿ ﷺ وآله﴾ باسمه فى كثير من آيات الكتاب ، و أردف طاعته ﴿ ﷺ وآله﴾ بطاعة الله تعالى ، وعلق محبته سبحانه على اتباعه ﴿ ﷺ وآله﴾ فقال تعالى :﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله" (٢) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٣) وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٤) وكفاه شرفا ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه المبعوث آخر الأنبياء والمذكور قبلهم بل سيدهم ، وخيرة الله تعالى منهم الذى واثقهم بالإيمان به ونصرته منذ أن خلقهم، فسمعوا وأطاعوا .

و قالوا : الكوثر هو القرآن . وقالوا : الكوثر هو الإسلام . وقال فريق : هو المقام المحمود وشفاعته ﴿ ﷺ وآله﴾ فى أهل الكبائر من أمته. وقال آخرون : هو ما اختصه الله به من الفضائل والأخلاق والشمائل ، إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سورة النساء آية ٨٠ .
(٣) سورة الفتح آية ١٠ .
(٤) سورة آل عمران آية ٣١ .

من فضائله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه أعطى الحوض المورود :

قال النبي ﴿ ﷺ وآله﴾ " أنا فرطكم على الحوض " [١] عن أبي ذر ، قال : قلت"يا رسول الله ، ما آنية الحوض ؟ قال " والذى نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء و كواكبها ألا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه ، يشخب [٢] فيه ميزابان من الجنة ، من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ، ما بين عمان إلى إيلة [٣] ماؤه أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل [٤] .

قال رسول ﴿ ﷺ وآله﴾"حوضى مسيرة شهر وزوياه سواء وماؤه أبيض من الورق،وريحة أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا " [٥] .

قال رسول ﴿ ﷺ وآله﴾ : " إنى لبعقر حوضى أذود الناس لأهل اليمن ، أضرب بعصاى حتى يرفض عليهم " فسئل عن عرضه فقال : " من مقامى إلى عمان " وسئل عن شرابه فقال : " أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب ، والآخر من ورق " [٦] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الفتن الباب الأول وكتاب الرقاق الباب ٥٣ ومسلم فى كتاب الطهارة الحديث رقم ٣٩ وكتاب الفضائل الحديث رقم ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٥ وغيرهما .
(٢) الشخب السيلان وهو ما خرج من تحت يد الحالب لضرع الشاة .
(٣) آخر بلاد الحجاز وأول بلاد الشام .
(٤) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث ٣٦ والترمذى فى سننه ٢٤٤٥ وأحمد ١٤٩/٥ وغيرهم .
(٥) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٢٧ وابن عبد البر فى التمهيد ٣٠٧/٢ وابن أبى عاصم في السنة ٣٣٧/٢.
(٦) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة٢٨١ ، ٢٨٣ وابن عبد البر فى التمهيد ٢٩٤/٢ ، ٢٩٥ ومسلم ١٧٩٩ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤١٨/٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٩٩/١٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩/٢٣ .

قال النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ :" أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ، ومن شـــرب لم يظمأ أبدا ، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ، ثم يحال بينى وبينهم " [١] .

قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: " إنى فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن ، وإنى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض وإنى والله مـــا أخاف عليكم أن تشركوا بعدى ، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها " [٢]- .

من فضائله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن أعطى الشفاعة العظمى :

١ - الشفاعة فى القرآن :

اختلاف العلماء فى الشفاعة لفظى ، فإن كل واحد منهم حكم بقدر ما فهم ، فمن فهم قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [٣] أنكر الشفاعة لما يعلمه من عظمة الله وكبريائـــه وجلاله ، ومن رهبة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، بقدر علمهم به ، ولكن الآية خاصة بمخصوصين لأن الله تعالى يخاطب قوما بأعيانهم ، و هؤلاء هم أعداء الله وأعداء رسله علـــيهم السلام ، وهذه الآية فى سياق قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [٤] .

و من فهم معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [٥] وكلنا نعلم أن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يرضيه أن يرحم الله كل من مات على الإسلام ، ونعلم أن الله تعالى أخـــبر عن نبيه ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٦] وبقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّـا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٧] ، وتصور معنى تلك الآيات ، اطمأن قلبه إلى الإيقان بشـــفاعة ســـيد المرسلين .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) رواه مسلم ١٧٩٥ والنسائى فى سننه ٦٢/٤ وابن حجر فى فتح البارى ٣٧٧/٧ ، ٤٦٥/١١ وأحمد ٤/ ١٤٩ .
(٣) سورة المدثر آية ٤٨ .
(٤) سورة المدثر آية ٣٨ .
(٥) سورة الضحى آية ٥ .
(٦) سورة التوبة آية ١٢٨ .
(٧) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

و من فهم قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [(١)] تحقق أن الله تعالى يقبل شفاعة الشافعين فى أهل النار إذا أذن لهم بالشفاعة ، ويرى إنكار الشفاعة مطلقا خطأ .

٢ _ الشفاعة فى الأحاديث :

و الحجة بعد ما بيناه ما ورد عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من الأحاديث الصحيحة على شرط الشيخين ، أو شرط غيرهما ممن ثبت عدالتهم .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا " [(٢)] .

و عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾: " شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"[(٣)] .

و عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم ﷺ فيقولون : اشفع لذريتك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بإبراهيم ﷺ ، فإنه خليل الله ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله تعالى ، فيؤتى بموسى ﷺ ، يقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله تعالى وكلمته ، فيؤتى بعيسى ﷺ ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فيأتونى فأقول : أنا لها ، فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى ، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها الله ، ثم أخر لربى ساجدا فيقول : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ..

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ _ ٣٤١ ، ٣٤٢ والبخارى فى كتاب الدعوات فى الترجمة الباب الأول وغيرهما .
(٣) رواه أبو داود فى كتاب السنة الباب ٢١ ، والترمذى فى كتاب القيامة الباب ١١ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الثالث ص ٢١٣ .

فأقول : يا رب ، أمتى أمتى ، فيقول : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا ، فيقال لى مثل الأولى فأقول : يارب ، أمتى أمتى ، فيقال لى : انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربى فأفعل كما فعلت ، فيقال لى : ارفع رأسك ، مثل الأولى ، فأقول : يا رب ، أمتى أمتى ، فيقال : انطلق فمن كان فى قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل ، ثم ارجع إلى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا فيقال لى : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا ربى ائذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ، ولكن وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال : ﴿لا إله إلا الله﴾ (١) .

و وردت أحاديث أخرى كثيرة فى الشفاعة ، ولكنا أحببنا أن نورد الأحاديث التى تقوم بها الحجة مما ورد بصحيح البخارى ومسلم ، أو بصحيح غيرهما على شرطهما .

المقام المحمود :

قف أيها العقل عند الأدب لحضرة الربوبية ، وسلم تسلم ، فالأمر فوق مقدارك و ليس لك الحكم على ربك ، وإنما أنت حاكم على ما فيك وما حولك تدبيرا وتقديرا ، و اسمع بأذن القلب قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ (٢) يعنى أنه جل جلاله يبعثه ﴿ ﷺ وآله﴾ مقاما يحمده فيه العالم أجمع ، والعالم لا يحمدون ولا يشكرون إلا من نالوا به خيرا عظيما ، وما هو هذا الخير يوم القيامة ؟ .

هو الخير الذى يحتاج إليه كل نوع من أنواع العالم ... فنجاة العصاة من النار خير عظيم لهم ، ودخول أهل السيئات الجنة فضل عظيم ، ورفعة درجات أهل الإيمان فى الفردوس

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ٣٦ ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ٣٦٦ .
(٢) سورة الإسراء آية ٧٩ .

الأعلى فضل عظيم ، ووصول أهل المجاهدات إلى مقعد صدق فضل عظيم ، و نيل أهل المشاهدات رؤية الله جل جلاله فضل عظيم ، وجلوس المتحابين فى الله على منابر من نور قدام عرش الرحمن فضل عظيم ، وفوق ذلك من على المقامات ما لا تفى به عبارة ولا تبينه إشارة .

كل ذلك الفضل العظيم بشفاعة الحبيب المصطفى فى الآخرة وبتوفيق الله لنا بكمال اتباعه ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الدنيا ، وهذا هو المقام المحمود الذى يحمده عليه العالم أجمع، و من ظن أن الشفاعة منازعة الله تعالى فى الألوهية أخطأ ، وإنما هو الفضل العظيم يظهره الله على يد من شاء ويعطيه لمن يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فضائل الأمة المحمدية :

و قد أنزل الله تعالى أمة حبيبه ومصطفاه منزلة الرسل فى كل مقاماهم ، فكأنه قال تعالى للرسل : اعملوا ولا حرج ، لعصمتهم .

و قال لنا : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١) ، وأثبت للرسل الشهادة على الناس يوم القيامة وأثبتها لنا ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾ (٢) .

وواثق الرسل له﴿ ﷺ وآله﴾و أثبت أنه بايعنا بنفسه،و بين للرسل بطريق الوحى وأبقى فينا هذا المقام ، مقام البيان ﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣) وأثبت الخيرية للرسل و أثبتها لنا ، انظر بعين عقلك لما أقول ، فإن إثبات الخيرية للرسل بالوحى ، وإثباها لنا بطريق الإلهام ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهي وظيفة الرسل، فكما أقامهم صلوات الله عليهم مقامه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، أقامنا نحن مقامه . انتسخت شرائع الرسل وشريعته باقية لم تنسخ ولن تنسخ إن شاء الله تعالى ، وهذا يدل على بقائه محفوظا فينا ، ونعوذ بالله من زمان نفقد فيه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بيانا و تعليما وعملا

---

(١) سورة الحج آية ٧٨ .
(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .
(٣) سورة النساء آية ٨٣ .

وحالا ، قال سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ (١) وقال تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّـــدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (٢) فأشار بالموت أو القتل إلى محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ وقال فى مقام حفظه فينا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـــذِّكْرَ وَإِنَّـــا لَـــهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) .

جمل الله الرسل من جماله وقد ظفرنا والحمد له بنسبتنا إليه مباشرة : فنحن أمته، و هو رسول الله إلينا ، وبه شرفنا وفضلنا ، وإن قصرت أعمارنا وقلت أعمالنا ، وقد أظهر الله ســـر قولـــه تعالى للملائكة : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) فينا نحن أمته ﴿ ﷺ وآله﴾ حيـــث وفقنـــا لطاعته ، وأشهدنا خفى مشاهد التوحيد ، فنحن نصلى ونستغفر كما أمرنا ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ ، والملائكة أثبتوا لأنفسهم التسبيح والتقديس : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (٥) ونحن نخشى من نسبة القربات إلينا فنستغفر الله منها إقرارا بأنه الفاعل المختار ، وأنه تفضل علينـــا ، فوفقنا لما يحبه ، فله المنة والشكر فى أن أقامنا مقام محابه و مراضيه ، ونسب إلينا ما خلقه لنـــا فنخشى أن نغفل عن هذا المشهد فنستغفر الله تعالى رجوعا إليه ، وطلبا منه أن يســـتر علينـــا نقائصنا وجهلنا ، و لم يكن ذلك للملائكة ، وهذا المقام من المقامات التى لا يترل الله فيهـــا إلا خاصة أحبابه ، من المقربين فوق أهل اليمين ، لم يكن ذلك بجهودنا ، ولا بكدنا ، ولكن ذلك فضل الله علينا بحبيبه وسيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ .

تلك النعم يا أخى لا تقتضى بطرا وكفرا ، ولكنها تقتضى عجزا وشكرا، فاستحضر نشأتك الأولى ، وانظر إلى ما تفضل به الله عليك بانتسابك إلى هذا الســـيد العظـــيم ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وقف موقف الحيرة عجزا عن حصر الآلاء ، والدهشة قصورا عن عد النعمـــاء ، ثم

---

(١) سورة الحجرات آية ٧ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤ .
(٣) سورة الحجر آية ٩ .
(٤) سورة البقرة آية ٣٠.
(٥) سورة البقرة آية ٣٠ .

انظر إلى هذا السيد بالعين التى تليق بما خولك الله لتعلم مقدار فضل الله عليك ، ولتذكر نعمة الله ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) يعنى محمدا ﴿ ﷺ وآله﴾ .

والشكر يا أخى فى هذا المقام كمال اتباعه﴿ ﷺ وآله﴾،لا تعجب يا أخى فاتباعه ﴿ ﷺ وآله﴾ واجب لكمالاته ، ولأنه شكر للمنعم ولكن الله تفضل علينا باتباعنا له ، فجعلنا محبوبين له ، إن التاجر الكيس يترك النوم والراحة لربح قليل يزول بموته ، وربما كان لا ينفعه ، فكيف بك أيها العاقل ، وأنت باتباعك له تمنح مسرات حسك ونعيم جسمك وبغية عقلك ، وطلبة روحك فى الدارين ، وتظفر بمحبة الله تعالى التى ترخص فى سبيلها الجنة ونعيمها ؟ ! .

أعجب يا أخى كل العجب من رجل يعمل الخير لنفسه ، ليظفر بالحسنيين بتوفيق الله ومعونته ، ثم ينسب الله إليه ما أعانه على فعله كأنه أوجده وأبدعه ، ثم يمن عليه بمحبته جل جلاله ، كل ذلك بسبب اتباعه له ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فما أخف ما أمرنا به وأسهله ! و ما أعظم وأجمل وأكمل ما تفضل به علينا ، فشقى والله عبد عبد هواه ، و لم يتبع رسول الله ، أسأل الله سبحانه أن يوفقنا لكمال اتباعه وأن يمنحنا الإخلاص ، وأن يفنينا عن شهود الإخلاص فى أعمالنا حتى لا يكون بيننا وبينه بين يحجبنا عن شهود جماله الظاهر وإحسانه الوافر ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وسلم .

شفاعة المؤمنين يوم القيامة :

خلق الله العالم وهو غنى عن العالمين ، وتفضل جل جلاله وهو ذو الفضل العظيم ، فرحم الخلق بالخلق فى الدنيا ونفع الخلق بالخلق ، قال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) فتفضل على من شاء من عباده بفضله وأقامه فى الدنيا سبباً لنيل العباد فضل الله تعالى ورحمته وإحسانه ، وإنا لنرى الإيمان والهداية والعلم يتفضل الله به علينا على أيدى رسله وأحبابه من أوليائه الكرام .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .
(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

فكما أن الله جل جلاله أجرى إحسانه فى الدنيا على يد من شاء من خلقه ، فهو جل جلاله يقيم من شاء من رسله عليهم السلام ومن أوليائه المقربين مقاما يجعلهم سببا لنيل أهل المعاصى المغفرة من الله تعالى والنجاة بشفاعتهم ، وليس ذلك مما يؤدى إلى ما لا يليق بالله تعالى من النقص ، لأنه سبحانه وتعالى هو المتفضل فى الدنيا والآخرة ، ولأن ذلك برهان على كمال فضله وعنايته بأحبابه .

و قد بين الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارى أن الله تعالى يحب العبد المؤمن حتى يبلغ بحبه له مبلغا يستجيب له فيه إذا سأل ، ويعطيه إذا طلب ، ودليل ذلك فى القرآن المجيد قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١) بعد أن قال سبحانه ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا ﴾ (٢) أى فى الجنة ، فمنحهم المشيئة فى الجنة فيما يختص بمسراتهم ونعيمهم ، ومنحهم سبحانه المشيئة عنده فيما يتعلق بمن كانوا يحبونهم ويعطفون عليهم ويرحمونهم ، ولا معنى لقوله سبحانه : ﴿ ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ ﴾ إلا ما قررته لك من قبول شفاعتهم وإكرامهم بأن يشهدهم الخير فيمن والاهم فى الدنيا ، واقتدى بهم وعمل بأعمالهم .

و عبد يحبه الله ويكرمه بأن يجعله دالا له ، ناصرا لدينه ، مرشدا لعباده ، ويكرمه على أيدى من اتبعوه بالنصرة والتأييد له وبذل ما فى الوسع مما يملكون ، يتفضل سبحانه فيكرم به أتباعه يوم القيامة كما أكرمهم به فى الدنيا وأكرمه بهم فيها ، قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٣) فرفعة الذين كمل إيمانهم والذين تفضل عليهم بالعلم إلى تلك الدرجات يذاق منه التفضل عليهم بقبول شفاعتهم فى أحبابهم بعد شفاعة رسول الله العظمى فيمن تلوثوا بالخطايا من السيئات ، وإذا تفضل ذو الفضل العظيم بفضله على من يشاء من الذى يمنع ؟ قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الزمر آية ٣٤ .
(٢) سورة ق آية ٣٥ .
(٣) سورة المجادلة آية ١١ .
(٤) سورة فاطر آية ٢ .

و قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) بشرنا الله تعالى بأنه سبحانه لا يخزى المؤمنين بعد أن جعل لهم نورا بين أيديهم ، وعن أيمانهم و هذه البشرى تدل بصراحة على أنه سبحانه وتعالى يستجيب لهم ويتفضل عليهم بما يريدونه منه سبحانه فلا يخزيهم جل جلاله إذا تشفعوا عنده فى أحبابهم ، لأن معنى الخزى حرمان من نيل طلبه ، وهؤلاء لا طلب لهم يخص أنفسهم ، لأن الله تعالى ألبسهم حلة القبول والنور عند خروجهم من القبور ، وحملهم على رفارف الرحمة بشفاعتهم لأحبابهم الذين كانوا يصحبونهم فى الدنيا ولكنهم قصروا بدليل قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ (٢) أي اجعلنا كلنا نورا ، حتى تتفضل علينا بمواجهتك ونيل ما نحبه لإخواننا منك سبحانك .

و قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) فرجال أحبهم الله ومنحهم النور عن أيمانهم وبشرهم بالإقامة فى المسرات الدائمة والنعيم الأبدى ، وهم الذين جملهم الله بالرحمة فى الدنيا ، فكيف تتم لهم المسرات ، وأهل محبتهم فى الله فى العذاب ؟ ! .

هؤلاء لا يرون هذا النعيم إلا إذا رأوا من كان معهم فى الدنيا فى طاعة الله تعالى معهم فى النعيم يوم القيامة ، ومن هذا نعتقد أن الله تعالى يكرمهم بقبول شفاعتهم فيمن أحبوهم فيه سبحانه .

و قال تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ (٤) فنفى الشفاعة عن المجرمين ، وأثبتها لمن اتخذ عهدا عنده سبحانه .

فمنكر الشفاعة بعد إثباتها بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية يحرم الشفاعة يوم القيامة ، وحسن الظن بالله من أوثق عرى الإيمان ، فأنا والحمد لله أعتقد أن

---

(١) سورة التحريم آية ٨ .
(٢) سورة التحريم آية ٨ .
(٣) سورة الحديد آية ١٢ .
(٤) سورة مريم آية ٨٧ .

لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الشفاعة العظمى ، وأن لكل مؤمن شفاعة فى أخيه المسلم ، وأطمع إن شاء الله أن أنال الخير برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ثم بشفاعة إخوتى المؤمنين ، بل وأرجو بحسن ظنى فى الله ما هو فوق ذلك ، مطمئنا قلبى وإن كثرت ذنوبى وعظمت خطاياى ، فإن الله تعالى لا تضره المعاصى ولا تنفعه الطاعات ، وهو ذو الفضل العظيم .

رشفة من طهور الأرواح فى الشفاعة :

إن الله ذو الفضل ، فهو سبحانه وتعالى يكرم من شاء من رسله ومن أبدالهم الصديقين ، وورثتهم المجددين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فنعيم الجنة إكرام من الله لأهل الإيمان، ونعيم الرضوان إكرام منه سبحانه لأهل الإحسان ، ونعيم المشاهدة إكرام منه جل جلاله لأهل الإيقان ، وهناك فضل فوق ذلك وهو أن يؤنس من أحبهم وقربهم على بساط مؤانسته وقربه بما شاء من فضله العظيم ، عندما يتجلى بما هو أهله من الإحسان والجمال والنور والبهاء و الكمال ، بعد أن تجلى بما هو أهله من الجلال والقهر والانتقام والقوة والبطش و الكبرياء ، فيأنسون على هذا البساط بما يتنزل به لهم ويشهدون ما يحبه من العفو و المغفرة والإحسان والإكرام ، لأنه العفو التواب المحسن الحنان المنان ، فيسألونه جل جلاله أن يتجلى بمعانى صفات أسماء جماله ، وسؤال الله تعالى مخ العبادة، و يشفعون فيشفعون ، ويسألون فيجابون ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (١) إشارة إلى المقربين من حضرته ، ومتى شاء أن يشفعهم فيمن عرفوهم فى الدنيا قبل شفاعتهم ، وأخرج من شاءوا إخراجه من النار بفضله وإحسانه وكرمه ، و قال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا﴾ (٢) إشارة إلى أهل الجنة .

و الشفاعة ليست من الأمور المستحيلة بل هى جائزة ، إذ ليس من إهانة الله تعالى أن يقف عبد محبوب له فيسأله ما هو من صفته من الرحمة والعفو والإحسان و الكرم ، وقد أخبرنا جل جلاله أنه يحب المحسنين ، ومع المحسنين ، فإذا كان يحب ذلك منا فى الدنيا فكيف

---

(١) سورة الزمر آية ٣٤ .
(٢) سورة ق آية ٣٥ .

يكرهه يوم القيامة ؟ ! وتلك الأمور الغيبية التى لا تقدر العقول أن تدرك معانيها يجب علينا أنا إذا حرمنا الذوق ، ألا نحرم التسليم ، لما ورد عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى مثل هذه المسائل ، ومن حرم التسليم والذوق حرم الخير كله .

إن الذى حدا بمن أنكروا الشفاعة إلى ذلك هو خوفهم على العامة أن يتجاوزوا حدود الله تعالى ارتكاناً على الشفاعة ، أو خافوا مما يلزم على الشفاعة من أن هذا أمر لم يكن معلوما لله تعالى ، والحقيقة أن الله قدر الأقدار أزلا ، وقدر أن تكون الشفاعة ، فهو المريد المقدر كل شىء ، ولا فاعل سواه .

و لأهل مشاهد التوحيد ذوق فى الشفاعة وغيرها ، فإن الله له فضل عظيم لا يحصى ولا يعد ، منه أن ينسب الأعمال الصالحات التى أعان العبد على عملها ، و وفقه لها ، وهداه إليها ، إلى العبد إيجادا وعملا فضلا منه ، ثم يتفضل عليه بفضل أعظم من ذلك وهو أن يمنحه الملك الكبير جزاء على هذا العمل ، والفضل فضله سبحانه أولا وآخرا ، والعبد لم يكن شيئا مذكورا ، فهو سبحانه الذى أوجده من العدم و خلقه بيديه ، وهداه النجدين ، وأعان كل مخلوق على ما قدره له أزلا ، لا حرج على فضل الله تعالى أن يعظم أحبابه يوم القيامة فيجعلهم شفعاء لديه ، ويرفع مكانتهم بين خلقه ، فيقبل شفاعتهم . ومن نظر إلى تلك الحقائق بعيون المكتسب رد خاسئا و حسيرا ، ومن نظر إليها بعيون العقل الذى يعقل عن الله ، وبالنور الذى جعله له الله سبحانه ، اطمأن قلبه ، وقبل وأقبل ، وفرح بفضل الله وبرحمته ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾ (١) .

إلى المرجى ليوم الهول فى الحشر

إلى المرجى ليوم الهول فى الحشر — حبيب ربى رفيع الذكر والقدر
وسيلة الرسل والمحبوب من أزل — و فرد ذات تعالت محكم الذكر
شفيعنا يوم موقفنا وحجتنا — يوم اللقاء لدفع الهول والشر

---

(١) سورة الكهف آية ١٧ .

غياثنا في مقام الإضطرار وفي مقام أخذ النواصي شدة الأمر
إليك يا رحمة الرحمن جاء بنا يقين حق بنيل الفضل والخير
و أنت يا سيدي المقبول رحمته و حبه صح في التنزيل من بر
و قد ظلمنا وخالفنا وأنت بنا بمحكم الآي أولى فاشرحن صدري
تشفعن سيدي فلك المقام به أنال كل قصودي ليلة القدر
و في الضحى آية التنزيل تنبئنا (ولسوف يعطيك) بالإحسان والبر
فنظرة لجميع المسلمين بها عناية الله تتوالى بلا عسر
و عطف رؤف رحيم نص آيته يصح منه جمال الجسم والسر
فأنت أولى بنا منا فعاطفة بها يلوح الضيا في البحر والبر
وسيلتي أنت يا محبوب خالقه فكن لنا سيدي في الوصل والسير
مرادنا القرب نحيا في جوارك يا حبيب ربي في أنس وفي خير
ذنوبنا سيدي عظمت وأنت لها فسل إلهك محو الظلم والوزر
و سله قربة إقبال نكون بها مشاهدين جمال المنعم البر
مواجهين بوجه الله في نعم على صراطك في ورد وفي صدر
مؤانسين على بسط الولاية في رياض قرب بنور الشمس والبدر
مؤيدين بروح الإتحاد به مقربين بلا عتب ولا عذر
إليك يا سيد الرسل الكرام سرت فآنس الروح في ليلي إلى الفجر
ليشرق النور من فجر الحقائق لي يبين الغيب لي في السر والجهر
و لي وحقك قصد لا أبيح به عن العبارة عال في خفا صدري
فمن فضلا به للعبد عاطفة لأشهد الوجه يمحو ظلمة الغير
كبرت سنا وضعفي لا أطيق به لواعج الشوق أرجو الوصل بالنصر
و أنت رحمة ربي من لي كرما بطيبة في صفاء العيش واليسر

رؤية الله تعالى ودلائلها :

الرؤية وظيفة البصر ، والغاية منها الكشف والعلم ، والبصر إنما يبين الألوان والأبعاد و ما عليه الحقيقة المرئية من الشكل ، فالبصر لا يكشف الحقيقة من حيث ما هي عليه فقد

يرى الناظر جسما أمامه فينكشف له لونه وشكله وبعده ، ولكنه يجهل حقيقته ، فإذا انكشفت حقيقته من حيث ما هى عليه ، فانكشافها يكون بغير البصر ، ويكون الإنسان بهذا الانكشاف أدرك الحقيقة ، فالرؤية شيء والإدراك شيء آخر ، لأن الرؤية علم ما يمكن أن يراه الناظر من الحقيقة ، وإنا لنرى كل الحقائق ونعجز عن إدراكها ، فنرى الشمس قدر الرغيف ، ونرى الشيء ونجهل طعمه وملمسه وريحه وخواصه و قدره ، ولايمكننا أن نحصل شيئا من ذلك إلا بقوة أخرى غير البصر .

و لما كانت الرؤية هى الكشف أو العلم فقد تكون بالبصر للماديات ، وبما يجعله الله للعبد من النور الذى ينال به تلك الرؤية مما فوق المادة ، وكلنا نعلم أن الله تعالى تتره عن المثل بكسر الميم وسكون الثاء وأن الله تعالى له المثل الأعلى بفتح الميم و الثاء وكما أن الخيال يمثل المحسوسات ، والوهم يمثل الحقائق العقلية فى كل إنسان مهما كان ، فالله تعالى يجعل للمؤمنين نورا يكرمهم به ليتفضل عليهم برؤيته سبحانه بمقدار ما تطمئن به قلوبهم كل على قدره ، قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (1) .

و لما كانت الأبصار تقتضى وجود الحقيقة مقابلة لها مفصولة عنها ، وأشعة من النور تنكسر على تلك الحقيقة فى أفق خال من الحجاب حتى يحصل المراد من الرؤية وهو الكشف والعلم ، وكان الوهم والخيال يحتاجون إلى استخدام البصر ليقوما بوظيفتهما ، كانت رؤية الله تعالى بتلك الكيفية مستحيلة ، ومنكرها ممن وقفوا عند هذا الحد لهم العذر ، فإن إثباتها لا يقبله العقل المكتسب بتلك الكيفية ، فإذا نظرنا بعيون الإيمان إلى القادر الذى جعل عيونا ترى تلك الحقائق بالوسائط التى وضعها سبحانه وتعالى ، قادر أن يهب لأهل محبته نورا يرون به ربهم تتره وتعالى عن المثل و النظير والشبيه ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ (2) أى لا تحيط بكنهه الأبصار مطلقا ، لا أبصار الرؤوس ولا أبصار العقول ولا أبصارالأرواح ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (3) كلها لأنه سبحانه هو الذى خلقها بعلم وقدرة وحكمة وإرادة ، قال

---

(1) سورة الصافات آية ١٦٤ .
(2) سورة الأنعام آية ١٠٣ .
(3) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

سبحانه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [1] أى كيف لا يعلم الرب جل ثناؤه من أنشأه من العدم وكيف يخفى عليه من خلق ، وهو اللطيف بعباده الخبير بهم و بأعمالهم وما تكنه صدروهم ؟ !

دليل رؤية الله تعالى من الكتاب :

أثبت سبحانه الرؤية بقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [2] فأثبت جل جلاله أنه يهب جمالا ونورا لأهل محبته حتى تكون وجوههم ناضرة بما يتفضل عليهم به من مزيد الإحسان ، قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [3] فالحسنى : النعيم المقيم للجسم ، والمسرات الدائمة للحس ، والزيادة : رؤية الوجه العلى الكريم بما يجعله الله تعالى للعبد من النضرة ، ومن ذاق طهور قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى : (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به) [4] الحديث ، يعتقد أن المؤمن يرى ربه فى الدنيا يقظة ومناما ، ويراه يوم القيامة عيانا ، وكل على قدره ، وإنما هى طمأنينة القلب التى تحصل للمؤمن كما تحصل لمن رأى حقيقة ما بعينى رأسه .

و ما على العبد المؤمن الذى منحه الله التسليم والذوق والفقه إلا أن يقول كما قال الراسخون فى العلم ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [5] خصوصا بعد أن أشهده خواص تلك الكائنات التى اخترعتها العقول واستخدمتها للنفع العام ، مما أودعه سبحانه فى العقاقير الطبية ، وفى المعادن وغيرها ، ومما رأته الإبصار من البأس الشديد فى الحديد و النفع للناس مما كان يجهله الإنسان ، وقد انكشفت للعقول آيات كثيرة كانت خفية فى طى تلك الكائنات أخبرنا عنها العلى المجيد فى آيات لا تحصى .

و من أشهده الله تعالى حكمة رفع السماء بغير عمد ، وحكمة تسيير الأفلاك، وتصريف الرياح ، وتسخير السحاب ، وما فى الأرض وفى الأجواء ، والسموات من الآيات

---

(١) سورة الملك آية ١٤ .
(٢) سورة القيامة آية ٢٢ ــ ٢٣ .
(٣) سورة يونس آية ٢٦ .
(٤) رواه البخارى فى كتاب الرقاق الباب ٣٨ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٥٦ .
(٥) سورة آل عمران آية ٧ .

والخواص ، كل تلك الآيات المنكشفة لأهل الإيمان تجعلهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن الله تعالى يكشف عنا حجاب البين ، ويجملنا بنضرة وجوهنا ووضاءتها و بهائها بما يتفضل به علينا من كمال معرفتنا بأنفسنا التي جعلها سببا لمعرفته سبحانه و تعالى فإن العبد المؤمن يعلم من الله تعالى بقدر ما علم من نفسه ، ومن خلقه ، وبقدر ما يعلم من الله تكون وضاءته وجماله ونضرته فيرى ربه عيانا بعد رؤيته سبحانه بيانا .

و قد علمت أن الإيمان هو التصديق ، وأن فوق الإيمان علم بالمؤمن به ، وفوق العلم ذوق ، وفوق الذوق رؤية ، وفوق الرؤية شهود ، وفوق الشهود فناء عن الشهود ، إعظاما وإجلالا للجناب العلي ، وتفريدا لحضرته العلية بالقصد دون غيره ، وفوق ذلك مقام الرضا عن الله ، ويلي الرضا التوكل عليه سبحانه ، ويلي التوكل تفويض كل الأمور إليه جل جلاله ، فمن كان مقامه الإيمان وأنكر خبرا من أخبار رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، نفى الإيمان عن نفسه ، فإن الصادق لا يتهم بالكذب في أخباره ، وقد يلعب إبليس بعقول بعض المؤمنين فينكر تأويلا ، ومتى وجد إبليس منفذا يدخل منه في قلب المؤمن أفسد عليه القلب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ ﴾ [1] ثم أخبره عن الراسخين في العلم أنهم ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [2] .

و هذا ما أدب الله به الراسخين في العلم ، والسلامة كلها في اتباع السلف في هذه المواضيع التي هي محل الاختبار والامتحان ، وكيف لا ؟ والله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [3] فنفى المثلية عنه سبحانه في ذاته أو أسمائه وصفاته وأفعاله ، فمن شبه الخالق بالمخلوق وحكم على الخلاق العظيم بما يحكم به على المخلوقين أخطأ وأساء الأدب .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .
(٢) سورة آل عمران آية ٨ .
(٣) سورة الشورى آية ١١ .

و قد ثبت جواز الرؤية بطلب كليم الله عليه السلام بقوله ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (١) ورسل الله معصومون من خطأ طلب المستحيل ، ورد الله تعالى عليه بقوله ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ (٢) لأن الله سبحانه لم يمنحه القوة على تحمل الرؤية كما منحه القوة على تحمل الكلام بدليل أنه تجلى جل جلاله للجبل بقدر الجبل ، فدك الجبل ، وصعق الكليم عليه السلام ، و لم يقو على رؤية تجلى ربنا جل جلاله .

ولكن الله وهب لحبيبه ومصطفاه﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾القوة على تحمل الرؤية فرأى ربه،عند ربه، مطمئن القلب ثابت العقل والجسم والحس ، وقد أخبرنا الله تعالى بأن رؤية الملائكة لا تطيقها القوى البشرية إلا بقدرة من الله تعالى يتفضل بها على أنبيائه ورسله ، بها يتيسر لهم رؤية الملائكة والسماع منهم ، ومن لم يهب الله له تلك القوة لا يطيق رؤية الملائكة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴾ (٣)بل لا يطيق رؤية الجن ، لا بل قد يفرغ ويهلع ويجزع إذا رأى حيوانا مفترسا قريبا منه ، فيغمى عليه من الهلع ، مع أننا نرى أن بعض الرجال يهاجمون السباع فى غاباتها ، وبعض الأولياء يسخر الله لهم تلك الوحوش ، وكل ذلك مما يتفضل به من القوة على العبد .
و الأولى أن يحفظ كل مسلم رتبته التى أقامه الله فيها ، فأهل الإيمان يلزمون التصديق بما جاء به رسول الله من أخبار البعث والحشر والميزان والصراط والجنة والنار و الرؤية وغيرها.

و أهل الإحسان يلزمون مرتبتهم من رعاية آداب الله ، وآداب رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ ، و آداب الاتباع .

و أهل الإيقان يلزمون مرتبتهم من المراقبة لجلال الله تعالى ، ورعاية عظمة وكبرياء و تتريه الحق جل جلاله ، والقيام بحقوق العبودية على صراط الله المستقيم محافظة على اتباع سيد المرسلين ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ ، لأنهم من أهل محبة الله تعالى .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣ .
(٣) سورة الفرقان آية ٢٣ .

و من سوء الأدب أن يتعدى أهل مقام الإيمان حدود الأدب فيطعمون فيما تفضل الله به على أهل الإحسان ، فإذا لم ينالوا أنكروا وأولوا .

و الجنين فى بطن أمه لا يمكنه أن يتصور الدنيا حتى يراها ، وكذلك الطفل لا يمكننا أن نجعله يتصور لذة الوقاع لأنه ليست له تلك القوة التى يدرك بها ، وكم أهلك التأويل رجالا رمى بهم إلى هاوية البعد والقطيعة .

منحنا الله تعالى التسليم فى مقام الإيمان ، والذوق فى مقام الإحسان ، والرؤية فى مقام اليقين ، حتى تطمئن قلوبنا فى كل مرتبة ، فنكون من الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) وقال سبحانه : فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾(٢) .

دلائل رؤية الله تعالى من الحديث :

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : نظر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى القمر ليلة البدر فقال : (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر ، لا تضارون فى رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) (٣) .

و عن صهيب ﷺ قال : : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تعالى : أتريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟

---

(١) سورة الزمر آية ٢٣ .
(٢) سورة الزمرآية ١٧ – ١٨ .
(٣) رواه البخارى فى كتاب المواقيت الباب ١٦ ، ٢٦ وكتاب الأذان الباب ١٢٩ وكتاب تفسير سورة "ق"الباب الثانى وكتاب الرقاق الباب ٥٢ وكتاب التوحيد الباب ٢٤ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ١٩ والترمذى فى كتاب الجنة الباب ١٦ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧ .

ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ثم تلى هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ (١) .

و عن أبي ذر ﷺ قال سألت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ هل رأيت ربك تعالى؟ قال : (نور أنى أراه) (٢) .

بشائر المتحابين فى الله يوم القيامة :

قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :(المتحابون فى الله عز وجل على عمود من ياقوتة حمراء، فى رأس العمود سبعون ألف غرفة ، مشرفون على أهل الجنة ، يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ، عليهم ثياب سندس خضر ، مكتوب على جباههم : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل) (٣) وروينا فى حديث سيدنا معاذ رضى الله عنه ، وقد قال له أبو أدريس الخولانى : إنى لأحبك فى الله عز وجل ، فقال له : أبشر ثم أبشر ، فإنى سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول : (ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ، وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يفزع الناس وهم لا يفزعون ، و يخاف الناس ولا يخافون ، وهم أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فقيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : هم المتحابون فى الله عز وجل) (٤) عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل : من هم يا رسول الله ؟ فلعلنا نحبهم ؟ قال : هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أسباب ، وجوههم من نور ، على

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٩٧ والترمذى فى كتاب الجنة الباب ١٦ وكتاب تفسير سورة يونس الباب الأول وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٣٣٢ ، ٣٣٣ والجزء السادس صفحة ١٦ .
(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٩١ والترمذى فى كتاب تفسير سورة النجم الباب السابع .
(٣) أورده ابن أبى شيبه فى مصنفه ١٤٥/١٣ وابن حجر فى المطالب العالية ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧٨/١٠ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٧٨/٦ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٢/ ١٥٨ .
(٤) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٧٤/٦ .

منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذ حزن الناس ، وقرأ : ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) الآية .

و عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :(إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قال : يا رسول الله أخبرنا من هم . وما أعمالهم ؟ فإنا نحبهم لذلك ، قال : هم قوم تحابوا فى الله بروح الله ، على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوهم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس) (٢) وقرأ هذه الآية ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣) الآية .

عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عته قال : قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾:(يأتى من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا فى الله وتصافوا فى الله ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، يفزع الناس فلا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحونون) (٤) وفى الخبر : (ما زار رجل أخاه فى الله عز وجل شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت و طابت لك الجنة) (٥) وورد فى الأثر عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾:(أن رجلا زار أخا فى الله تعالى فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فقال : أين تريد ؟ قال : أردت أخا فى هذه القرية . قال : هل

---

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٣١٠/٣ وابن كثير فى تفسيره ٢١٤/٤ والطبرى فى تفسيره ٩٣/١١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٥٥٥١ ، ٢٤٧٠٢ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢٥٠٨ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٠/٤ .
(٢) رواه النسائى ٢٧/٨ وأبو داود ٣٥٢٧ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٠١٢ ، ٥٠١٣ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٤٧٠١ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢١/٤ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٧٥/٦ .
(٣) سورة يونس آية ٦٢ .
(٤) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٤٣ .
(٥) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٧٦/٦ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٥٧/٢ .

بينك وبينه رحم تصلها ؟ أو له عليك نعمة تربها ؟ قال : لا ، إلا أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك ، أن الله تبارك وتعالى قد أحبك كما أحببته فيه) [1] .

و الحمد لله رب العالمين الذى تفضل علينا بالبيان ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يقيمنا مقام العمال المخلصين لذاته حتى ينفعنا بما علمنا ، وأن يهب لنا الفقه فى دينه ، وأن يجدد بنا مناهج رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ حتى يصير الدين كله لله ، وأسأله سبحانه أن يوفقنا لمحابه ومراضيه ، وأن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ، أنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الحب فى اللّه تعالى

الحب فى الله نور الروح والقلب ... و الحب فى الله معراج إلى القرب
الحب فى الله سر قد ينال لمن ... قد خص بالفضل إحسانا من الرب
الحب فى الله فضل الله يمنحه ... للمخلصين بلا كشف ولا حجب
قوم إمامهمو المختار ناولهم ... بالفضل راح الصفا فى حالة الشرب
قد شاهدوا وجهه فى حال ذكرهمو ... قد لاح جهرا لهم فى حظوة الحب
قوم لقد جذبوا لله فاتصلوا ... بالمصطفى للذى فى المنزل الرحب
لم تلههم جنة الفردوس إذ شهدوا ... نورا تجلى لهم من عالم الغيب
فروا إلى الله فى شوق لحضرته ... غابوا به عن حدود الشرق والغرب
محبوبهم خير رسل الله أم بنا ... حتى وصلنا إلى فضل بلا كسب
بشرى لنا حبنا فى الله قربنا ... للمصطفى فى مقام الحب والقرب
بشرى لنا قد سقانا المصطفى كرما ... خمرا طهورا بلا مزج ولا شوب

---

(١) رواه مسلم فى كتاب البر والصلة ٣٨ وأحمد ٤٦٢/٢ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣٦٣/٣ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٠٠٧ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٧٦/٦ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٥٧/٢ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٤٠٠/٣ ، ٧٦/١١ ، ٣٧٦/١٢ ، ٣١/١٤ وفى أمالى الشجرى ١٣٥/٢ .

الفصل الثانى

من أسرار القرآن فى جمالات الآخرة

١ – جمالات الحياة فى الجنة :

قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ [(١)] ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ لما كانت البشرى من الله تعالى تقتضى أن المبشر به مناسب للمعطى الوهاب سبحانه ، والله يعلم أن القلوب تحب الطمأنينة بهذه البشرى ، افتتح الكلام بقوله : (أن) التي تؤكد الخبر وتجعله يقينا ، كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [(٢)] بعد أن بشره الله تعالى بأنه خليله ، فتصديق البشرى شيء، وطمأنينة القلب شيء آخر، فأتي الله بأن التوكيدية ليقوى اليقين في القلوب بهذه البشرى ، ويكون السامع واثقا تمام الثقة بأن الله تعالى أعد له ما بشر به ، وهو سبحانه الصادق فى وعده العليم بما يسر عباده .

و (جنات) جمع جنة ، إشارة إلى أن لكل مؤمن جنة خاصة ربما كانت أوسع من الأرض جميعا ، كما قال سبحانه : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [(٣)] ، وتلك الجنة آهلة بما بينه سبحانه فى القرآن المجيد : بمقصورات وخيام ، وأنهار من ماء ولبن وخمر وعسل ، ومن حور وولدان، و زوجات مطهرات ونعيم مقيم . والجنة هى بستان التفت أشجارها حتى سترت من بداخلها عن خارجها ، وكملت كمالا ابتهج به الرائى وتمتع به المحتاج ، قال تعالى : ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ أى من تحت أشجارها ونباتها .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦٠ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٣٣ .

(كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ) : يعنى كلما تفضل الله عليهم من تلك الجنة برزق وهذا الرزق من ثمارها ، تذكروا ما كان يتفضل الله به من الثمار ، فحصل لهم الأنس والبهجة برؤية ما كانوا يعهدونه فى الدنيا ، فلما ذاقوه وشموه ولمسوه ظهر لهم ما أعد الله فيه من الرائحة الطيبة والطعم الشهى ، فتحققوا أنه غير ما كان فى الدنيا ، فازدادوا مسرة وحبورا وشكراً لله ، وليس المراد أن الثمار هى التى قدمت لهم فى الدنيا ، ولكن الكلام على حذف مضاف ، يعنى هذا النوع الذى رزقنا به من قبل أو شبهه ، أو على حذف حرف الجر ، أى هذا من الذى رزقنا به من قبل .

و لنا أن نؤول هذه الآية بمعنى أن الذى يقدم لأهل الجنة من الثمار يقدم لهم مرة ثانية فيظنونه من نوع واحد ، وإذا به يختلف فى الطعم والشم واللمس ، فيعجبون ، لأن الشكل واللون لا يختلفان عما قدم لهم أولا ، ويأخذ العجب منهم كل مأخذ ، فتتجلى لهم عجائب قدرة الله وأسرار تصريفها فى الحقائق ، ويقول لهم الملك : إن الشكل واللون واحد ولكنهما يتفاوتان فى الطعم والريح من لذة وطيب ، ويكون هذا مزيد شهود لهم فى معانى قدرة الله وحكمته ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (1) فما من شىء فى الجنة إلا وهو يتغير من حسن إلى أحسن ، ومن جمال إلى أجمل ، وسبحان من أكرم أحبابه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ولك أن تقول ﴿هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أى بشرنا به ، بمعنى وعدنا بالبناء للمجهول ، أى أن الله تعالى وعدنا بهذا رزقا لنا ، فنحن رزقناه فى الدنيا بخبر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وهذا أقرب إلى الفهم ، وإن لم يقل به أحد من السابقين ، كما يقول أهل الجنة : ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً ﴾ (2) .

(وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) خلق الله الإنسان مفطورا على الأنس ، وخصوصا مما لا بد له منه ، ولما كان أشهر ما يأنس به الإنسان وينال به بهجته ومسرته الزوجة الصالحة الجميلة

---

(١) سورة ق آية ٣٥ .
(٢) سورة الأعراف آية ٤٤ .

، بشرنا الله تعالى بأن لنا أزواجا فى الجنة ، وهنا يلحظ القارىء أن أزواج الجنة مطهـــرة ممـــا يعترى أزواج الدنيا من الحيض والمرض والبول والغائط ، مما ينغص الحياة ، ولا ينال الطهر فى تلك الدار الدنيا لأنها دار البلاء ، وشر البلاء فى هذه الدار الدنيا سببه النساء ، لفقد الأخلاق الجميلة منهن قبل دخولهن الجنة التى بها يكمل جمال الزوج ، قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (النساء عوج لا يعدلهن إلا الطلاق) [1] .

قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ كمال البشرى أن هذه الكلمة تطمئن بها قلـــوب أهـــل الجنة ، وأى إنسان فى أكمل النعيم وأتم الصفاء يخطر على قلبه الموت ويأنس ولو كان ملكـــا نافذ الكلمة مطلق التصرف ! ! فإن ذكر الموت ينغص كل نعيم ، وكفى بالدنيا تعســـة أن فى آخرها الموت ، هنا يناسب أن نتمثل ما فى هذه الآية، فلما سمع المؤمنون قوله تعالى ﴿وَبَشِّـــرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ تشوقوا إلى تلك البشرى من الله تعالى وتحققوا أنهـــا كمـــال النعمة ، فقال سبحانه : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾ أى: بساتين ، وهم فى تلك الدار الدنيا فى عنـــاء من تحمل الشدائد فى سقى البساتين ، و خصوصا فى زمن تحكم فيه من لا رحمة فى قلـــوبهم ، فأزال الله من قلوبنا ما خطر بها بقوله : ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ولكن تذكرنا أن تلـــك الأشجار تثمر ثمرا من محفوظ النوع والطعم والريح ، وذلك يجعل مستعمله ربما يمـــل منـــه ، فأغاثنا الله وأزال ما خطر بقلوبنا فقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـــذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ وإذا به كالذى رزقوا من قبل لونا وشكلا ، لا رائحة وطعما ، فتمت المسرة والابتهاج ، وتمت محبتهم فى المتفضل عليهم لمزيد إحسانه ، فتجدد لهم المسرة والحبور فى كل نفس بما لم يكن يخطر على بالهم ، ولا سبق لهم أنهم متعوا به من قبل ، قال تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [2] اطمأنت قلوب القوم بما أوتوه من هذا النعـــيم بوعـــد الله الصادق فى الدنيا .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب النكاح الباب ٧٩ ومسلم فى كتاب الرضاع الحديث ٦١ والدارمى فى كتاب النكاح الباب ٣٥ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٤٢٨ ، ٤٤٩ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ ه .
(٢) سورة ق آية ٣٥ .

و لكن رغبوا أن يكون لهم فى الجنة أنيس يشاكلهم مما كانوا يأنسون به فى الدنيا ، فعلم الله ما فى نفوسهم فقال : ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ ولفظ ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ يشمل الكمال الذى لا يعتوره نقص من حيض ونفاس وبول وغائط ونوم وملل وفتور ومرض ينغص الحياة ، فلما أن بشرنا الله بهذا الذى هو كمال أنسنا تبادر إلى الفكر مصيبة الموت فيها ، فأزال الله عنا كرب هذا الخاطر فقال سبحانه : ﴿ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ و هو معنى قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (تمام النعمة الجنة) [1] ، فكانت الحياة فى الجنة حياة الأنس لا تشوبها وحشة ، وفرحا لا يشوبه حزن ، ولذة لا يشوبها ألم ، وخيرا لا يشوبه شر، و بقاء لا يشوبه موت ولا فناء ، كما قال تعالى : ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [3] .

أيها المؤمن : إن الله الذى صورك فى رحم أمك وأخرجك طفلا ، فوجدت ما لابد لك منه ، وأكمل ، من والدة تحنو عليك ، وغذاء يناسب طفوليتك ، وألقى عليك محبة منه ، فأدخل بوجودك السرور على والديك وإخوتك ، فلا ينظر إليك أحد إلا و عطف عليك ، وقبلك وضمك إلى صدره ، ووجدت أرضا تقلك ، وسماء تظلك ، و كواكب تضىء لك ، وأنهار تجرى حولك ، ونباتات متنوعة لقوتك ، ولباسك ، و وجدت نسيما عليلا لمسرتك ، فتتنفس فيه لحياتك ، ووجدت من الخيرات التى لا تحصى ولا تعد ، وكل ذلك وهو غنى عنك وأنت الفقير إليه سبحانه ، فهل بلغ من جهلك بربك أن تنسى ما أنعم به عليك مما لو كلفت بأقل القليل منه لعجزت أنت و الناس جميعا .

و هذا فعل القوى الغنى الكبير المتعال ، فهل تذكرت أيها المؤمن فذكرت ؟ أو استحضرت فحضرت ؟ أم نسيت نعماه فلم ينسك ؟ وخالفت أمره فلم يسرع بالعقوبة ؟ وبارزته فغفر لك وعفا عنك ؟ وهذا شأن الرب الكبير المتعال ، فهلا فكرت فى الحال والمآل

---

(١) رواه أحمد ٢٣١/٥ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٦٥/٢ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٨٥/٩ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٩٦٥ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٠٠/٤ .
(٢) سورة الحجر آية ٤٦ .
(٣) سورة الحجر آية ٤٧ .

، فخجلت من إحسانه إليك وإساءتك إلى نفسك ، فإنه سبحانه ما أغدقه عليك من النعم ، بعد أن أوجدك من العدم ، وأعد لك سبحانه ملكا كبيرا ونعيما مقيما ، وبشرك ، إلا لتشكره وتذكره فلا تنساه سبحانه ولا تعصيه ، وأن تعبده وتوحده فلا تخالفه ولا تجحده .

أيها المؤمن : إن ربك يحبك ويحب لك دار الكرامة ، فسارع إلى العمل بأوامره وترك نواهيه ، فإنك ضعيف لا تقوى على عقوبته ، واسأله أن يقيمك حيث يحب و يرضى ، ولا تسارع إلى ما يكرهه فتعصيه للطمع فى الدنيا أو للخوف من العبيد أمثالك ، فإن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن ينفعوك بما لم يقدره الله لك ما فعلوا، لأنه هو الضار النافع ، ولكنه وضع الأشياء لتدرك العقول بها العلم بالله الذى وضعها، أعاذنا الله وإياك يا أخى من أن تحجبنا الأسباب عنه سبحانه ، أو أن يدعونا الحظ و الهوى أن نطمع فيما يفنى ونترك ما يبقى .

٢ – المرء مع من أحب

أتى رجل من الصحابة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال : يا رسول الله إنى أحبك ولا أعمل كعملك ، فقال ﴿ﷺ وآله﴾ : (المرء مع من أحب) [١] ، فقال : إنى أحبك يا رسول الله ، فقال : (المرء مع من أحب) ، فأعادها فقال ﴿ﷺ وآله﴾ : (المرء مع من أحب . أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت) قال العارف : إن المحب لمن يحب مطيع . والمحبة تقتضى السمع والطاعة ، ومن أحب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ سمع منه وأطاع فكان معه فى الدنيا و الآخرة .

٣ – الرزق الجامع للخيرات :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [٢] يتفضل الله على أهل التقوى بما أعده لهم سبحانه يوم القيامة من الرزق الجامع لكل خيرات الروح والعقل والجسم و الحس ، فللروح الأنس بالله تعالى والكلام المقدس ، وللجسم النعيم المقيم الذى يلذ له من مأكل

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٩٦ ومسلم فى كتاب البر الحديث ١٦٥ وغيرهما .
(٢)) سورة البقرة آية ٢١٢ .

ومشرب وملبس ورياش وفراش وملامسة ومأوى ، وللعقل الفرح بما يراه من الحقائق التى كان قد صدق بها بالحجة الشرعية حيث تنبلج أنوار معانى الصفات ، و للحس البهجة بالمناظر العلية والسماع الروحانى والشميم العنبرى والمذاق الشهى و الملبس اللين ، وهذا الرزق الذى يتفضل الله به على خلقه يطمئن قلوبهم به لأنه من غير حساب ، إذ أن خيرات خـــزائن الله تعـــالى لا تنتهى ، وبذلك لا يكون على تلك العطايا حساب ، لأن الحساب إنما يكون عند من يخـــاف النفاد كما يحاسب أهل الأموال المحصورة خوفا على نفادها .

و لك أن القول : إن الله تعالى جمل أهل التقوى بأخلاقه التى هى معانى صفاته ، فتفضل عليهم بتلك الأرزاق العظيمة لمقتضى تلك المعانى الربانية التى تجملوا بها من علم وحلم وصبر وشـــكر وتوبة وكرم وعفو ، وغير ذلك من معانى صفات الأسماء الحسنى جميعها ، فإن المؤمن التقـــى صورة الرحمن ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ لأن المـــؤمن التقى متمكن فى مشاهد التوحيد العالية ، و برهان هذا التأويل قوله تعالى :﴿ أُوْلَئِكَ الَّـــذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ [1] وأحسن ما عملوا التحقق بمشـــاهد التوحيد العالية التى يكون فيها التقى موقنا بلا حول ولا قوة إلا بالله ، وجائز أن يكون المعنى : يرزق الله من يشاء فى الدنيا قبل الآخرة العوارف والعواطف والتنزلات وشهود الغيب المصون.

٤ – حسن المآب :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [2] المآب هو المرجع ، مأخوذ مـــن آب يئوب ، أى رجع يرجع ، و(حُسْنُ الْمَآبِ) يعنى خيره وهو يوم القيامة الـــذى تكـــون فيـــه مشتهيات الأرواح العالية من شهود جمال الله العلى ، وسماع كلامـــه المقـــدس ، و الأنـــس بحضرته جل جلاله ، ولذات العقول من شهود أنوار القدرة والحكمة فى حظـــائر الملكـــوت الأعلى ، ولذات الجسم من مأكل شهى ومشرب لذيذة وملبس بهى ، و ملاذ الحس من منظر الجنة التى تعجز العبارة عن بيانها ، فإن الإنسان الأول كان فى الجنة فكان يغذى حسه بمنـــاظر

(١) سورة الأحقاف آية ١٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٤ .

الجنة من أزهار وأنهار وجمالات تسكر الأرواح، و يغذى جسمه بأنواع الملاذ من مأكل ومشرب من ثمار الجنة وطيرها ومائها و فاكهتها ، وكان يغذى عقله بالنظر إلى بدائع إبداع البديع جل جلاله ، وكان غذاء نفسه الطيب الحب والأنس بالله تعالى .

فلما أهبط إلى الأرض غذى حسه بالنظر إلى أهوال ما يراه من المناظر البشعة ، و غذى جسمه بقديد الثمار وغيرها وبعد الجهد الجهيد والعناء الفادح ، وغذى عقله بالبحث عما يدفع به عن نفسه شر العاديات من وحوش البر وعناء البحر وخوف حيوانات الأرض ، وفقد غذاء الروح الطاهرة ، وأشهد الله الإنسان الأول نعيم الجنة و أشهده عناء الأرض ليخبر أولاده فيشتاقون إلى الجنة ويعملون لها ، وأخرجه من الجنة بذنب واحد ليذكر أبناءه أن الساكن فى الجنة أخرج منها بذنب ، فيحذرهم من عمل الذنوب .

و هنا أشير إليك إشارة : تعلم أن أهل محبة الله فى الدنيا هم عند ربهم ، وهم فوق التراب وتحت السماء ، لأن محل نظر الله تعالى هو القلب ، فإذا تعلقت همم العبد و عزائمه بربه ، واستحضر حكمة إيجاده وسر إمداده تمثل هذا الجناب العلى بما يقدر عليه من التمثيل ، بحسب ما وهب الله له من القوة المتصورة فإذا كمل يقينه فى هذا المشهد كان وهو يمشى على الأرض عند ربه سبحانه ، من حيث عناية الله به و إقباله عليه بعواطفه وعوارفه ، ومن كان عند ربه فى الدنيا رفعه الله فى الآخرة فجعله عنده فى مقام الأنس به على بساط منادمته ، ولما لم يكن هناك ألفاظ خاصة تدل على الله بلفظها ومعناها خاطبنا سبحانه بما نعلم من الألفاظ بحسب مقدارنا العقلى ، و منحنا نورا نستبين به روح تلك الألفاظ فنسلمها لله تسليما ، فنقول : العندية معلومة و الكيف مجهول .

٥ – الرضوان الأكبر جزاء المتقين :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١)﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾

(١) سورة آل عمران آية ١٥ .

أى : من الخير لهم أو معه لهم يوم القيامة ، وفى هذه الآية إشارة إلى أن الذين اتقوا قدر الله لهم التقوى والنعيم المقيم من الأزل ، حتى لو أنهم عاشوا فى المعاصى – وقد سبق لهم هذا الخير العظيم – لنالوه فلا تأثير للأسباب . وإنما جعلت الأسباب ابتلاء من الله تعالى لحكمة علية لا يعلمها إلا الراسخون فى العلم لتظهر معانى الصفات جلية ، وأن الله قد يؤاخذ العبد على طاعته فيدخله النار إذا عامله بالعدل ، وقد يقدر أرقى مقام لأهل الكفر به الذين عاشوا فى الكفر عشرات السنين ، فيهديهم ويوفقهم قبل موتهم ، ليظهر جل جلاله قهارا منتقماً غفورا رحيما.

(جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) (جَنَّاتٌ) بدل من خير ، ولك أن تقول : جنات على النصب ويكون للمدح ، وعلى الرفع فيكون للاختصاص ، أى هى جنات ، و كأن سائلا سأل ما هو الخير الذى أعده الله للذين اتقوا ؟ فقال : هو جنات ، فظن أهل الدنيا أن الجنة فيها عناء السقيا والتعب فى تحصيل الماء فيطمئن الله قلوبهم بقوله :

(تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) فلما أخبرنا الله تعالى بالجنة وبالماء الذى يجرى تحت أشجارها تذكرنا الموت وانزعاج القلوب من وقوعه أو تذكره فقال سبحانه : (خَالِدِينَ فِيهَا) أى مقيمين فيها لا يخافون موتا ولا فوتا .

فحصلت البهجة للنفس ، ولكنا تذكرنا الوحشة فيها حيث لا أنيس يؤنسنا لأن الإنسان شديد الطمع حريص على حسن مستقبله فقال تعالى : (وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ) فحصل الأنس والسكون إلى الله تعالى ، ولكنهم على يقين من إطلاق حضرة الربوبية ، فيخشون منه سبحانه أن يلتفت بوجهه الجميل عنهم فتكون وحشة الروح و ألمها ، فآنس الروح بقوله : (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ) الذى هو طلبة الأرواح بدليل قوله تعالى : (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) (١) يعنى أكبر من الجنة وما فيها ، لأن بهجة الأرواح فوق أشهى ملاذ الأشباح ، وكم من مبتهج بروحه جائع عار متألم من الأسقام ، وهو فى بهجة وأنس بالله تعالى لا يتأثر بشىء من ذلك ، وكم من متمتع بكلمة (كُن) و قلبه يذوب خوفا من حرمان الرضوان ، فأنس الأرواح خير وأبقى من جنة الأشباح (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) أى محيط علمه لما هم عليه قلبا وقالبا ، فيهب لمن

---

(١) سورة التوبة آية ٧٢ .

أقبل عليه محقرا الدنيا ومستصغرا الآخرة فى جانب رضوانه الأكبر بمجاهدة نفسه ، حتى يتجمل بالذكر الأكبر مما لا عين رأت فى جنة الرضوان على بساط الأنس وموائد الكرامة من الله التى تتغذى بها الأرواح غذاءها الخالص ، وهى جنة من أحبهم الله و اصطنعهم لنفسه ، ويعلم أيضا إنكار وجحود أهل النفاق والكفر بالله ، فيحشرهم إلى دار العذاب الجسمانى والألم الروحانى فى نار مؤصدة على الأجسام ، وتطلع على الأفئدة بعذاب الأرواح والضمائر .

٦ – تجلى الله تعالى :

إن الله سبحانه وتعالى خلق نفوس الأناسى من جواهر مختلفة ، وأعلاها وأصفاها مخلوق من نور الجمال الإلهى ، الذى خلق الله منه نفس محمد ﴿ﷺ وآله﴾ وما خلق من هذا النور قبل عن الله ما أنزله على أنبيائه قبول تعقل ، وفهم عن الله تعالى .

وأما النفوس التى خلقت من أردإ الجواهر أو من سجين فإنها لا تقبل عن الله ، ولا تمنح العقل الذى يعقل عنه سبحانه ، ولو تجلى لها لأنكرته كما ورد فى الحديث الشريف: (إن الله يتجلى لطائفة من أهل المحشر فيقول : أنا ربكم ، فيقولون له : اخسأ ما عرفناك ولا عبدناك ، فيظهر لهم بالجنة فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : عرفناك وعبدناك .

و ينصرفون إلى الجنة . ويتجلى لقوم آخرين بالمنعم فيقول لهم : أنا ربكم ، فيقولون: اخسأ ما عرفناك ولا عبدناك ، فيتجلى بجمال وجهه العلى فيقول : أنا ربكم ، فيخرون سجدا ، ويقولون : عرفناك ، ويأبون أن يجيبوا داعى الجنة) فأنواع النفوس تختلف باختلاف جواهرها ، فترى النفوس العالية تأبى أن تقبل الباطل أو تميل إليه ، و من علاماتها أن قليل الحكمة يكفيها ، قال ﴿ﷺ وآله﴾ : (المؤمن يكفيه قليل الحكمة) و النفوس التى خلقت من أردأ الجواهر تسارع إلى الباطل بفطرتها ، ذلك قوله تعالى فى الحديث القدسى : (قبضت قبضة بيدى فقلت : هذه للجنة ولا أبالى وهذه للنار ولا أبالى) .

و إنما هى النوايا التى تقيم الحجة على صفاء جواهر النفوس أو رداءة جواهرها ، و تلك النوايا حجة لصاحب النفس الطاهرة وليست حجة على غيره ، والحجة على الغير هى

الجوارح ، فكأن الجوارح بريد النفس تظهر مكنونها ، فترى أهل النفوس الخبيثة تظهر على الجوارح شر الأعمال لأن نفوسهم لا تقبل إلا الشر، وأهل النفوس النورانية تظهر على الجوارح خشوعا وخضوعا وسمعا وطاعة ومسارعة إلى ما أمر به الله وما سنه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ، وقد كشف الله تلك الحقائق لمن أقامهم مقام الرسل من الأبدال والصديقين والشهداء .

٧ – الذين ابيضت وجوهم :

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [١] ، الواو هنا للعطف (وَأَمَّا) للشرط والتفصيل ، وجملة : (الَّذِينَ) إلخ ، معطوفة على الجملة السابقة (ابيضت وجوههم) إذا أكرم المؤمن بالدخول فى الجنة ، انبسط من الفرح ، وعلاه نور الجنة فابيض وجهه ، أخبرنا الله تعالى بذلك بشرى للمؤمن ، وقد ورد فى القرآن آيات كثيرة دالة على هذا المعنى ، بألفاظ متغايرة ، كقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣] .

(فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يعنى أن الذين منحهم الله الاستقامة والتقوى ، فداموا على ما كانوا عليه من كمال الإسلام والإيمان ، فهم فى رحمة الله فى الدنيا و الآخرة ، ورحمة الله فى الدنيا هى الاستقامة ، والمحبة ، والإيثار ، والتوبة ، و الاستغفار ، والتوفيق لمحاب الله ومراضيه ، وفى الآخرة هى العفو ، والمغفرة ، وقبول التوبة ، ودخول الجنة ، والرضوان الأكبر ، والأنس بمشاهدة وجه الله تعالى بدليل قوله تعالى : (فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ) أى : أن الله أكرمهم بالدخول فى رحمته الواسعة ، وتفضل عليهم بالدخول فيها ، وجواب شرط : أما ، فى الآية محذوف ، وتقديره : هؤلاء فى رحمة الله هم فيها خالدون .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٧ .
(٢) سورة عبس آية ٣٨ – ٣٩ .
(٣) سورة القيامة آية ٢٢ – ٢٣ .

٨ – جزاء المتقين يوم الدين :

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١) .

(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) هذه الآية الشريفة من متعلقات غزوة أحد ، و الحكم فيها عام أيضا ، والمسارعة لا تكون إلى المغفرة ، ولكنها تكون إلى ما ينيل العبد المغفرة من الله تعالى ، والأمر فيها عام لا يختص بحكم دون حكم ، لأن السياق يقتضى المسارعة إلى طاعة الله وطاعة رسوله فى كل أمر ونهى ، وإن خصه بعضهم بقوله : هو الإسلام ، أو الجهاد ، أو الحج . والظاهر أنه لا قرينة تعين نوعا من أنواع الأحكام دون غيره ، ونيل المغفرة لا يكون إلا بالقيام بتأدية كل الأوامر واجتناب كل ما نهى الله عنه .

(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ) هذا دليل على أن الجنة مخلوقة ، وأن مكانها فوق السماء السابعة ، وسقفها العرش ، وهى محيطة بالسماء السابعة وأكثر ، حتى أن عرضها لو وضعت طبقات السموات ومدت الأرض واتصلت بطبقات السموات لكانت مثله ، والعرض أقل من الطول بكثير فكيف يكون طولها ؟ وما دعا بعض من يجهل قدرة الله تعالى إلى السؤال بقوله : إذا كان عرض الجنة كالسموات والأرض متصلة بعضها ببعض ممتدة ، فأين تكون النار ؟ الأمر هين عقلا ، لأن دار سقفها العرش ، ومكانها فوق السموات السبع ، والسموات السبع تحت أرضها من كل جهة ، وكل سماء فى جوف الأخرى ، وبين الجنة والسماء السابعة كما بين الأرض و السماء السابعة من الارتفاع ، هذه الدار يكون طولها بعد هذا التصوير مساويا لعرض السموات والأرض ، ولكن الجاهل عدو نفسه .

و قد كتب هرقل ملك الروم فى الشام إلى رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾يسأله: أنت تقول : الجنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار ؟ فأجابه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣ .

(سبحان الله ، هذا النهار فأين يكون الليل) [1] وفى هذا الجواب الحجة البالغة ، التى أخضعت أهل الشك والريب .

(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) أى : أن الله تعالى خلق الجنة وجعلها دار نعميه المقيم ، وأعدها مجملة بما به مسرات الروح ، وبهجة العقل ، ولذة الجسم ، وأنس الحس ، وأكرم بها أهل التقوى من عباده المؤمنين ، وجعلها دائمة أبدية .

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [2] .

الإشارة عائدة إلى المتقين الذين بين الله صفاهم لنا ، وأعد لكل واحد منهم جنة عرضها السموات والأرض ، ولما أن شرح لنا صفاهم المتعلقة بقواهم النفسانية و الأخلاقية والجسمانية ، أعاد لهم البشرى بما به تطمئن قلوبهم ، فقال سبحانه: (أولئك) أى : هؤلاء الذين أثنيت عليهم ، وأقمتهم موفقين للعمل بما أمرهم به و نهيتهم عنه (جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ) أى : ستر لذنوبهم حتى ينساها كل مخلوق والملائكة الحفظة ، لأن الذنوب والمعاصى معلومة لله تعالى لا تمحى ، ولكنه يغفر ، والمغفرة هى الستر ، فيسترها عن الشخص نفسه ، وعن الخلق ، وعن معالمه من الأرض ، وعن الملائكة ، وعن الخلق أجمعين ، فيلقون الله تعالى وليس عليهم شاهد بذنب .

(مِّن رَّبِّهِمْ) أى : تلك المغفرة فضل من ربنا جل جلاله ، لا بشفاعة ولا وسيلة (وَجَنَّاتٌ) أى : وبساتين زاهرة زاهية ، جامعة لأنواع المسرات الجسمانية والعقلية والروحانية ، بحسب ما احتوت عليه من الجمال والكمال والنور (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) أى : من تحت أشجارها .

(١) أورده السيوطى فى الدار المنثور ٧٢/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٣٥/٨ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٣٦ .

و هذه الآية إشارة إلى دوام النعيم مع راحة الأبدان من عناء التعب فى تحصيل ما لابد منه ، لنضرة النباتات من الماء ، وقد أفرد الجنة فى أول الآية وجمعها فى آخرها ، ليدل على أن كل واحد منهم له جنة خاصة لكمال مسراتهم ، وطهارة قلوبهم من التنافس والحسد .

(خَالِدِينَ فِيهَا) أثبت الله لهم البقاء فى الجنة ، لتطمئن قلوبهم بدوام المسرات فى غير انزعاج من خوف حصول نقص ، أو أمل فى مرغوب فيه لتوفر كمالياته ، لأن الله تعالى لما قال : (جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ) أمنا العذاب ، وكلنا تشوقنا إلى نيل الخير ، فقال : (وَجَنَّاتٌ) أى : بساتين ، ففرحنا ، ولكنا تشوقنا إلى أن تكون تلك البساتين توفرت فيها لوازمها ، وأعظم اللوازم هو الماء الذى كنا نتحمل فى تحصيله الشدائد الفادحة ، التى تقع فيها المشاحنات والمنازعات والخصومات ، خصوصا إذا قام الظلمة بالانتفاع بالماء ، وأهملوا الفقراء (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) ففرحنا براحتنا من هذا الوجه ، ولكن خطر ببالنا الموت الذى كنا نتوقعه فى الدنيا فى كل نفس ، ونخاف منه ومما بعده، فأزال الله عنا تلك الوحشة ، لتكمل لنا المسرات ، وتتم علينا النعمة ، فقال سبحانه : (خَالِدِينَ فِيهَا) فلما بشرنا بالخلود عجزنا عن شكره سبحانه وصرنا معه جل جلاله ، بعد أن أكرمنا بما هو فوق ما نشتهيه ونتمناه ، فقال سبحانه:﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

انظر إلى تفضل الله وإحسانه ، كيف وفقنا وهدانا فى الدنيا للتوبة والإنابة إليه من معاصينا ، وكيف أقامنا فيما يحبه ويرضاه من الأعمال القلبية والبدنية ، وكيف تنزل جل جلاله فنسب ما تفضل به بإحسانه ومنته من التوفيق والهداية إلينا ، ثم تفضل فضلا أكبر وأعظم ومنحنا نعيم الآخرة الأبدى ، والأنس فى رياض الجنة ، وجعل ذلك الفضل جزاء لنا وهو جل جلاله الفاعل المختار ، وإذا كان هذا فضله ، فالواجب علينا أن نعرف قدر أنفسنا لنعرفه ، ونعلم أننا عبيد مقهورون ، وعباد مربوبون ، أبدعنا البديع القادر الحكيم من العدم ، وتفضل فجملنا بما يحبه من صفاته العلية ، وهدانا لما يحبه من الإسلام والإيمان ، وأعاننا على

---

(١) سورة يونس آية ١٠ .

العمل بشرائع الإسلام ، ثم أتم نعمته علينا بما أقامنا فيه من خير الخيرين فى دار كرامته ، والأنس فى جوار حضرته ، فله الحمد وله الشكر حتى يرضى .

(وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) يعنى أن المغفرة والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار والخلود فيها أجر عظيم لعملهم ، ونعم هذا الأجر على عملهم ، هذا ظاهر الآية .

أما ما فيها من سرها الغامض فهذه الآية تنزل من الله لأحبابه ، ليعلمهم كيف تفضل عليهم بما قاموا به ، وكيف نسب إليهم هذا التفضل ، ليعلموا كيف يتأدبون لحضرته العلية ، وكيف ينظرون إلى أعمالهم القلبية والجسمانية فى جانبه جل جلاله، و هذا مشهد أهل التوحيد الكامل .

و ظاهر الآية لأهل الظاهر ، وسرها لأهل المحبة والقرب ، جملنا الله بما به نكون مقربين من حضرته ، مشاهدين لغيب أنواره ، حاضرين معه سبحانه .

٩- الفوز العظيم هو رؤية جمال وجه الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

(تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ) أى : تلك أحكام الله التى جعلها حدا فاصلا بين الفوز بثوابه سبحانه ، وبين الوقوع فى مخالفته جل جلاله . ثم بين ما للمطيع من الأجر فقال تعالى اسمه : (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) أى : من يسارع إلى تنفيذ أوامر الله تعالى مجاهدا نفسه فى ذاته سبحانه (يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ) أى : روضات يتنعم فيها بالنعيم المقيم ، من غير عناء ولا مشقة ، لأن أشجارها تجرى من تحتها الأنهار (خَالِدِينَ فِيهَا) أى أن من يدخلها يعيش فى أنس وبهجة ، ولا يخطر على قلبه ما يوحشه من ذكر الموت والفقر ، أو تسليط ظالم ، أو أمراض ، بل يكون فيها خالدا أبديا فى لذة وسعادة لا نهاية لها ، وذلك

---

(١) سورة النساء آية ١٣ .

بسبب مسارعته لتنفيذ أوامر الله تعالى التى لم يحصل بسببها هم ولا كرب فى الدنيا ، ولاضياع أوقات فى تنفيذها ، و لكن الذى يعمله هى كلمة ، وهى الأمر بتنفيذ حكم الله فى تركته ، فيفوز بهذه الملاذ دهر الداهرين .

و مسلم يتدبرأحكام الله ، ويتدبر ما يناله من الخير العظيم بشىء قليل ، وقهرته نفسه الأمارة بالسوء فيخالف أوامر الله تعالى فليس بمسلم فى الحقيقة ، لأن مخالفته لأمر الله تعالى من الكبائر التى يدخل بها نار جهنم ، من غير أن ينتفع بها فى الدنيا بشىء ، ومن فقه قوله تعالى : (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) - الآية التى هى ختام لقوله تعالى : (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) إلخ الآية — و الإشارة هنا إلى دخول الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ، والخلود فيها ، والفوز معلوم . (الْعَظِيمُ) كلمة مجملة ، بينت ما يتفضل الله به على من يسارع فى تنفيذ أوامر الله تعالى فى الميراث وتفصيل هذه الكلمة فوق أن تعبر عنه الألسنة إلا بقوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١) وبين هذه الكلمة ﴿ ﷺ وآله﴾ بقوله : (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (٢) فإن قول الله : عظيم . ليس كقول غيره سبحانه ، فقد يكون العظيم عند الله تعالى رؤية جماله سبحانه يوم القيامة ، والنظر إلى وجهه العلى العظيم ، أو غير ذلك مما هو فوق العقول .

١٠ – معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين :

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الزخرف آية ٧١ .
(٢) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق الباب الثامن وكتاب تفسير سورة السجدة الباب الأول وكتاب التوحيد الباب ٣٥ ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٣١٢ وكتاب الجنة الحديث ٢-٥ والترمذى فى كتاب تفسير سورة السجدة الباب الثانى وسورة الواقعة الباب الأول وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٩ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٣٤ .
(٣) سورة النساء آية ٦٩ .

سبب نزول هذه الآية أن ثوبان مولى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أتاه عليه الصلاة والسلام منكسر القلب ، ضعيفا كالسقيم ، فقال له رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : (ما بالك يا ثوبان ؟) فقال : ما بي من وجع يا رسول الله ولا مرض ، ولكنى كلما اشتقت إليك فى تلك الدار الدنيا حضرت فتمتعت بالنظر إلى وجهك ، وإنى إذا أنا مت وبعثك الله المقام المحمود وكنت فيما يليق بك واشتقت إليك ، أخاف ألا أراك ، وبكى ، فأنزل الله تعالى : ﴿فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ الآية ، بشرى لثوبان المملوك ، لأنه ملكه الحب لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ، وصار لا يستطيع الصبر عنه صلوات الله و سلامه عليه ، وورد أن كثيرا من أهل المحبة من المهاجرين والأنصار ، كانوا إذا تذاكروا يوم القيامة وأن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يكون بالرفيق العلى ، وقوى الشوق إليه و لم يتمكنوا من شهود وجهه ﴿ ﷺ وآله﴾ ، فيبكون حتى يكاد الرجل منهم أن يحترق إذا تذكر ذلك ، فأنزل الله هذه الآية طمأنينة لقلوبهم ، وهذا السبب الخاص لا يمنع من عموم الحكم ، من أن كل مسلم أطاع الله ورسوله جعله الله تعالى ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ الآية . وهذا الخبر من الله تعالى ، وكونه مع النبيين والصديقين لا يقتضى مساواته بهم ، فإن المعية تقتضى الاتباع لهم عليهم الصلاة و السلام .

و تفسير الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ﴾ أى : الذين أطاعوا الله ورسوله ﴿ مَعَ ﴾ والمعية هى الفوز بالصحبة فى المكان ، و﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ هم الذين سبقت لهم الحسنى من الله وهم أنبياؤه ﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ و الصديقون هم الذين صدقت قلوبهم أقوالهم وأعمالهم ، فكانت قلوبهم أجمل عند الله من أقوالهم وأعمالهم أمام الناس ، وهم كثيروا الصدق ، وفى الأثر (لا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا) [1] والصديقون هم الذين انطوت النبوة بين جنبيهم إلا أنه لا يوحى إليهم ﴿ وَالشُّهَدَاء ﴾ هم

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٦٩ ومسلم فى كتاب البر الحديث ١٠٢ ـ ١٠٥ وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ٨٠ والترمذى فى كتاب البر الباب ٤٦ والدرامى فى كتاب الرقاق الباب السابع وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤٢٤ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ .

الذين استشهدوا فى سبيل الله و الذين أشهدهم جماله فى الدنيا ﴿ وَالصَّالِحِينَ ﴾ الذين أصلح الله قلوبهم وأحوالهم و أعمالهم وأقوالهم ﴿ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ﴾ قد يكون حسن فعل تعجب ، و ﴿ أولئك ﴾ إشارة عائدة إلى من رفعهم الله تعالى إلى تلك المقامات ﴿ رَفِيقاً ﴾ أى : مرافقا ، لأنه فى رفقه الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

١١ – جزاء الأبرار :

قال تعالى : ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾ [١] بشر الله أهل الإيمان والتقوى بوعده الحق : (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ) أى : الذين راقبوا ربهم مراقبة العالم الذى يخشى الله تعالى ، فسارعوا إلى القيام بأوامره ، وترك نواهيه سبحانه – وقد فصلت لك أنواع التقوى [٢] – بشرهم بقوله سبحانه وتعالى : (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) (لَهُمْ جَنَّاتٌ) أى : يتصرفون فيها تصرفا مطلقا بدليل قوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا ﴾ [٣] فهى فى حكم المملوكة لهم بفضل الله تعالى : (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) أى : من تحت أشجارها .

و فى هذه الآية أنواع من البشائر :

البشرى الأولى : (لَهُمْ جَنَّاتٌ) كما بينت لك . و الثانية : (تجرى من تحتها الأنهار) فهم فى راحة من عناء سقيا الأشجار .(خَالِدِينَ فِيهَا) بشرى عظيمة ، لأن قلوبهم اطمأنت بها للخلود من غير موت . و لو قال قائل : إن خلود المؤمنين فى الجنة فضل عظيم ، ولكن خلود الكافرين فى النار ، قد يخيل للإنسان أنه ظلم !!! والجواب : أننا لو تركنا المؤمنين أبد الآبدين فى الدنيا ، لما ازدادوا إقبالا على الله ، وخشية منه ، ومسارعة إلى الأعمال الصالحات.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٨ .
(٢) وهى:تقوى النار ،و تقوى اليوم ، وتقوى الرب ، وتقوى الله تعالى ؟ راجع (أسرار القرآن)ج ١ تفسير الآية٤٨ سورة البقرة.
(٣) سورة ق آية ٢ .

و لو دام الكافر فى الدنيا أبد الآبدين لما ازداد إلا محاربة لله ولرسله عليهم الصلاة و السلام ، وجحودا به سبحانه وتعالى ، ووقوعا فى أكبر الكبائر ، وهذا جزاء ذلك ، و ما الله بظلام للعبيد .

(نُزُلاً) نصبت على الحال ، وجائز أن تكون مصدرا مؤكدا . والنزل : هو ما يعده الرجل الكريم لضيفه ، ثم يتحفه بعد ذلك بخير التحف ، فتكون الجنة محل نزول المؤمنين ، وتكون رؤية وجه الله تعالى . (مِنْ عِندِ اللّهِ) حجة على أن العبادة فى الدنيا ، والهداية والتوفيق فيها ، والفوز بالجنة العالية يوم القيامة ، كله فضل من الله تعالى ، سبق به القدر أزلا قبل الطاعات والقربات . وكذلك العذاب الأليم يوم القيامة ، والكفر والجحود فى الدنيا من أهل الكفر ، سبق به القدر أزلا قبل وجود الكون والأناسى . قال بعض العارفين : (أنا لا أعبد ربا تغضبه سيئاتى وترضيه طاعاتى) وإن ربنا المعبود جل جلاله أقام من شاء فيما شاء مما سبق به أزله ، قال سبحانه : ﴿ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [(1)] وهذا القدم كان فى القدم . وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [(2)] (وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ) أى: وما عند الله من النعيم المقيم والمسرات الدائمة خير للأبرار ، وهم الذين أبروا الله تعالى فلم يخالفوا أمره ، و لم يعملوا ما نهى عنه ، و فوقه مقام آخر يتذوقه من القرآن أهل التمكين من أحباب الله تعالى ، وإن لم يصرح به ، وهو ما لدى الله تعالى ، وهو خير للأخيار ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ [(3)] و الأخيار هم المقربون .

١٢ – الأجر العظيم الذى يتفضل الله به على المجاهدين :

قال تعالى : ﴿ وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [(4)] .

---

(١) سورة يونس آية ٢ .
(٢) سورة الأنبياء آية ١٠١ .
(٣) سورة الإنسان آية ٥ – ٦ .
(٤) سورة النساء آية ٩٥ .

يقول سبحانه : ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾ والأجر العظيم بلسان الله تعالى يدل على معان ثلاثة : المعنى الأول : الرضوان الأكبر . والمعنى الثانى : مقعد الصدق . والثالث : النظر إلى وجه الله الكريم . وهذا فيما أعلم هو الأجر العظيم ، لأن الله سبحانه أخبرنا أنه وعد القاعدين بالحسنى ، وبينت لك أن الحسنى هى المغفرة والجنة ، فما بقى من الأجر العظيم إلا ما قررته لك ، والله تعالى يقول : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ (1) فالحسنى ثبتت للقاعدين ، فما بقى إلا الزيادة ، وهى النظر إلى وجه الله الكريم ، كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (يتجلى لنا ربنا ضاحكا) (2) وهذا الحديث بسند الإمام أبى طالب المكى.

قوله تعالى : ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (3) ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ﴾ بدل من قوله ﴿ أَجْراً عَظِيماً ﴾ يعنى أن هذا الأجر العظيم الذى يتفضل الله به على المجاهدين بأموالهم وأنفسهم هو درجات عند رفع الدرجات ، فقد تكون الرضوان ، أو معقد صدق ، أو النظر إلى وجهه الكريم بعد المغفرة والرحمة ﴿ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ أى : يستر ذنوب المذنبين الذين ختموا أعمالهم بالشهادة فى سبيل الله ، ويرحمهم بقدر تعظيمهم لأوامر الله ، ومسارعتهم إلى بذل الأموال والأرواح فى سبيله ، والمغفرة هى الستر ، ومن فهم أن المغفرة تمحو الذنوب جهل ، لأن الحقائق ثابته فى علم الله لا تمحى ، ولكنه يسترها حتى عن الملائكة ، وعن الشخص المذنب ، وعن معالمه من الأرض ، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ :(إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض فيلقى الله وليس عليه شاهد بذنب) (4) .

(1) سورة يونس آية ٢٦ .
(2) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩٢١١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٠/٥٥٨ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٥٢٩/٤ وفى الشريعة للآجرى ٢٨٠ .
(3) سورة النساء آية ٩٦ .
(4) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ١٠١٧٩ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٩٤/٤ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٨٦/٤ .

١٣ – جزاء أهل الإيمان الكامل :

قال تعالى : (سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ) الله ﴿ أُجُورَهُمْ ﴾ [١] التى وعدهم بها جزاء إيمانهم بالله ورسله ، وأكد سبحانه وتعالى أنه يؤتيهم أجورهم بسوف التى تفيد تأكيد الفعل المستقبل ، كما أن (لَّن) لتأكيد النفى المستقبل ، فإن كلا من (لَّن) و(سَوْفَ) حقيقته للتأكيد ، وأتى بحرف التسويف المفيد نيل الجزاء بعد فناء الدنيا والدخول فى أول أيام الآخرة ، وتبتدئ بالموت فالبرزخ فالنشر فالحشر فالفوز بهذا الجزاء وهو وعد الله لأهل الإيمان بقوله تعالى : ﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ والأجور جمع أجر والعطية على قدر معطيها ، ولما كان الأجر من الله يلزم أن نعلمه ببيانه فى الآيات القرآنية فى غير هذه الآية ، وذلك الأجر فى البرزخ هو أنس الروح بمشاهدة ملكوت الله الأعلى فى عليين إلى حيث أرقى معارج القرب ، وللروح بالجسم اتصال وهو فى برزخه ليحصل له الأنس فرحا بما سيناله غدا ، وبعد ذلك فالقيام من القبور حيث يقابلهم فضل الله تعالى من روح وريحان ومن نجائب أو رفاف أو برق أو أجنحة يخلقها الله تعالى لمن يبعثون من قبورهم ، يصيرون بها إلى مقر رضوان الله تعالى الأكبر ، أو الفرار إلى دار الرضوان والفردوس لما كانوا يفرون من معاصى الله فى الدنيا إلى طاعته، و فوق ذلك من أنواع الأجور بما لا تفى به العبارة ولا تبينه الإشارة ، حيث يكون المؤمن على منبر من نور ، أو مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وما فوق ذلك حظر أن يبين إلا للقلوب المطمئنة بذكر الله تعالى .

فلفظ أجور فى قول الله تعالى : ﴿ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ تنزل يجعل السامع يتذوق فضل الله عليه ، لأنه هو الذى أبدع العبد وجمله بالقابل منه ، ووفقه للهداية، و أقامه فى محابه ومراضيه ، ثم يزيد هذا الإحسان بأن ينسبه إلى العبد ، ويحكم له بعطايا أخرى فوق تلك العطايا ويسميها أجورا .

(١) سورة النساء آية ١٥٢ .

١٤ – الله تعالى لايزن العامة بموازين الأخيار :

قال تعالى ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء لأنه سبحانه أعلم بكل شيء ، وإنما كان السؤال و قص أخبارهم عليهم والوزن ، لتقوم الحجة أنه سبحانه هو الذى وضع الأسباب و أقامها لحكم بعضها علم ، وبعضها لم يعلم ، وهو علام الغيوب ، والوزن يوم القيامة بميزان له كفتان ، ولسان كل كفة أوسع مما بين المشرق والمغرب ، فتوضع الحسنات فى كفة ، والسيئات فى كفة ، والموزون حقائق الأعمال ، ولابد أن يكون الوزن ملكوتيا لا ملكيا ، فهو كما يعلمه الله ، وعلينا أن نسلم لله تسليما فى خبره .

و قوله : (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) أى : موازين حسناته ، فجعلها موزاين لكل واحد ، و جائز أن يكون للجميع ، فإن كان المراد لكل واحد كانت الموازين بحسب الجوارح ، فلأعمال الأذن ميزان ، وللعين ميزان ، وللبطن ميزان ، وللفرج ميزان ، وللأطراف ميزان ، وللقلب ميزان ، فتكون موزاين .

و جائز أن يكون لكل واحد ميزان ، فإن الأبرار لهم موازين خاصة توزن بها أعمالهم ، والأخيار لهم موزاين خاصة ، وللعامة موازين خاصة ، فإن الله لا يزن العامة بموازين الأخيار.

و كيف يزن أعمال من مقصدهم النظر إلى وجه الله العلى العظيم بأعمال من مقصدهم الجنة ؟ قوله : (فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) والمفلح هو الذى بلغ كل مقاصده ، فإن طلب الجنة نالها، وإن طلب الخطوة بربه نالها، وإن طلب الرضوان الأكبر ناله و قد ورد أن رجلا تعطى له سجلات أعماله ، وإذا بها تسعة وتسعون سجلا كلها سيئات ، فيعتقد الرجل أنه ذاهب إلى النار ولا محالة ، ويريد أن يذهب إلى النار ، فيقول الله له : قف عبدى ، فإنى حكم عدل ، وإن لك عملا عندى ، فيقول ما هو العمل يا ربى بعد تسعة وتسعين سجلا من الخطايا ؟! فيقول الله ، أعطوا عبدى ماله ، فيخرجون له بطاقة من تحت العرش صغيرة جدا ، ويقول الله : ضعوها فى ميزان حسناته ، فيقول العبد : وما تلك البطاقة فى جانب هذه

---

(١) سورة الأعراف آية ٨ .

السيئات ؟! فتوضع البطاقة و إذا فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فيضعها الملائكة فتثقل البطاقة حتى تطيح بالسجلات التسعة والتسعين ، فيعجب الرجل من هذا ويؤمر به إلى الجنة ، فيفرح ويقول : الحمد لله الذى وفقنى لقول لا إله إلا الله [1]

١٥ – الرضوان الأكبر جزاء أهل الذكر :

من إقامة الصلاة أن يكون المصلى يذكر الله فيها الذكر الأكبر ، وهو قراءة القرآن مع رعاية أن يسمعه من المتكلم جل جلاله ، وهذا هو الذكر الأكبر الذى ينال به المؤمن رضوان الله الأكبر ، والرضوان فوق روضات الجنات ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [2] فرفع الله الرضوان الأكبر على المساكن الطيبة فى جنات عدن.

و هذا الرضوان الأكبر هو جزاء أهل الذكر ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [3] وذكر الله أن يذكر المصلى الله تعالى فى الصلاة بالشهود ، وقال بعض العارفين : الذكر الأكبر أن يذكر العبد الله تعالى ، فيذكره الله تعالى ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [4] فيكون ذكر الله تعالى عبده هو ذكر الله الأكبر.

(تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه)

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم.

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب : تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد

---

(١) أورده ابن ماجه فى كتاب الزهد الباب ٣٥ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢١٣ والترمذى فى كتاب الإيمان الباب ١٧ .
(٢) سورة التوبة آية ٧٢ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥ .
(٤) سورة البقرة آية ١٥٢ .

تليفون المكتبة

002 022 3901030

من مؤلفات الامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

فى جانب تفسير القرآن :

١ – هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١ – كتاب عقيدة النجاة .

٢ – كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١ – كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢ – صيام أهل المدينة المنورة.

٣ – هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١ – سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢ – وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١ – النشأة الثانية.

٢ – الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣ – الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

تليفون المكتبة/

002 022 3901030

الفهرس

الموضوع — الصفحة

مقدمة

الباب الأول : النشأة الروحانية

الفصل الأول : الحقيقة المحمدية : الحقيقة المحمدية وجمال العود للبدء – الحياة بدءا – الحياة قبل أطوار الحقيقة الإنسانية – فاتحة الإيجاد وخاتمه الإمداد – ﴿ ﷺ وآله﴾ رمز بدئه وختمه ﴿ ﷺ وآله﴾ .

الفصل الثانى : الحقيقة الإنسانية : الحقيقة الإنسانية مخلوقة قبل أن يخلق الكون –أطوار الإنسان السبعة قبل إبرازه فى الكون المحسوس – أطوار الحقيقة الإنسانية – جمال العود إلى البدء – حضرة كن .

الفصل الثالث : ميثاق النبيين : من أسرار ميثاق الرسل – من أسرار القرآن فى الميثاق غوامض أسرار ميثاق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

الفصل الرابع : يوم " ألست " : من أسرار يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ويوم الموعد – سماع الخطاب المقدس يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ موطن الأبرار – من أسرار القرآن فى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ – لا ينفع الإنكار مع قيام الحجة حقيقة الحياة فى " أَلَسْتُ " – جمال التجلى يوم " أَلَسْتُ "

الفصل الخامس : آدم عليه السلام : من المضنون – الأمانة هى ما فيك من أوصاف باريك الإنسان شجرة ربه – سر أكل آدم – الأمانة – الإنسان صورة الرحمن – حكمة سجود الملائكة لآدم – سر السجود لآدم – حكمة دخول آدم الجنة – الفردوس – من أسرار القرآن فى الخلق والتصوير وسجود الملائكة لآدم .

الباب الثانى : النشأة الكونية :

الفصل الأول : بطن الأم : الأوطان خمسة - أطوار الإنسان فى وطن بطن الأم — خلق ابن آدم من سبع - الخلق من سلالة سلت من كل بقعـــة - التصوير فى الأرحام —كمال العناية الإلهية بالحقيقة الإنسانية .

الفصل الثانى : الحياة الدنيا : الدنيا - العمل فى الدنيا لابد منه - حياة الكون وما فوقها - يا قلب فكر تر الدنيا أباطيلا - أنواع الحياة - حياة العبد - رشفة من طهور العرفان فى إحياء القلوب .

الفصل الثالث : الجنة العاجلة : الجنة العاجلة هى جنة الرضا والشهود ألق أذن روحك - مقام الرضا - الغضب لله عين الرضا عنه سبحانه - فضائل الرضا — الرضا حصن الأمن - الرجوع إلى الله فى الحياة الدنيا - الشهداء وأهل اليقين أحياء عند ربهم - جنة معرفة الله تعالى - عين اليقين وحق اليقين - حق اليقين - بعد اليقين شهودى - العارف بالله - وصف العارفين بالله تعـــالى - حقيقة الموتة الإرادية — الحياة الكونية بعد الموتة الإرادية - الإنسان من البدء إلى الأبد - الرضوان الأكبر فى الحياة الدنيا - فى دار الفناء ... البقاء - رؤية الوجه الجميل .

الباب الثالث : البرزخ

الفصل الأول : حسن الخاتمة : المسلم مقبل على رب كريم - حالة المؤمن عند لقاء ربه - أحوال القوم عند حلول الموت - دعاء - من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
لقاءه — حسن الخاتمة .

الفصل الثانى : الحياة البرزخية : متاع البرزخ وخيراته - دفن المـــؤمن بجوار أولياء الله الصالحين تبركا بهم - من أنواع نعيم القبر - الأنبياء والأوليـــاء أحياء فى قبورهم - الأولياء يقرأون القرآن فى قبورهم - الأولياء يجيبون المؤذن

من قبورهم – أريج رائحة المسك والريحان والياسمين تفوح من قبور الصالحين ـ توالى الخيرات المعنوية والحسية على الشهداء في البرزخ – الحياة الروحانية للشهداء في البرزخ الموت قبل الموت حياة المجتبين – دعاء .

الفصل الثالث:زيارة أهل البرزخ:زيارة النبى﴿ ﷺ وآله﴾و ما يستحسن عند الزيارة – آداب الصحابة والسلف فى الزيارة – شهود أهل الحب الواهين – زيارة القبور – تفاوت سكان القبور – زيارة قبور أولياء الله الصالحين والرد على منكريها – زيارة قبور أولياء الله مرغب فيها – أسباب إنكار الجاهلين بالسنة لزيارة القبور – الرسول وخلفاؤه يزورون قباء وشهداء أحد – الرد على إنكار زيارة أهل البيت والأولياء – الحكمة فى ز يارة القبور – ذكرى ودعاء عند الزيارة – سلام على أهل المقابر ودعاء لله تعالى – الشهود والأنس والصفاء فى البرزخ – رؤية الأرواح فى حضرة الإطلاق أيها المؤمن آو إلى كهف ربك.

الباب الرابع : البعث والحشر١١٧

الفصل الأول : البعث ومنازل الآخرة : النفخة الأولى ، الشهداء لا يحزهم الفزع الأكبر النفخة الثانية ، أهل الاصطفاء لا يسمعون حسيس الصعقة – النفخة الثالثة ، إشراق الأرض بنور بها – تفاوت المنازل يوم القيامة – المؤمن فى الآخرة فى سرور و بهجة وفضل وإحسان – من فضائل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : أعطى الكوثر – أعطى الحوض المورود – أعطى الشفاعة العظمى – أعطى المقام المحمود . فضل الأمة المحمدية – شفاعة المؤمنين يوم القيامة – رشفة من طهور الأرواح فى الشفاعة – إلى المرجى ليوم الهول فى الحشر – رؤية الله تعالى ودلائلها – دليل رؤية الله تعالى من الكتاب – دليل رؤية الله تعالى من الحديث – بشائر المتحابين فى الله يوم القيامة – الحب فى الله تعالى .

الفصل الثانى : من أسرار القرآن فى جمالات الآخرة :

١ - جمالات الحياة فى الجنة

٢- المرء مع من أحب

٣ - الرزق الجامع للخيرات

٤ - حسن المآب

٥- الرضوان الأكبر جزاء المتقين

٦ - تجلى الله تعالى

٧ - الذين ابيضت وجوههم

٨ - جزاء المتقين يوم الدين

٩ - الفوز العظيم هو رؤية جمال وجه الله تعالى

١٠ - معية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

١١ - جزاء الأبرار

١٢ - الأجر العظيم الذى يتفضل الله به على المجاهدين

١٣ - جزاء أهل الإيمان الكامل

١٤ - الله تعالى لا يزن العامة بموازين الأخيار

١٥ - الرضوان الأكبر جزاء أهل الذكر .